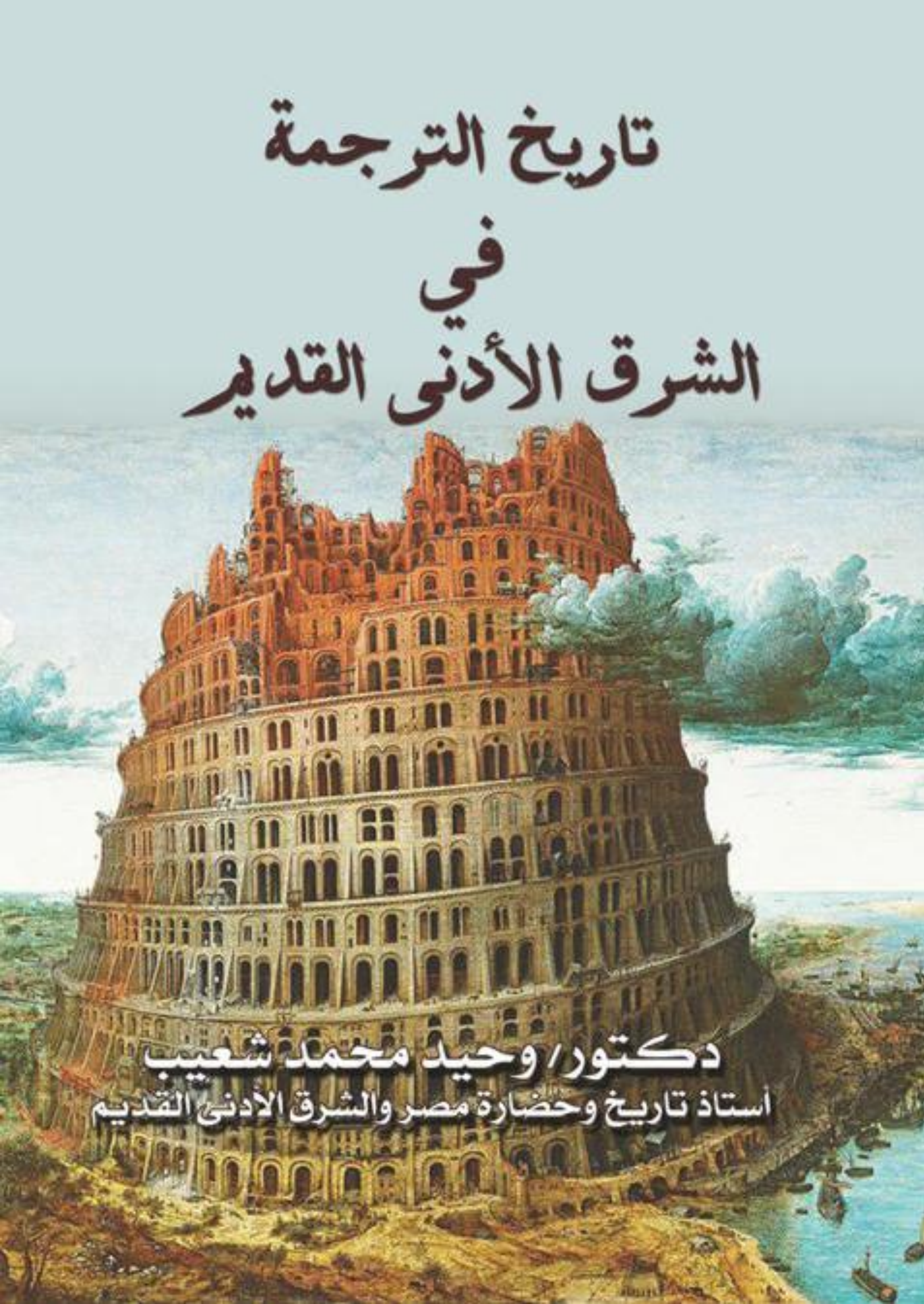


تاريخ الترجمة في الشرق الأدنى القديم

دكتور/ وحيد محمد شعيب
أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم

تاريخ الترجمة

في

الشرق الأدنى القديم

دكتور/ وحيد محمد شعيب

أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم

٢٠٢١ م

تاريخ الترجمة في الشرق الأدنى القديم

وحيد محمد شعيب

الطبعة الأولى

المنصورة، ٢٠٢١ م

wmshoaib@mans.edu.eg

رقم الإيداع ٢٠٢١/١٤٧٥٢ م

الترقيم الدولي ٦٨٧٩٥٣٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨

إهـــداء

أهدي هذا الكتاب إلى روح أبي الحبيب وروح أمي الغالية، تغمدهما الله بواسع رحمته ومغفرته ورضوانه وأسكنهما فسيح جناته وأنزلهما منازل الصديقين والصالحين.

فهرس المحتويات

مقدمة

أثبتت كافة الشواهد التاريخية والأثرية بما لا يدع مجالاً للشك أن منطقة الشرق الأدنى القديم هي مهد الأصول الأولى للعلوم والمعارف الإنسانية، وأن شعوبها قد سبقت اليونانيين والرومان في الحضارة والتمدّن والعمران بما يزيد عن ألفي سنة. فقد تمتع الإنسان الشرقي القديم بعقلية خلّاقة مبدعة مكّنته من تحقيق ذلك مدفوعاً باستجابته وتفاعله الإيجابي مع مقدرات بيئته السخية والمعطاءة، فضلاً عن أسبقيته في ابتداع الكتابة التي كانت أهم الخطوات المبتكرة نحو إرساء أولى الحضارات الأصيلة. وهذا الابتكار الحضاري الهام الذي نقل البشرية من عصور بدائية همجية إلى أخرى تاريخية متحضرة قد وهبه الفينيقيون الشرقيون لاحقاً إلى اليونانيين الذين نقلوه بدورهم إلى الإتروسكيين ومنهم إلى الرومان ليصبح أصل الكتابات الأوربية المعاصرة. كما أنه يمثّل الوسيلة الوحيدة لتدوين وحفظ اللغة والترجمة وكل مايصاحبهما من إبداعات فكرية وثقافية. ولذا كان من البديهي أن يقوم الإنسان الشرقي القديم لأول مرة في تاريخ الإنسانية بتأسيس وترسيخ الصروح المعرفية والمهنية للترجمة والمترجمين منذ حوالي الألف الثالث قبل الميلاد.

ولكن للأسف لم تحظ هذه الحقيقة الثابتة بما تستحقها من اهتمام من جانب الباحثين في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، بل تكاد تكون شبه غائبة في مؤلفاتنا وبحوثنا العلمية العربية. كما لم تحظ أيضاً بنصيب وافر في البحوث والدراسات العلمية الأجنبية، وكل ما هو مطروح عنها لا يخرج عن بضعة بحوث متفرقة وقليل من المعلومات المتناثرة هنا وهناك والتي تتطلب جهداً مضاعفاً في الحصول عليها واستخلاص المفيد منها خصوصاً أن بعض أصحابها من غير المتخصصين. ونتجت عن ذلك ندرة المعلومات المتاحة عن الترجمة والمترجمين في تاريخ وحضارة منطقتنا الشرقية خلال عصورها القديمة، علاوة على الفكرة المغلوطة المترسخة في أذهان الكثيرين وهي صعوبة البحث عنهم ورصدهم وضبابية المشهد التاريخي والحضاري

المشاركين في صناعته وتأريخ ظهور الترجمة بلعنة إلهية ميثو–توراتية. ومن هنا تكمن أهمية هذا الكتاب ليس فقط كونه الأول في هذا الاتجاه، بل أيضاً لإبراز صورة الترجمة والمترجمين والكشف عن أهمية وفاعلية أدوارهم وإسهاماتهم المؤثرة في الارتقاء بالتراث الإنساني وتقدم هذه المنطقة وما جاورها من مناطق العالم القديم فكرياً وثقافياً. فضلاً عن المناقشات والآراء والمادة التاريخية والأثرية واللغوية المطروحة عبر صفحات هذا الكتاب والتي يُؤمل أن تفيد الباحثين المختصين بالدراسات التاريخية والأثرية للشرق الأدنى القديم وكذلك المختصين بالدراسات الفيلولوجية والترجمية.

ويتألف هذا الكتاب من ثلاثة فصول رئيسية تبدأ بالبدايات الأولى لنشأة الترجمة في مهدها الشرقي القديم وعلاقاتها التاريخية والميثولوجية بلغاته وأنظمة كتاباته المختلفة، وتنتهي بميادين الترجمة وضروراتها المختلفة وأنشطة المترجمين المتنوعة في جميع مناشط الحياة وفقاً للمصادر التاريخية والأثرية. ويضم كل فصل من تلك الفصول الثلاثة عدة موضوعات متسلسلة ومترابطة بخيط فكري واحد بغرض تحقيق الأهداف المرجوة من وراء هذا الكتاب. وأهم هذه الأهداف هو الكشف عن تاريخ الترجمة والمترجمين وتتبع أدوارهم وإسهاماتهم في إرساء الأسس الحضارية العالمية ومبادئ الإرث الروحي والأخلاقي والمعرفي الذي لا تزال روحه سارية في الحياة الإنسانية المعاصرة. فالفصل الأول الموسوم بعنوان "الترجمة واللغة بين الميثولوجيا والتاريخ"، يناقش ويحلل في أولى محاوره البحثية موضوع ثالوثية الفكر الإنساني المتمثلة في اللغة والكتابة والترجمة وارتباطاتهم المشتركة وغاياتهم الوظيفية الاتصالية – التفاهمية بين المجتمعات الإنسانية قاطبة كونهم أدوات النقل الزمكاني الفكري والثقافي. علاوة على مناقشة المحور الثاني لإشكالية نشأة اللغة والترجمة بين القداسة واللعنة الإلهية والتي تنبئ بالعقلية الأسطورية والخرافية لأصحابها نتيجة جهلهم لظهورهما. وكذلك تسليط الضوء على الأصول التوراتية حول بلبلة اللغات وارتباطها بأصل الترجمة وعلاقة ذلك بالطبيعة الميتا – تاريخية للعقلية الإسرائيلية وما اتصفت به من تصلب وانغلاق وتشبعها بالتعصب والحقد تجاه الأغيار. كما يُبرز المحور الثالث مسألة تأثر التقليد العبري بالترجمات الميثولوجية المستقاة من

التراث الشرقي القديم حول القداسة اللغوية، وما ترتب على ذلك من صراعات أيديولوجية لاحقة ليس فقط في التقاليد الثيولوجية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلامية، بل أيضاً في ساحة الفكر السياسي القومي. أما المحور الرابع والأخير من محاور هذا الفصل فهو يعرض الآليّات المختلفة التي كان من شأنها فتح الأبواب على مصاريعها للترجمة والمترجمين لتجسير فجوة التمايز والاختلاف اللغوي والسعي نحو خلق وحدة حضارية. وقد اكتملت المقومات التأسيسية لهذه الوحدة الحضارية بالمشروع الحضاري الهلينستي للإسكندر الأكبر حينما نقل الشرق القديم معرفته المتراكمة الموحَّدة إلى الحضارة اليونانية ومنها إلى الحضارة الإسلامية، وما كان ذلك ليتم سوى بفضل الترجمة والمترجمين.

وبخصوص الفصل الثاني الذي يحمل عنوان "الساميين وأثرهم في حركة الترجمة"، فإنه ينطلق من إشكالية وصف بعض المستشرقين للعقلية السامية بالضعف والفشل وتجريدها من كل عبقرية، مُوعِزين ذلك إلى غريزة فطرية طبّعتها بالجمود والتحجر. وخطورة هذا الوصف الاستشراقي للعقلية السامية في حال صحته تنطوي على آثاره وانعكاساته السلبية على مجال الترجمة والمترجمين. ولذا كان ضرورياً البحث في عدة محاور بحثية متنوعة عن مدى مصداقية هذا الوصف الجائر وإثبات تميز العقلية السامية وأصحابها الساميين بالمرونة والتطور والإبداع إضافة إلى دورهم البنّاء والفعّال في نشوء عملية الترجمة ومهنة المترجمين. واقتضى ذلك تخصيص ثلاثة محاور للبحث في الإشكاليات المتعلقة بالساميين والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعملية الترجمة ومهنة المترجمين مثل مناطق انتشارهم العرقي واللغوي وما صاحبها من احتكاكات حضارية أثمرت في نهاية المطاف عن انتصار اللغة العربية الفصحى. فقد فرضت هذه اللغة العريقة سلطانها على بقية أخواتها الساميات، وتمكنت من توحيد المنطقة في وحدة لغوية واحدة والقيام بدور محوري في تقدم حركة الترجمة على غرار شقيقتيها الساميتين الأكَّادية والآرامية. واهتم رابع المحاور برصد وتتبع اللغات السامية العالمية الثلاث (الأكّادية – الفينيقية – الآرامية) التي شهدتها المنطقة في عصورها القديمة، وإسهاماتها في ازدهار حركة الترجمة العالمية قبل أن تأخذ لاحقاً اللغتان اليونانية والعربية موقع الصدارة وتحتل

بامتياز هذه المكانة العالمية. كما أبرز المحور الخامس تفرد العقلية السامية على مدى تاريخها القديم بالانفتاح والامتزاج الحضاري وقبول الآخر وحفظ وترجمة التراث الإنساني، فضلاً عن نجاح الساميين في تكييف وتعديل وتطوير ما كانوا يرثونه من أسلافهم وبصورة مختلفة تتناسب ونسيجهم العقلي والفكري. أما آخر محاور هذا الفصل فقد تناول انتشار مؤسسات الترجمة على الصعيدين الرسمي والفردي في المنطقة السامية وريادة الساميين في تأليف المعاجم اللغوية قبل غيرهم من اليونانيين والرومان بما يزيد عن ألفي سنة.

وبالنسبة للفصل الثالث والأخير الموسوم بعنوان" الترجمة والمترجمون في المصادر الأثرية"، فهو يبحث في محاوره الخمسة عدة موضوعات هامة حيث تتناول المحاور الثلاثة الأولى حاجات الترجمة المتنوعة والمتعددة وأنشطة المترجمين المختلفة في المؤسسات التعليمية والاقتصادية والدينية والسياسية والعسكرية من خلال المصادر الأثرية المصرية والعراقية والفينيقية. فضلاً عن مناقشة وتحليل ومقارنة العديد من الظواهر المتعلقة بالترجمة مثل افتقار الحضارة المصرية القديمة إلى تأليف المعاجم اللغوية والازدواج اللغوي والمناهج الدراسية المزدوجة وتفاخر الملوك بإتقان لغات أجنبية خلافاً لما كان موجود في الحضارة العراقية القديمة. كما تقدم تلك المحاور البحثية نظرة تأريخية جديدة لصور المترجمين في هاتين الحضارتين استناداً على المناظر الفنية، وهي المناظر التي تصور أقدم صور المترجمين في تاريخ الإنسانية. ويهتم المحور الرابع بدراسة الوثائق الأثرية ثنائية اللغة ومتعددة اللغات المعروفة اصطلاحاً بتسمية "حجر رشيد" نظراً لكونها تمثل مفتاح حل رموز وطلاسم اللغات الشرقية القديمة في العصر الحديث، والولوج إلى معرفة عراقة وأصالة الحضارات الشرقية القديمة. علاوة على دور اللغات الشرقية القديمة كالمصرية والأكَّادية والفينيقية والآرامية في قيامها بنفس دور "حجر رشيد" في الكشف عن لغات شرقية قديمة أخرى مجهولة كاللوفية والليكية والليدية واللوبية من خلال الترجمات ثنائية اللغة ومتعددة اللغات المنقوشة في تلك الوثائق الأثرية الخالدة. ويستعرض المحور الخامس والأخير بعض النماذج الأثرية الأخرى المتضمنة

نصوص ثنائية اللغة ومتعددة اللغات كشواهد إضافية على ازدهار حركة الترجمة في منطقة الشرق الأدنى القديم.

الفصل الأول

الترجمة واللغة بين الميثولوجيا والتاريخ

الفصل الأول

الترجمة واللغة بين الميثولوجيا والتاريخ

ثالوث الفكر الإنساني: اللغة – الكتابة - الترجمة

من المحتم أن يقود الحديث عن الترجمة إلى الحديث عن اللغة ووعائها الحضاري المتمثل في الكتابة لاقترانهم ببعضهم بعضاً، فهم عناصر مترابطة ومتداخلة يؤثر أحدهم في الآخر ويتأثر به، وجميعهم مرتبط بغاية حضارية واحدة وهي الإبداعات الفكرية والثقافية. فضلاً عن ارتباطهم بوظيفة اتصالية واحدة من خلال قيامهم بوظيفة الاتصال والتفاهم سواء بين أفراد المجتمع الواحد عبر اللغة والكتابة، أو بوظيفة الاتصال والتفاهم بين المجتمعات الإنسانية قاطبة بواسطة الترجمة والكتابة. ولا يمكن إتمام هذه الوظيفة إلا بوجودهم معاً لكونهم أداة الوصل التي يمكن من خلالها التوصيل الحضاري والنقل الفكري والثقافي والتعبير عن أفكار ومعاني ورغبات الأفراد والمجتمعات البشرية. ولا تخضع هذه الوسيلة الاتصالية للقوانين الزمكانية الآنية إذ إنها عابرة لحدود الزمان والمكان وتصل البشرية بماضيها وحاضرها ومستقبلها وتحافظ على موروثاته التاريخية والحضارية الممتدة عبر التاريخ الإنساني من الاندثار والنسيان.[١]

وإذا كان السبب الرئيسي في وجود الترجمة هو تكلم البشر بلغات مختلفة[٢] على اعتبار أنها الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها تجاوز التعددية اللغوية والثقافية والعرقية الهائلة للعالم على مر العصور التاريخية، فإن اللغة هي أرقى ما يميز الإنسان. ويتجلى ذلك في حتمية وجودها لاتمام وعيه وإدراكه للأشياء بواسطتها، وبدونها لا معرفة ولا علم ولا فن ولا أدب ولا فلسفة ولا ترجمة، ولذا تُعدّ ملتقى النشاطات الفكرية البعيدة والقريبة في

---

[١] انظر: مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، ١٩٨٥)، ١٧٦–١٧٧، ١٨٥– ١٨٧، ٢٠٤، ٢٨٢.

[٢] G. Steiner, After Babel, Aspects of Language and Translation, (London and Oxford, 2001), 51.

الوجود الإنساني.[٣] ونظراً لأهمية اللغة والترجمة ودورهما الكبير في تشكيل الوعي الفكري والتاريخي والحضاري للإنسانية، فقد أرَّخ الفيلسوف والمفكر الألماني كارل ياسبرس بداية وأصل العالم الحديث بمنتصف الألف الأول قبل الميلاد، مطلقاً عليه تسمية "العصر المحوري" حيث ظهرت فيه الكتابات الأدبية والروحية العظيمة التي لا تزال تعيش البشرية على قراءتها وترجمتها، وهي التآليف التي مهدت السبيل إلى خلق عالم جديد يتمحور حول الفهم المؤلف من تقاليد شرقية وغربية مختلفة عبر ثلاثة آلاف عام. فلا لغة ولا ترجمة إلا حيث يكون الفهم الذي بدوره يساعد على توطيد التفاهم والعلاقات الودية بين الناس ويُقرّب بينهم.[٤] وبالتالي تتلاقى كل من الترجمة واللغة، ومعهما بالطبع الكتابة، في بوتقة فكرية واحدة كونهم أوعية النقل الثقافي وأقنية التوصيل الحضاري، وأحد الأنشطة الفكرية المقصورة فقط على الإنسان والذي يقوده إلى التراكم المعرفي، ويميزه عما سواه في التواصل والارتقاء والإبداع الحضاري. كما أن تنوع وثراء وحيوية وتطور الترجمات في مسيرة الإنسان الخالدة عبر الزمان والمكان ليست سوى انعكاس لديناميكية الاحتكاك والتفاعل في لغاته. فالتلاقح الفكري الفعّال والمتطور بين اللغات المختلفة قد عمل على تهيئة أرض خصبة لظهور الترجمة التي اصطبغت بصفاتها الخلاّقة وأنتجت ثماراً يانعة وخالدة في كافة الميادين الأدبية والروحية والفكرية والثقافية.

وتصب معظم التعريفات اللغوية للترجمة والمترجم في بوتقة واحدة مفادها أنها عملية استبدال لنص في لغة أصل أو مصدر إلى ما يقابله أو يعادله في لغة هدف، بحيث تنفث الأولى روحها في الثانية. فالترجمة عملية تحويل إنتاج كلامي في إحدى اللغات إلى إنتاج كلامي في لغة أخرى مع المحافظة على جانب المضمون الثابت، أي على المعنى.[٥] فقد ورد في لسان العرب لابن منظور عن لفظة "ترجمان": "ترجم: التُرْجُمان

---

[٣] رضوان القضماني، علم اللسان (بيروت، ١٩٨٤)، ٨.

[٤] انظر: K. Jaspers, Vom Ursprung und Ziel der Geschichte, (Munich, 1949), passim.

[٥] شحادة الخوري، الترجمة قديماً وحديثاً (سوسة، ١٩٨٨)، ١٥، ١٦.

والتَرْجُمان، بالضمة والفتحة، المُفسِّر للسان".[٦] وجاء في المعجم الوسيط: "ترجم الكلام: بيَّنه ووضَّحه ونقله من لغة إلى أخرى".[٧] وتثبت الشواهد الشعرية[٨] والأحاديث النبوية الشريفة أن كلمة الترجمان تختص بالترجمة الشفوية، وأن العرب لم يميزو كنظرائهم من الشعوب الأخرى بين الترجمان والمترجم واستعملوهما كمترادفين. ففي حديث أخرجه البخاري في صحيحه:" وليلقينّ الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا تَرجُمانٌ يترجم له، فليقولنّ له: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول ألم أعطك مالاً وأُفضِل عليك؟ فيقول: بلى يارب."[٩] ولكن الدراسات الترجمية Translation Studies، وانطلاقاً من وظيفة كل واحد منهما، تقسم الترجمة إلى قسمين رئيسيين: الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية، وقد وضعت كلمة الترجمان (وجمعها تراجمة) مقابل Interprète الفرنسية وInterpreter الإنجليزية و Dolmetscher الألمانية، والمترجم (وجمعها مترجمون) مقابل Traducteur الفرنسية وTranslator الإنجليزية و Übersetzer الألمانية. فالأول يعتمد الشفوية، في حين أن ميدان الثاني هو النصوص الخطية المكتوبة.[١٠]

وتشير كافة البراهين التاريخية والأثرية إلى أسبقية إنسان الشرق الأدنى القديم في إرساء الأسس المعرفية والمهنية للترجمة والمترجم لتلبية الاحتياجات الملحة الناجمة عن النمو المطرد في الاتصال المادي والفكري المتبادل خلال الألف الثالث قبل الميلاد. فالعلاقات التجارية وما يواكبها من اتصالات ثقافية بين أمم الشرق الأدنى القديم المتمدنة

---

[٦] ابن منظور، لسان العرب (بيروت، ١٩٩٢)، ١٢:٢٩٩ (مادة رج م)

[٧] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (اسطنبول، ١٩٨٩)، ٨٣.

[٨] قال المتنبي:"ملاعب جنة، لو سار فيها سليمان لسار بِتَرجُمانِ". انظر: الحموي، معجم البلدان، ج ١، ٥٠٤.

[٩] ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ٢٠٩.

[١٠] انظر: بول ريكور، عن الترجمة، ترجمة حسين خمري (الجزائر، ٢٠٠٨)؛ وفاء ساكري، إشكالية ترجمة المصطلح النقدي العربي في كتاب الترجمة والمصطلح لـ "السعيد بوطاجين"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة – قسنطينة (الجزائر، ٢٠١٦)، ١٧.

قد استدعت ضرورة وجود مترجمين بارزين لتيسير التواصل والتفاهم وتعزيز جسور التعاون في شتى المجالات المتنوعة. علاوة على أنه ظهرت في بلاد النهرين أولى الثنائيات اللغوية القائمة على حركة ترجمة تراث ثقافي وفكري وروحي من لغة إلى أخرى حيث تُرجمت النصوص السومرية إلى اللغة الأكَّادية. فضلاً عن تأليف نصوص معجمية سومرية – أكَّادية غير مقصورة على ترجمة المفردات فحسب، بل تضمنت أيضاً التعبيرات والاصطلاحات اللغوية والفنية في مناحي الحياة المختلفة. وكان من البديهي أن يترتب على ذلك ولأول مرة في التاريخ الإنساني منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير أن سجلت كل من النصوص المصرية القديمة والنصوص السومرية الكلمات الدالة على الترجمة والمترجم. فقد أطلق المصريون في فترة الأسرتين الخامسة والسادسة (القرنان الخامس والعشرين والرابع والعشرين قبل الميلاد) من عصر الدولة القديمة تسمية "إعاو *iꜥꜣw*" على المجموعة المصاحبة للمبعوثين الرسميين إلى البلاد الأجنبية للدلالة على المترجمين والحالة الدالة على عملية الترجمة. وكان من رؤسائهم من كبار حكام أسوان الذين تكفلوا بأعمال الكشف وترويج التجارة يحملون لقب "إمي–را إعاو *jmy-rꜥ iꜥꜣw*" بمعنى "المشرف على المترجمين.[١١] كما أوردت آنذاك النصوص المسمارية السومرية الاصطلاح السومري الرئيسي "إيمي – بال *eme-bal*" بمعنى "مُبَدّل أو مُغَيّر اللسان" للإشارة إلى الشخص القادر على الانتقال من لغة إلى أخرى وهو المترجم، بالإضافة إلى الاصطلاح الآخر "انيم – بال *inim-bal*" بمعنى "يترجم"، وكذلك "كا – بال *KA – bal*" والذي يقابله الاصطلاح الأكَّادي "نا – بالو *nā-palû*" ومعناه "مترجم".[١٢]

---

(١١) A. H. Gardiner, The Egyptian Word for 'Dragoman', PSBA 37 (1915), 117-125.

(١٢) انظر: I.J. Gelb, The Word for Dragoman in Ancient Near East, Glossa 2 (1968), 94-95; J.A. Black, A.R. George, J. N. Postgate, A Concise Dictionary of Akkadian, (Wiesbaden, 2000), 238; S. Seminara; Beyond the Words, Some Consideration about the Word "to Translate" in Sumerian, Vicino Oriente 18 (2014), 7-13.

واحتفظت المعاجم السومرية – الإيبلوّية ثنائية اللغة والمكتشفة في مملكة إيبلا السورية والتي يعود تاريخها إلى عام ٢٣٥٠ ق.م بنفس التسمية السومرية وذكرتها بالشكل "إيمي – بالا *eme-bala*"، ونقلتها إلى لغتها السامية الشمالية الغربية بنفس المعنى السومري. ثم ظهر في الألف الثاني قبل الميلاد الاصطلاح الأكَّادي السامي الدال على المترجم وهو "تُرْجومانّو *targumannu*" والذي شاع استعماله في النصوص الآشورية المكتشفة في مستوطنات الآشوريين التجارية في كابادوكيا بالأناضول خلال القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. واشُتقت من هذا الاصطلاح الأكَّادي الكلمات الأخرى بعدة صيغ مختلفة مثل: الصيغة الآرامية "تورجمينا *tūrgĕmānā*" بمعنى مترجم و "تَرجوم *targum*" بمعنى ترجمة، والصيغة العبرية "تُرجمان *Turgeman*" أو "مِتُرجمان *Meturgeman* للدلالة على المترجم، و"ترجوم *Targum*" للدلالة على الترجمة،[١٣] والصيغة الأوجاريتية "تَرْجوميانو *targumiyānu*"، والصيغة الحيثية "تَرْكُوميا *tarkummiya*"، والصيغة العربية "تَرجُمان *tarjumān*" التي بدورها أدخلتها إلى التركية بصيغة "تِرجُمان *tercüman* (*dragoman*) بمعنى ترجمان. كما دخلت نفس الكلمة السامية القديمة في اللغات اللاتينية بعدة أشكال مختلفة مثل: *trujaman*، *truchement*، *turcimanno*، وفي اليونانية *dragoumanos* (*δραγομάνος*)، وكذلك في اللغات الأوربية الحديثة مثل الإنجليزية *Dragoman* والإيطالية "دراجومانو *Dragomanno*" والألمانية "دولمتش *Dolmetsch*".[١٤]

ولم تكن كلمة "لغة" تعني قديماً في معناها ومفهومها كما تدل عليه في الوقت الحاضر وذلك لما أصابها من تطور لغوي كبير في معانيها المختلفة ودلالاتها وتشعب

---

(١٣) E. Würthwein, The Text of the Old Testament: An Introduction to the Biblia Hebraica, Translated by: E.F. Rhodes (Michigan, 1995), 79.

(١٤) انظر: Gelb, The Word for Dragoman, 97-102; F. Starke, Zur Herkunft von akkad. ta/urgumannu(m) "Dolmetscher", WO 24 (1993), 20-38; J.V. G. Trabazo, "Hethitisch tarkummāe : ein etymologischer Vorschlag". In, Proceedings of the Eighth International Congress of Hittitology, Warsaw, 5-9 September 2011, P. Taracha (edit.), (Warsaw, 2014), 296-307.

فروعها؛[١٥] لأن من طبيعة اللغات أن تكون دائمة التغيير إذ لا يمكن أن تقف على حالة حالة واحدة زمناً طويلاً بل تتسع وتنمو بنمو عقل الإنسانية وتقدمها في الحضارة والمدنية.[١٦] فقد كان العرب مثلاً يستعملون في كلامهم كلمة أخرى هي "اللسان" للدلالة على اللغة والتعبير عن أفكارهم، والتي تُعدّ الكلمة المشتركة باللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية وكذلك بقية اللغات الأخرى.[١٧] فالعراقيون الساميون قد استخدموا هذه المفردة بصيغة "لِشانُ" للدلالة على لغتهم ولغات الأمم القديمة المجاورة لهم،[١٨] ولذا عرّف الأكَّاديون لغتهم في النصوص المسمارية بأنها "لِشان أكَّاد" أي اللسان الأكَّادي، وهي تسمية منسوبة إلى عاصمتهم، وهي مدينة أكَّاد التي يظن أنها تقع بالقرب من مدينة بابل الأثرية حيث لم تكشف التنقيبات بعد عن آثارها أو تحدد موقعها بدقة.[١٩] كما استعمل العراقيون الساميون الصيغة الأكَّادية "لِشان شوميريم" للتعبير عن اللسان السومري، أي اللغة السومرية [٢٠] في مقابل التسمية التي أطلقها السومريون أنفسهم على لغتهم وهي "إيمي– كي – اين – جي *eme - ki - en – gi*"[٢١] والتي تعني حرفياً "لسان أرض سيد القصب".[٢٢] كما ذكرت النصوص المسمارية تعدد الألسنة بين أهلها السومريين حيث أوردت عدة تعبيرات دالة على تنوع لهجاتها ومنها تعبير "ايمي – جَير *eme-gir*" بمعنى اللسان الأميري أو اللسان الفخم، وتعبير "ايمي –

---

[١٥] انظر: حاتم علو الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، مجلة دراسات تربوية (العراق)، مج ٢، ع ٦ (٢٠٠٩)، ١٩٦.

[١٦] أ. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، (القاهرة، ١٩٢٩)، ٢١٨، ٢٦١.

[١٧] انظر: حاتم الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، ١٩٦.

[١٨] A.C. Piepkorn, Historical Prisms of Ashurbanipal, (Chicago, 1933), 16-17

[١٩] عامر سليمان، اللغة الأكدية (البابلية – الآشورية)، (الموصل، ٢٠٠٥)، ٩٣.

[٢٠] خالد حيدر عثمان العبيدي، اللغة السومرية وأثرها في اللغة الأكدية، رسالة دكتوراة غير منشورة، (الموصل، ٢٠٠٦)،٣.

[٢١] عامر سليمان، الكتابة المسمارية (بغداد، ٢٠٠٠)، ٢٦.

[٢٢] خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٤.

سال *eme-sal*" أي لسان النسوة.[٢٣] علاوة على أن العبرانيين (العبريون) قد عبَروا عن لغتهم العبرية بالتعبيرين: "سْفَت كنَعَن"، أي شفة أو لغة كنعان، و"ليشون كنعن"، بمعنى لسان أو لغة كنعان.[٢٤] وكذلك عرّف المصريون القدماء لغتهم بلفظ "را" بمعنى "لسان" إضافة إلى كلمة "مدت" بمعنى "كلام" حين ردّدوا في نصوصهم: "را – إن – كيمت"، أي "لسان مصر"، و"مدت – إن – كيمت"، بمعني "كلام مصر"، و"مدت – رمث – إن – كيمت"، أي "كلام أهل مصر"،[٢٥] و"مدت – نثر"، أي "الكلام الإلهي أو المقدس".[٢٦] كما يُعبّر عن اللغة في الفارسية بكلمة "زَبان" بمعنى اللسان (الفارسي)،[٢٧] وهي الكلمة المستعملة أيضاً بنفس المعنى في اللغات الأوربية المعاصرة مثل كلمة tongue الإنجليزية وكلمة langue الفرنسية.[٢٨]

واللغة في أبسط تعريفاتها وأدقها هي نظام من الرموز الصوتية التي تعبر بها كل أمة من الأمم وتشيع بين أفرادها الذين يستخدمون هذه الأصوات المنطوقة والمسموعة أداةً للتعبير الإنساني عن أغراضهم وأخبارهم وإيصال الأفكار والعواطف والرغبات. علاوة على أنه في استخدامهم لهذه الرموز ما يمكنّهم من التعامل فيما بينهم للتعبير عن الدلالات المقصودة. وعليه، فهي العمل العقلي المتكرر دائماً لإبراز الفكر الإنساني في أصوات منظمة وألفاظ مؤتلفة نظراً لأنها تطلق على النطق والتكلم والقوة الناطقة، وكذلك

---

[٢٣] خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٢٨–٢٩.

[٢٤] L.E. Ugwueye, Language of the Old Testament: Biblical Hebrew “The Holy Tongue”, AJIS 4/1 (2015), 129.

[٢٥] انظر، عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها (القاهرة، ١٩٨٠)، ١٣.

[٢٦] Wb 2, 180-182 وانظر: عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة (القاهرة، ٢٠١١)، ٣١.

[٢٧] اياد محمد حسين، العوامل المؤثرة في تطور اللغة الفارسية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، جامعة بابل، مج ٣، ع ١(٢٠١٣)، ٢٦٧.

[٢٨] انظر: رقية بامبارك، اللغة اللوبية القديمة من خلال المصادر المادية والكتابية منذ فجر التاريخ إلى العهد النوميدي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم العلوم الإنسانية، جامعة ادرار (الجزائر، ٢٠١٦)، ٦٢–٦٣.

الألفاظ التي يعبر بها المتكلم عما يخالج نفسه من المعاني الآتية إليه من الإحساس والشعور وقوى التفكير. وتُعدّ اللغة من أهم مميزات الإنسان الاجتماعية؛ لأنه يصير من خلالها الكائن الوحيد الذي يتمكن من ***ترجمة*** المعاني والأفكار التي تدور في رأسه والمشاعر التي يجيش بها خاطره إلى ألفاظ وعبارات مفهومة مع أبناء مجتمعه. وطالما أن للغة طبيعة إنسانية وصوتية ووظيفة اجتماعية وحضارية، فهي ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات. فضلاً عن أنه يتم استخدامها والتعبير بها باعتبارها الوسيلة الرئيسية للتفاهم البشري ونشأة المعرفة الإنسانية وتكوينها وتطورها ونقل الفكر في المجتمع الإنساني حيث يمارسها أفراده ويتوارثونها من جيل لآخر. كما أنها ترتبط أيضاً بالمجتمعات الإنسانية ارتباطاً عضوياً كونها أحد أهم أنظمته التكوينية، فهي نتاج عقلها الجمعي وذاكرتها الحية والشاهد الصريح على استمرار هوياتها ومرآة خصائصها النفسية والمصدر الأهم للتعرف على الملامح الخاصة بكل منها.[٢٩]

وإذا كانت طبيعة اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة، فالكتابة في أحسن أحوالها محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي، علاوة على أنها محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، فاللغة تُسمع بالأذن والكتابة تُرى بالعين. ولهذا تُعدّ الكتابة ليس فقط محاولة من أجل ***ترجمة*** الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، بل هي أيضاً محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمني إلى البعد المكاني، فالظواهر الصوتية تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة تتتابع في المكان.[٣٠] وقد مكنت الكتابة الإنسان من التفكير والإبداع الذاتي والجمعي والكوني، وقدمت له الوسيلة لتدوين سجلاته الحافلة بكافة نشاطاته المختلفة وتجاربه ومعارفه

---

[٢٩] انظر: حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة (دمشق، ١٩٩٠)، ٢٧-٦٦؛ محمود فهمي حجازى، أسس علم اللغة العربية (القاهرة، ٢٠٠٣)، ٧-٨، ١٠-١٧؛ حاتم الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، ١٩٥، ١٩٧-٢٠٠.

[٣٠] محمود فهمي حجازى، أسس علم اللغة العربية، ٩-١٠؛ حاتم صالح الضامن، علم اللغة (بغداد، ١٩٨٩)، ١٥٥.

وحفظها للأجيال المقبلة. كما أنها ساعدته على الإطلاع والوقوف على حقائق ومجريات الأحداث الماضية وما فيها من تجارب وممارسات، فضلاً عما تحقق من إنجازات في شتى المجالات المادية والفكرية المختلفة. وهكذا كانت الكتابة الوسيلة التي اجتاز بها الإنسان حواجز الزمان والمكان. فلم يعد هناك عوائق تحول دون اتصال الإنسان بأخيه الإنسان بغض النظر عن الزمان والمكان بعد أن كان مقيداً لا يتمكن من الاتصال بغيره إلا إذا كان في ذات الزمان والمكان نفسيهما الذي يعيش ويوجد فيهما. وقد عبّر مؤلف مصري قديم عن خلود الكتابات الكلاسيكية وأصحابها المبدعين في ذاكرة الأجيال المتعاقبة عبر ديمومة الاتصال الزمكاني وذلك بقوله:

لم يبتكروا لأنفسهم أهرامات برونزية
ولا لوحات حديدية؛
ولم يبدعوا في أن يتركوا ورثة في شكل أطفال،
لكي تبقى أسماؤهم باقية على قيد الحياة.
لكنهم ابتدعوا لأنفسهم كتباً كورثة
وتعاليماً كتبوها.
لقد استخدموا اللفافة ككاهن مرتل
ولوح الإردواز بمثابة "ابن محبوب."
فالتعاليم أهراماتهم،
وقلم البوص أولادهم،
وسطح الحجر المصقول زوجاتهم.
لقد نُسيت مقاصير قبورهم،
ولكن يتم استذكار أسمائهم في كتاباتهم التي اختلقوها،
لأنها تدوم بفضل إبداعها.

إن ذكرى مبدعيها خالدة للأبد.[٣١]

وقد تكون هذه الكتابات الخالدة هي السبب الجوهري في إثارة الحيرة والقلق في نفوس المؤلفين المعاصرين والمهمومين بالتجديد والابتكار في عالم الكلمة المكتوبة وديناميه التطور الفكري، وهذا ما عبّر عنه مؤلف مصري آخر عاش في بداية الألف الثاني قبل الميلاد إذ يقول:

لو كان لديّ فقط عبارات غير معروفة وتعبيرات نادرة،
خطاب جديد لم يظهر بعد، وخالٍ من التكرار،
وليست الحِكَم الموروثة التي استخدمها الأجداد!
فإنني أروي بدني بكل ما تحتويه
وأخلِّصه من كل كلماتى.
لأن ما قيل هو التكرار
وما من شيء يُقال غير الذي قِيلَ.
ولا يمكن للمرء التفاخر بكلام الأجداد
لأن الأخلاف سوف يكتشفون ذلك.
فليتني أعرف مايجهله الآخرون، وما هو ليس بتكرار.[٣٢]

وهنا تبرز مدى أهمية دور الكتابة لكل من اللغة والترجمة في عملية نقلهما من المجال الشفهي القابل للضياع والنسيان والالتباس والجمود إلى المجال التحريري المتسم بالإبداع التراكمي المحفوظ. فالكتابة التي تُعدّ أحد الابتكارات الخلاّقة لإنسان الشرق القديم في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، هي عامل الإبداع الثقافي التي تبعث على التغيير والابتكار، وهي عامل الذاكرة الثقافية التي تحافظ على الماضي والحاضر وتسمح بالرجوع والولوج إلى النصوص والأفكار السابقة. إنها عامل لكل من عمليتي التسارع

---

[٣١] J. Assmann, From Akhenaten to Moses, (Cairo - New York, 2014), 86-87.

[٣٢] Assmann, From Akhenaten to Moses, 82-83.

والحفظ، وعامل تغيير وديمومة واستمرارية، بالإضافة إلى كونها عامل للتقدم والتطور الذي يؤكد على مظهرها التمكيني باعتبارها تقنية ثقافية. وبتحرر الكتابة من مجالها الاقتصادي رغم نشأتها الأولي بين أحضانه لخدمة القطاع الاقتصادي في المعابد والقصور الملكية، وانطلاقها صوب مجال الذاكرة الثقافية ودخولها فيه، فإنها تعمل على أمرين حيويين: نقل التراث الشفهي وتحويله إلى نصوص أدبية مكتوبة، وإنشاء نصوص أخرى جديدة تمتاز بالأصالة والعقلنة. وتم بهذين الأمرين تمهيد السبيل إلى الإبداع اللغوي والفكري، وإفساح المجال للترجمة لكي تقوم من ناحية بدورها في عملية الانتقال والتلاقح الحضاري بين الأمم والشعوب، وأن تمارس من ناحية أخرى وظيفتها الفكرية والثقافية. كما لم تغب الترجمة عن الذاكرة التاريخية المحفوظة حيث ساعدت على نمو وارتقاء الوعي التاريخي وتموضعه مكان الميثولوجيا وإعادة صياغتها من جديد وذلك بترجمة تراث الشرق الأدنى القديم من مصادره المادية والفكرية الأصلية إثر اكتشافها أواسط القرن التاسع عشر.[٣٣] وهكذا خلق الفكر الإنساني الميثولوجيا عن طريق اللغة التي حفظتها في وعائها الكتابي حيث نقلتها الترجمة وسعت إلى نشرها في العصور القديمة، ثم أعادت الترجمة العلمية الحديثة اكتشاف حقيقتها عبر إحياء اللغة والكتابة اللتين عملا على تشكيلها وتأطيرها سابقاً.

ومن الملاحظ أن الكتابة أكثر محافظة على شكلها وأسلوبها من اللغة ولها تأثير كبير في تحديد تطور اللغة. فاللغة المكتوبة تحتفظ غالباً بالأشكال والصيغ القديمة التي لم تعد تُستخدم في لغة المحادثة اليومية، ولذلك اختلفت أحياناً اللغة المكتوبة عن اللغة المحكية. كما تحافظ الكتابة على الصيغ القديمة من التغيرات اللغوية الطارئة عليها مما يؤثر على الفرد في نطقه للكلمة بشكلها الكتابي وليس في ضوء ما انتهى إليه تطورها. وقد يدفع هذا الأمر إلى ظهور حركات تصحيحية بين الحين والآخر بهدف ضبط أساليب الكتابة وتضييق المسافة بينها وبين نطق اللغة. ويظهر هذا الاختلاف واضحاً

---

[٣٣] قارن: Assmann, From Akhenaten to Moses, 81-94.

في لغة التآليف التاريخية والأدبية والدينية المصرية المدونة بالكتابة الهيروغليفية في موازاة لغة المعاملات اليومية المكتوبة بالكتابة الديموطيقية التي عبرت عن اللغة الشعبية الدارجة. وهذه الظاهرة الكتابية قد وحدّت بصورة كبيرة شكل الكتابة الهيروغليفية مما مكّن من الانتفاع بالمدونات الكلاسيكية على امتداد ثلاثة آلاف سنة، فضلاً عن أنها حافظت على أصول المفردات اللغوية. وما يقال عن الحالة المصرية ينطبق أيضاً على السجلات التاريخية والأدبية والدينية البابلية والآشورية في موازاة لغة الرسائل الشخصية مثلاً التي غالباً ما تسجل اللغة الدارجة. كما ينطبق أيضاً على الكتابات العربية خصوصاً الأدبية منها في موازاة اللغة أو اللهجات اليومية.[٣٤]

وبالرغم من التفاوت الزمني الكبير بين اللغة والكتابة نظراً لعمر لكتابة النسبي قياساً بعمر اللغة الطويل في مسيرة الحياة الإنسانية على الأرض، إلا أن حظوظهما في عالم القداسة والتقديس لدى أمم وشعوب العالم القديم كانت متساوية نتيجة متانة ارتباطهما ببعض وغموض نشأتهما. وهذا الاعتقاد بالأصل المقدس هو اعتقاد أسطوري ينبئ بالعقلية الخرافية لأصحابه بسبب جهلهم لظهور كل من اللغة والكتابة، ولذلك نلاحظ ارتباطه باللغات والكتابات الأوليّة التي تعذّر عليهم كشفها ومعرفة حقيقة أصولها. فقد اعتقد المصريون القدماء أن أولى كتاباتهم وهي الهيروغليفية (الخط المقدس وفقاً للتسمية اليونانية) هبة إلهية وهبتهم إياها الآلهة، ونسبوا فضل اختراعها إلى الإله چحوتي الذي عزوا إليه أيضاً كل ما يتصل بها من حكمة ومعرفة ومهارة. وقد دفع ذلك اليونانيين لاحقاً إلى تشبيه معبودهم هيرميس به ودمجهما سوياً، ولذا اعتبروه أول مخترع للكتابة بالرغم من اعترافهم بأصلها الشرقي. وكانت تشارك الإله چحوتي في مهامه ككاتب وعالِم الإلهة سشات التي تتوافق الترجمة الحرفية لاسمها، وهي الكتابة، مع وظيفتها الكتابية، ولكنه يعني أيضاً "الحكيمة" و"العارفة" و"الماهرة". ولم تختلف فكرة الأصل المقدس للكتابة المسمارية في بلاد النهرين حيث اعتقد أهلها بأنها في رعاية واهتمام الإله نبو ابن

---

[٣٤] قارن: عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٨٤.

الإله مردوك، وكذلك الإلهة نسابا التي وصفوها بالكاتبة العظيمة. وبتأثير مصري محض انتقلت فكرة قداسة الكتابة إلى بني إسرائيل عقب خروجهم من مصر حين استجاب موسى عليه السلام لأمر ربه يهوه وصعد إلى جبل سيناء ومكث هناك أربعين يوماً حيث أعطاه وصاياه العشر التي كتبها بنفسه على لوحين حجريين ليحفظها شعبه المختار. فقد ورد في الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج:"اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ".[٣٥] كما أورد الأصحاح الحادي والثلاثين من نفس السفر: "ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبعِ اللهِ."[٣٦] وتذكرنا الكتابة بإصبع الله هنا بالمناظر الذي يظهر فيها الإله چحوتي وهو يُخلد بأنامله الإلهية الأسماء والأعمال الملكية وكذلك بكتابة المدونات المقدسة المنسوبة إليه وفقاً للنصوص المصرية القديمة.

اللغة والترجمة بين الهبة واللعنة الإلهية

تضاربت آراء الباحثين والمفكرين والعلماء حول موضوع نشأة اللغة الإنسانية والترجمة الناجمة عن الحاجة البشرية الملحة لمعالجة معضلة تعددها واختلافها. ودارت الآراء والنظريات في تفسير نشأة اللغة في اتجاهين متعارضين بسبب تناقض مرجعيتهما المنطلقتين منهما، وهذان الاتجاهان هما: اتجاه تقليدي يرى أصحابه أن اللغة توقيفية أي أنها ظاهرة إلهية أوحى بها الخالق لبني الإنسان ووهبها إياهم استناداً على أدلة نقلية بعضها يحتمل التأويل وبعضها الآخر يكاد يكون دليلاً على أصحاب هذا الاتجاه لا لصالحهم. وخلافاً لذلك يرى أصحاب الاتجاه الآخر أنها اصطلاحية مكتسبة من الإنسان إما بالمواضعة والاصطلاح باعتبارها اصطلاح واتفاق بين البشر، أو نتيجة لمحاكاة أصوات الطبيعة وسارت في سبيل الرقي شيئاً فشيئاً تبعاً لنضج العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة وتعدد حاجات الإنسان. وهذا يتفق مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء

---

[٣٥] سفر الخروج، الأصحاح ٢٤؛ ١٢.

[٣٦] سفر الخروج، الأصحاح ٣١؛ ١٨.

الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية بحسب النظرية الداروينية المطروحة في كتابه "أصل الأنواع". وهناك من أرجع نشأتها إلى ملاحظة الأصوات الجماعية الصادرة أثناء المشاركة في الأعمال الجماعية الشاقة، أو إلى الاستعداد الفطري الذي يمنح الإنسان القدرة على صياغة الألفاظ الكاملة والتعبير عن أغراضه الضرورية.[٣٧]

وعلى الرغم من تنوع وتفاوت النظريات في هذه المسألة العويصة رغم إشكالية وجدلية سؤالها المزيف المتسبب في انطلاقها الجامح،[٣٨] إلا أن الحقيقة المؤكدة أنه لا توجد جماعة إنسانية مهما قل حظها من الحضارة والمدنية لا تمتلك لغة تتفاهم بها وتتبادل الأفكار من خلالها. وعلى النقيض من ذلك، لا تزال كل من الكتابة والترجمة مجهولتين تماماً حتى الآن لدى بعض القبائل البدائية التي تعيش نمط حياة العصر الحجري القديم الباليوليثي حيث تعتمد على الصيد والتقاط الثمار مثل قبائل البوشمن الأفريقية وسكان استراليا الأصليين.[٣٩] ولذلك، ذهب معظم العلماء إلى اعتبار تاريخ اختراع الكتابة المعروف يقيناً، وليس تاريخ نشأة اللغة أو تاريخ ظهور الترجمة الغير محددين بدقة، هو البداية الحقيقية للحضارة، والذي يميز بين تحضر الإنسان وهمجيته، والحد الفاصل بين عصرين تاريخيين حضاريين: عصور ما قبل التاريخ أو عصور ما قبل الكتابة والعصور التاريخية أو عصور ما بعد الكتابة. وهذا ما دعا يان أسمان أيضاً إلى اعتبار هذا التاريخ بداية عصر محوري جديد للإنسانية وليس عصر ظهور كبرى

---

[٣٧] للمزيد من التفاصيل عن جدلية نشأة اللغة والنظريات المختلفة حولها، انظر: علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل (القاهرة، ١٩٤٧)، ٢٢-٣٤؛ حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ٩٥-١٠٥؛ حسن ظاظا، اللسان والإنسان، ٢١-٢٦؛ حاتم علو الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، ٢٠٠-٢٠٨؛ رقية بامبارك، اللغة اللوبية القديمة، ٦٩-٧٨. وانظر أيضاً: N. Araki, The Origin of Language, Bull. Hiroshima Inst. Tech. Research, 52 (2018), 7– 13.

[٣٨] Araki, Origin of Language, 7– 13

[٣٩] انظر: F. W. Marlowe, Hunter-Gatherers and Human Evolution, Evolutionary Anthropology 14/2 (2005), 54 – 67.

الترجمات العالمية الخالدة كالإلياذة والأوديسة والتوراة والأناجيل والذي بشّر به ياسبرس.[٤٠] وتثبت كل البراهين الأثرية والتاريخية على أن أقدم اللغات الإنسانية المعروفة والمدونة هي اللغتان المصرية القديمة والسومرية في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد نتيجة أسبقية المصريين والسومرين في اختراع الكتابة. ثم تلت هذين اللغتين ثلاث لغات سامية هي الأكَّادية (أواسط الألف الثالث قبل الميلاد) والأوجاريتية (أوخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد) والفينيقية (منتصف الألف الأول قبل الميلاد). وقد اقتبس الأكَّاديون الساميون خط الكتابة السومري المسماري، بينما كتب الأوجاريتيون (رأس شُمرا الحالية) بحروفهم الهجائية وخطهم المسماري. أما أهل جُبيل (بيبلوس) الفينيقيون فقد تبنوا الأبجدية السينائية المبكرة[٤١] التي نقلوها بعد تطويرها إلى اليونانيين لتصبح أصل أبجديتهم (بدايات القرن الثامن قبل الميلاد)، وتدخل لغتهم بواسطتها إلى عالم التدوين الهجائي. ثم نقل اليونانيون أبجديتهم ذات الأصول الشرقية إلى الإتروسكيين[٤٢] (القرن الثامن قبل الميلاد) الذين نقلوها بدورهم إلى جيرانهم الرومان لتصير أصل أبجديتهم اللاتينية (منتصف الألف الأول قبل الميلاد) التي اشتقت منها أبجديات اللغات الأوربية الحديثة.[٤٣]

على أية حال، فإن غالبية العلماء يميلون إلى اعتبار نظرية محاكاة أصوات الطبيعة أقرب نظريات نشأة اللغة إلى الصحة والعقول، وأكثرها اتفاقاً مع التدرج الفكري

---

[٤٠] Assmann, From Akhenaten to Moses, 81-94.

[٤١] يوهانس فريدريش، تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان احمد الضاهر (دمشق، ٢٠١٣)، ٩٥-٩٨؛ محمد شريف علي، الكتابة السينائية: المفهوم والدلالة، أبجديات ١٣(٢٠١٨)، ١٧٩-١٨٩.

[٤٢] عن الأبجدية الإتروسكية المقتبسة من الأبجدية اليونانية المبكرة والتي نقلها الإتروسكيون إلى الرومان الذين نقلوها بدورهم إلى بقية أوربا، انظر: أندرو روبنسون، اللغات المفقودة، لغز كتابات العالم المطلسمة، ترجمة مجموعة من المترجمين، سلسلة دراسات في الخطوط (٤) – مكتبة الإسكندرية، (الإسكندرية، ٢٠٠٦)، ١٥٩-١٨١.

[٤٣] للمزيد من التفاصيل عن تأريخ اختراع الكتابة وطبيعتها ووظيفتها وتطورها وانتشارها في العالم القديم، انظر: J.F. Quack, The Idea of Writing: Writing Across Borders, (Leiden, 2012).

المرتبط بطبيعة الإنسان وأثر قواه الفكرية في تحريك أعضاء النطق فيه واستعمال جهازه الصوتي والعضلي والعصبي بما يمكنّه من صنع اللغة وتبادلها وتنميتها. صحيح أنه لم يقم أي دليل يقيني على صحة هذه النظرية، ولكن لم يقم أي دليل يقيني على خطئها، وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها وإنما يقرب تصورها ويرجح الأخذ بها. ومن أهم أدلتها أن المراحل التي تقررها بصدد اللغة الإنسانية تتفق في كثير من وجوهها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل. فقد ثبت أن الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام، يلجأ في تعبيره الإرادي إلى محاكاة الأصوات الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات، أصوات الحيوان، أصوات مظاهره الطبيعية، أصوات الأفعال. . . الخ) فيحاكي الصوت قاصداً التعبير عن مصدره أو عن أمر يتصل به. كما ثبت أيضاً أن الطفل في هذه في المرحلة وفي مبدأ مرحلة الكلام يعتمد اعتماداً كبيراً في توضيح تعبيره الصوتي على الإشارات اليدوية والجسمية. ومن المقرر أن المراحل التي يجتازها الطفل في مظهر ما من مظاهر حياته تمثل المراحل التي اجتازها النوع الإنساني في هذا المظهر. ومن أدلتها كذلك أن ما تقرره بصدد خصائص اللغة الإنسانية في مراحلها الأولى (طفولة اللغة) يتفق مع ما نعرفه عن خصائص اللغات في الأمم الأولية. ففي هذه اللغات تكثر المفردات التي تشبه أصواتها أصوات ما تدل عليه، ولنقص هذه اللغات وسذاجتها وإبهامها وعدم كفايتها للتعبير لا يجد المتكلمون بها مناصاً من الاستعانة بالإشارات اليدوية والجسمية في أثناء حديثهم لتكملة ما يفتقر إليه من عناصر وما يعوزه من دلالة. ومن المقرر أن هذه الأمم، لبعدها عن تيارات الحضارة وبقائها بمعزل عن أسباب النهضات الاجتماعية تمثل إلى حد كبير حالة الإنسانية في عهودها الأولى.[٤٤]

---

[٤٤] انظر: علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، ٣٢–٣٤؛ حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ١٠٢–١٠٥؛ حسن ظاظا، اللسان والإنسان، ٢٣–٢٦، حاتم علو الطائي، نشأة اللغة وأهميتها ، ٢٠٨–٢١١. وللمزيد من التفاصيل عن محاكاة أصوات الطبيعة وتطور اللغة الإنسانية الأولي في ضوء المحاكاة الصوتية واكتساب اللغة عند الطفل، انظر: A. Florin, Le Développement du langage, (Paris, 1999), 24-42; D. Falk, Prelinguistic Evolution in Early hominins: Whence Motherese? Behavioral and Brain Science, 27 (2004), 491–541.

ويُشار في هذا الصدد أن قصة انكيدو وصفاته المتضمّنة في ملحمة كلكامش تذكرنا بحالة الإنسانية في عهودها الأولى عندما كان أقرب في طبيعته إلى حيوان أكثر من كونه إنساناً. ثم انتقل فيما بعد إلى حالة التطور والنضج الحضاري والاجتماعي التي اكتسبها بالمحاكاة بعد مرافقته لكلكامش الذي كان بحسب الملحمة الرافدينية شخصية مؤلهة (ثلثاه إله وثلثه الآخر بشر). فقد ذكرت الملحمة عن خلق انكيدو وصفاته الوحشية:

ولما استمع آنو الجليل إلى شكواهم، دعوا ارورو، العظيمة وقالوا لها
أنت التي خلقتي هذا الرجل (كلكامش) بأمر انليل
فاخلقي الآن غريماً له يضارعه في قوة القلب والعزم
وليكونا في صراع مستديم لتنال أوروك السلام والراحة
ولما أن سمعت ارورو ذلك
تصورت في لُبها مثيلاً (صورة) لآنو
وغسلت ارورو يديها، وأخذت قبضة طين ورمتها في البرية
خلقت في البرية انكيدو الصنديد
يكسو جسمه الشعر، وشعر رأسه كشعر امرأة
لا يعرف الناس ولا البلاد، ولباس جسمه مثل سموقان (إله الرعي والماشية)
ومع الظباء يأكل العشب، ويشرب مع الحيوان من موارد الماء
ويفرح فؤاده عند ضجيج الحيوان في مورد الماء. [٤٥]

ومن العسير تحديد تاريخ ظهور الترجمة بدقة كما هو الشأن في أصل نشأة اللغة، إلا أن معظم مُنظِّري الدراسات الترجمية يربطون ظهور الترجمة بأسطورة بابل التوراتية ويتبنّونها دون تحفظ. إنها تلك الحادثة التي جاء ذكرها في التقليد اليهودي- المسيحي

[٤٥] طه باقر، ملحمة كلكامش، أوديسة العراق الخالدة (بغداد، د.ت)، ٤٠؛ محمد فهد حسين، خلق الانسان في النصوص المسمارية، مجلة جامعة زاخو، مج ٢، ع ١ (٢٠١٤)، ٢٠١٤، ١٣٤.

وتشير إلى وحدة لغة البشر قبل رحيلهم ناحية الشرق حيث شرعوا في تشييد مدينة وبرج ليصل إلى عنان السماء ويتحصنون فيه حتى لا يتبددوا.[٤٦] وهذا ما استهجنه الرب يهوه وأدرك خطورته إثر نزوله لرؤية المدينة والبرج، فأحل عليهم عقابه بأن فرق شملهم وبلبل لسانهم حتى لا يفهم بعضهم البعض ويعجزون عن بناء البرج. وهذه الرواية التوراتية لبرج بابل القديم التي سحرت المترجمين والمختصين بالترجمة وما تزال تسحرهم حتى اليوم، تمثل قصة السقوط في البلبلة البابلية والتعدد اللغوي الذي يُفهم بوصفه نتيجة مأساوية لنقمة أو لعنة إلهية جراء تطاول البشر وغرورهم، فضلاً عن قراءته أغلب الأحيان كأسطورة لأصل الترجمة.[٤٧] والقصة بحسب ما وردت في الأصحاح الحادي عشر من سفر التكوين مذكورة على النحو التالي:

{١} وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَاناً وَاحِداً وَلُغَةً وَاحِدَةً. {٢} وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقاً أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. {٣} وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْناً وَنَشْوِيهِ شَيّاً". فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ. {٤} وَقَالُوا: "هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجاً رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْماً لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ". {٥} فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. {٦} وَقَالَ الرَّبُّ: "هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. {٧} هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ". {٨} فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، {٩} لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا "بَابِلَ" لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ.[٤٨]

---

[٤٦] سوزان باسنت، دراسات الترجمة، ترجمة فؤاد عبد المطلب (دمشق، ٢٠١٢)، ٦٨،٩٩؛ ريكور، عن الترجمة، ٣١–٣٣، ٤٠–٤٢، ٤٧، ٥١.

[٤٧] S.N. Kramer, The "Babel of Tongues": A Sumerian Version, JAOS 88/1 (1968), 108–111 ; S. Dixon, The Tower of Babel: The Dispersion of God's People, JBL 126 /1 (2007), 29-58.

[٤٨] سفر التكوين، الأصحاح ١١؛ ١–٩.

بادئ ذي بدء وقبل مناقشة قصة برج بابل التوراتية، تجدر الإشارة إلى ملاحظة لغوية مرتبطة بالبرج والتبرج وبلبل وبربر. فمفهوم التبرُّج يأتي من اللفظ "بَرَجَ" إذ إن كل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ، ويعني إبراز المرأة نفسها، أي إظهار زينتها ومحاسنها لغير زوجها[٤٩] بما يبعث على غيرته وبلبلة النفوس واضطرابها وإثارة الفتن. ويُعدّ ذلك تطاولاً على حق الزوج وتحدياً له على غرار التطاول على الحق الإلهي اليهوهي وتحديه وفقاً لما ترمز إليه القصة التوراتية. وهو ما يتسق مع المفهوم التوراتي القاضي بالغيرة الإلهية اليهوهية والعلاقة الزيجية الحصرية الرابطة بين يهوه وشعبه المختار الذي يتطلب منه، كما هو شأن العلاقة الزوجية الطبيعية، وجوب الإخلاص والوفاء وعدم الانقياد وراء إغواء وغواية الآخرين.[٥٠] وربما يتماهى هذا المفهوم مع فكرة الأنوثة الأرضية الخاضعة للذكورة المتعالية المهيمنة بكافة أشكالها وتمظهراتها انطلاقاً من مسلمات لاهوتية.

كما يلاحظ أيضاً من ناحية أخرى التشابه بين لفظ "بلبل" الدال في اللغتين الساميتين العبرية والعربية على التشويش واللغو والاضطراب، وبين لفظ "بربر" المشتق من اللفظ اليوناني βάρβαρος . فقد استعمل اليونانيون القدماء هذا اللفظ الأخير في فترة الحضارة الميكينية (من بداية القرن السادس عشر إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد) للإشارة إلى الغرباء الذين لا يتكلمون بلسانهم كالمصريين والفرس والميديين والفينيقيين، اعتقاداً منهم أنهم يلغون ويثرثرون بكلام غير مفهوم.[٥١] وينطبق نفس المفهوم عند العرب الذين كانوا يطلقون على الضوضاء التي لا طائل من ورائها "لغواً"، وفرّقوا بين اللغة واللغو، فاللغة هي الكلام غير المُهمل ويُقصد به معنى مفيداً، في حين أن اللغو هو الكلام المُهمل والمفتقر إلى الفائدة.[٥٢] والجدير بالذكر أن العربية ورثت على ما يبدو

---

[٤٩] ابن منظور، لسان العرب ج٢، ٢٤٠ (مادة ب ر ج)

[٥٠] Assmann, From Akhenaten to Moses, 49.

[٥١] J. Kramer, Die Sprachbezeichnungen Latinus und Romanus im Lateinischen und Romanischen, (Berlin, 1998), 86; J. M. Hall, Ethnic Identity in Greek Antiquity, (Cambridge, 1997), 4.

[٥٢] حاتم علو الطائي، نشأة اللغة، ١٩٦. وانظر أيضاً: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، مادة (ل غ و)

اللفظ اليوناني بمعناه الأصلي حيث جاء في لسان العرب: "والبربرة كثرة الكلام والجلبة باللسان ... والبربري الكثير بالكلام بلا منفعة."[٥٣] وبما أن تاريخ استعمال هذا اللفظ يرجع أصلاً إلى قدماء اليونان في وقت أبكر بكثير من الاستعمال العبري، فمن المحتمل أنه دخل إلى اللغات السامية عبر اللغة العبرية (بلبل وبلبة / بربر وبربرة) بعد خضوعه للتصحيف وذلك بقلب وإبدال حرف الراء اليوناني إلى حرف اللام السامي، وحذف النهاية اليونانية من الاسم. ويمكن تأريخ ذلك بالقرن الرابع قبل الميلاد على أثر اتصال اليهود باليونانيين أو القرن الثالث قبل الميلاد عندما تُرجمت التوراة السبعينية باللغة اليونانية في مدينة الإسكندرية حيث قام المترجمون بكتابة اللفظ اليوناني المتعبْرِن أو إبدال اللفظ العبري بنظيره اليوناني والذي كان يعطي نفس المعني والدلالة. فقد اتصل اليهود بلغة وثقافة اليونانيين بحلول القرن الرابع قبل الميلاد خلال العصر المعروف حضارياً بالعصر الهلينستي مما أثر بداهةً في اللغة العبرية وأحدثت في مفرداتها وأساليبها عدة تغييرات.[٥٤] ناهيك عن تكلُم المتهلينين أو المتأغرقين منهم بلهجة محلية جديدة كانت في مجموعها عبارة عن الآرامية والعبرية ومشوبة بألفاظ يونانية، والتي بسطت نفوذها وعمت كل بلاد فلسطين حتى أواسط القرن الثاني قبل الميلاد وأضحت أقوى من اللغة العبرية الأصلية.[٥٥]

وبالنسبة لقصة برج بابل التوراتية، فلا ريب أنها مجرد خرافة تدور أحداثها في ماضٍ أسطوري لا يمكن تأريخه لافتقاره الصريح للزمن المباشر كما هو شأن الحكايات الشعبية التي تدور أحداثها في عالم الممكن المطلق المتحرر من كل القيود العرضية أو الظرفية. كما أن الرؤية السحرية لهذا الماضي الأسطوري تحول دون إرساء البنية

---

[٥٣] ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ٤٢٤ (مادة ب ر ر)

[٥٤] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٨٩.

[٥٥] قارن: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٢٥-١٢٦.

الزمكانية الصريحة باعتبار أن هذه البنية تمثل ركيزة العالم العقلاني فحسب.[٥٦] وهذا الماضي الأسطوري المفتقر للبنية الزمكانية الصريحة تبرز بشكل صارخ في الروايات التوراتية التاريخية عامة وقصة برج بابل خاصة. فالقصة تجمع بين زمنين ومكانين متعارضين ويفصل بينهما مئات آلاف السنين: بابل ما قبل التاريخ حيث اللغة الكونية المفقودة ووحدة العرق البشري المزعوم، وبابل التاريخية حيث المدينة العريقة وبرجها المتهدم. ولكن الحقيقة أن كلتا المدينتين لم يكن لهما وجود أصلاً، فالبشر في عصور ما قبل التاريخ كانوا يعيشون على مدى مئات آلاف من السنين داخل الكهوف والمغارات في تجمعات قليلة العدد ومعزولة عن بعضها البعض، ثم انتقل الإنسان بعد ذلك وسكن القرى التي تحولت تدريجياً إلى مدن منذ حوالي الألف السابع قبل الميلاد على أثر اهتدائه إلى الزراعة. كما أن الإنسان العاقل (الهوموسابينس) قد بدأ في الانتشار التدريجي إلى بقية أنحاء العالم القديم منذ حوالي مائتي ألف سنة عقب سلسلة من الهجرات المتعاقبة من موطنه الأصلي في شرق أفريقيا وشمالها. وكان العصر الحجري القديم الأعلى (حوالي ٥٠,٠٠٠ – ١٢,٠٠٠ ق.م) من أكثر دهور العصر الحجري القديم أهمية إذ كان شاهداً على بواكير التنظيم الاجتماعي والحضاري للإنسان وتنمية قدراته الفكرية قبل التحول الكبير اجتماعياً واقتصادياً وحضارياً في العصر الحجري الحديث. وبدأت خلال تلك الفترة الطويلة الاختلافات السلالية للإنسان العاقل تأخذ في الظهور وتتفاوت فيما بينها خصوصاً في مناطق جغرافية واضحة المعالم نتيجة لملاءمة المجموعات البشرية لظروف بيئتها على مر عشرات آلاف السنين. فارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها وسهولة الأراضي وخصوبتها وجفاف المناطق أو رطوبتها ووفرة العيش أو قلته، كلها عوامل تجمعت وتعاونت على ظهور التنوع السلالي وانتشاره. ثم ساعدت هذه العوامل مجتمعة على نشوء أقدم المراكز الاستيطانية الزراعية منذ حوالي الألف السابع

---

[٥٦] انظر: فلاديمير بروب، مورفولوجيا الخرافة. ترجمة إبراهيم الخطيب (الدار البيضاء، ١٩٨٦)، ٨-٩، ٢٧- ٣٣ ؛ جاك دريدا، أبراج بابل، ترجمة صبحي دقوري، تقديم إبراهيم محمود (اللاذقية، ٢٠١٥)، ٢٠-٢٢.

والسادس قبل الميلاد في منطقة الشرق الأدنى القديم عندما ظهرت بواكير القرى العراقية القديمة مثل جرمو وحسونة المعاصرتين لقريتين مصريتين هما مرمدة بني سلامة ودير تاسا.[٥٧] وبدأت المدن تظهر بشكل واضح في بلاد النهرين أواخر العصر الحجري النحاسي خلال عصر فجر التاريخ المعروف بعصر الشبيه بالكتابي (٣٥٠٠- ٢٨٠٠ ق.م)، وكانت مدينتا الوركاء وجمدة نصر الشهيرتين أهم المدن العراقية السومرية آنذاك.[٥٨] وهكذا يتبين تأسيس القصة على بنية زمكانية أسطورية خارج السياقات والأطر التاريخية والجغرافية والأنثروبولوجية الثابتة حالياً، وانطلاقها من خيالات وأوهام تتبئ بالعقلية الخرافية للمحررين التوراتيين والتي كانت هي السائدة آنذاك ولمدة زمنية طويلة.

ووفقاً لتسلسل الأحداث التوراتية، فإن الساميين والحاميين واليافثيين من نسل سام قد أقاموا في شنعار حيث كان يحكم نمرود مملكة مترامية الأطراف، وكانوا يتكلمون جميعاً بلسان واحد هو العبري قبل حادثة برج بابل. وبحسب الروايات التوراتية المتضاربة وكتابات المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس (٣٧-١٠٠ م)، فإن ثمة إمكانية بتطابق شخصية نمرود – المتعبرن اسمه من الجذر العبري "مرد" أي تمرد والمرتبط ببرج بابل التوراتي والذي عاصر وجابه دعوة النبي إبراهيم – مع سادس ملوك الأسرة البابلية الأولى وهو الملك حمورابي الذي حكم في الفترة ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م. وبالرغم من تناقضات الروايات التوراتية وما يكتنفها من التباس وغموض واستحالة تاريخيتها، وكذلك غرابة طريقة بناء مدينة بابل المغايرة لوقائع الأحداث التاريخية، إلا أن محاولة التطابق المفترضة بين الشخصيتين تشير إلى احتمالية تأريخ أسطورة برج بابل التوراتية ببدايات الألف الثاني قبل الميلاد. ويتوافق هذا التأريخ مع تاريخ تأسيس أولى الأسرات البابلية

---

[٥٧] انظر: فرانسوا بون، عصور ما قبل التاريخ، بوتقة الإنسان، ترجمة سونيا محمود نجا (القاهرة، ٢٠١٣)، ٩-١٩، ١٢٠-١٣٠، ٢٥٣-٢٨٢؛ أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم (الإسكندرية، ٢٠١١)، ٢٩-٦٧؛ سليمان حزين، حضارة مصر، أرض الكنانة (القاهرة، ١٩٩١)، ٦٧-٧٣.

[٥٨] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١ (بغداد، ١٩٧٣)، ٢٦١-٢٧٥.

الأمورية وشروع ملوكها في إعمار بابل وبدء ازدهار عصر جديد نظراً لأنها لم تكن في السابق من المراكز السياسية والاقتصادية والثقافية الهامة.[٥٩]

وهناك فرضية جدلية أخرى ضمن الفرضيات المرتبطة من ناحية بهذه القصة المُختلقة وجنوب العراق وكذلك بإشكالية الموطن الأصلي للساميين من ناحية أخرى. فالقصة التوراتية تشير إلى أقدم منطقة عمرّها بنو نوح وهي أرض بابل التي تمثل المهد الأصلي للحضارة السامية، وهو الأمر الذي ارتآه المستشرق الإيطالي إنياستو جويدي إذ يرى أن المهد الأصلي للأمم السامية كان في نواحي جنوب العراق على نهر الفرات. وفي سبيل تعزيز فرضيته، سرد جويدي عدداً من الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية عن العمران والحيوان والنبات، مشيراً إلى أن من استعملها هي أمم تلك المنطقة ثم أخذها عنهم جميع الساميين. وبالرغم من معارضة المستشرق الألماني تيودور نولدكه بشدة لهذا الرأي بسبب افتقاره إلى ما يدعمه من الشواهد والبراهين القوية،[٦٠] إلا أنه من المحتمل وبحسب الأدلة الأثرية المادية واللغوية وجود عنصر سامي نزح من شبه الجزيرة العربية قبل هجرة الأكَّاديين الساميين الى العراق ضمن أقدم الأقوام المستوطنة للجهات الجنوبية من السهل الرسوبي بالعراق (تقريباً من بغداد إلى الخليج العربي) الذي عُرف فيما بعد ببلاد سومر وأكَّاد. ويُعرف هؤلاء باسم "الفراتيون الأوائل" أصحاب الحضارة العبيدية (٤٥٠٠ – ٣٨٠٠ ق.م)، والذين يعود إليهم الفضل في وضع الأسس التي قامت عليها الحضارة السومرية المعروفة من الألف الثالث قبل الميلاد. فأسماء بعض المدن مثل أور ولكش وأوروك (الوركاء) والأنهار مثل اسمي دجلة والفرات وأسماء بعض الحرف والصناعات، وكذلك بعض المفردات اللغوية الأساسية التي وردت في النصوص المسمارية السومرية، لا تنتمي سواء إلى اللغة السومرية التي سادت البلاد في العصر الشبيه بالكتابي وعصر فجر السلالات، أو اللغة الأكَّادية السامية التي انتشرت في

---

[٥٩] انظر: أحمد لفتة رهمة، دراسة في "قدسية الجبل" و "قصة نمرود" في ضوء المصادر المسمارية ونصوص التوراة، مجلة مركز دراسات الكوفة – جامعة الكوفة/ العراق، ع ٤٧ (٢٠١٧)، ١٣–٢٩.

[٦٠] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٤– ٥؛ حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم (دمشق، ١٩٩٠)، ١٢.

المنطقة منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد.[٦١] وحتى لو ثبت صحة ذلك وتأكد بالفعل تداخل عنصر سامي ضمن الفراتيين الأوائل، فمن الصعب اعتباره دليلاً جازماً على صدق فرضية جويدي نظراً لعدم تشييد مدينة بابل في هذا التاريخ المبكر.

ولم ترد في التسميات أو الآراء والفرضيات الواردة بخصوص أصل تسمية العراق القديم تسمية كتسمية "سهل شنعار" المذكورة في الرويات التوراتية بما فيها أسطورة برج بابل. ويُفترض أن هذه التسمية مجرد تحريف لاسم بلاد سومر (مات شوميريم) حيث حل السومريون وسكنوا سهل ما بين النهرين منذ فترة العبيد في أواخر الألف الخامس قبل الميلاد. أما بخصوص أصل تسمية مدينة بابل مقارنة بما ورد من أصل تسميتها في النصوص المسمارية العراقية القديمة، فلا يوجد ما يؤيد رواية التوراة والتفسير العبري عن اسم بابل واشتقاقه من كلمة "بَلَل" (*balal*) أو "يبلبل" وصلته ببلبلة الألسن، واختلاف اللهجات وتبديد الناس في شتى أنحاء الأرض عقاباً لهم على أثر بناء برج بابل. والثابت أن تاريخ الاسم الأصلي لمدينة "بابل" أو "بابيلا" يسبق مجيء الأموريين الساميين الى بلاد وادي الرافدين إذ تشير بعض الآثار المادية واللغوية إلى إمكانية ارتباطه بالتراث اللغوي للفراتيين الأوائل.[٦٢] ثم قام البابليون بنقل هذا الاسم عن التسمية الأكَّادية بالصيغتين "بابا ايلي" و "بابيلم" في مقابل صيغته السومرية " كا – دنكر – را *KA– DINGIR –RA*"، وكلاهما يعنيان "باب الإله" أو "باب الآلهة"، وذكره اليونانيون "بابيلون" (*Babylon*) ومنها بلاد بابل " بابليونيا" (*Babylonia*).[٦٣] ويُؤرخ أقدم ذكر لبابل بصفتها

---

[٦١] طه باقر، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية (بغداد، ١٩٨٠)، ١١٨-١١٩؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية،٣٠-٣٤؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٨-١٣.

[٦٢] عامر سليمان، اللغة الأكدية،٣٠-٣٤، خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٨-١٣؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ٧٦؛ صموئيل نوح كريمر، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي (الكويت، ١٩٧٢)، ٥٤؛ أحمد لفتة رهمة، دراسة في "قدسية الجبل" و "قصة نمرود"، ١٤، ١٧، ٢٠-٢١.

[٦٣] أحمد لفتة رهمة، دراسة في "قدسية الجبل" و "قصة نمرود"، ١٦ -١٧، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ٦١٩؛ أثير احمد حسين، أبرز التشكيلات والمظاهر المعمارية لمدينة بابل الكلدانية في ضوء التنقيبات الآثارية، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد، ع ١٢٠ (٢٠١٧)، ٢٠١.

مدينة أو بلدة بعهد الملك سرجون الأكَّادي الذي حكم في الفترة ٢٣٣٤ – ٢٢٧٩ ق.م عندما ذكرت النصوص البابلية بأنه نقل تراب بابل أو أخذ منه عندما شيد عاصمته الجديدة مدينة أكَّاد التي اتخذها عاصمة للدولة الأكَّادية، والتي ينبغي أن تكون غير بعيدة عن مدينة بابل.(٦٤)

وعلى صعيد آخر ثمة تضارب واضح بين ما سردته التوراة وبين ما كشفت عنه الدراسات الأثرية والمصادر المسمارية بخصوص فكرة بناء المعابد والأبراج المرتفعة المدرّجة (الزقورات) التي كانت مرتبطة بفكرة دينية مقدسة نشأت في المدن العراقية القديمة. فالمعبد (بالأكَّادية *bitu* البيت) والزقورة (بالأكَّادية *ziqqurat* المشتقة من الجذر *zaqāru* – بمعنى "يبني على منطقة مرتفعة" لبنائها فوق دكاك أو مصاطب ترتفع عدة أمتار فوق الأرض لحمايتها من خطر الفيضانات كما جرت عادة بناء المدن والمباني الدينية والدنيوية في جنوبي وشمالي بلاد النهرين– كانا يشكلان اثنين من أبرز المعالم المعمارية لأي مدينة عراقية قديمة. وكان لهما أيضاً أهمية خاصة وصفة مقدسة في المجتمع نظراً لارتباطهما أساساً بالمعتقدات الدينية وعبادة الآلهة والشعائر الخاصة بها. وكانت الزقورة موضع مرور واستراحة للإله عند نزوله من السماء إلى المعبد الأرضي حيث يتجلي لعباده المتعبّدين لسماع صلواتهم والاستجابة لدعواتهم وقضاء حوائجهم، بالإضافة إلى أنها كانت أيضاً موضع إقامة الاحتفالات الدينية. وتمثل زقورة بابل المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل تطور الزقورات العراقية، وهي المرحلة التي وصل فيها عدد طبقاتها إلى سبع طبقات، كل طبقة أصغر من سابقتها وملونة بلون خاص.(٦٥)

---

(٦٤) علي شحيلات، عبد العزيز إلياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق، تاريخ العراق القديم، ج ٣، العصر البابلي (٢٠٠٤ – ٥٣٩ ق.م)، (بيروت، ١٩٧١)، ٢٨٦–٢٨٧.

(٦٥) انظر: فاضل عبد الواحد علي، المعبد والزقورة اثنان من أبرز السمات المعمارية في المدينة العراقية القديمة، مجلة دراسات في الآثار والتاريخ، جامعة بغداد، ع ٥ (١٩٨٨)، ٩ –٢٧؛ نائل حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار، ج ٢ (المعابد والزقورات)، (دمشق، ٢٠٠٦)، ٨٣–١٢٣؛ هويدة احسان كامل، محمد يوسف محمد،

ومن أشهر الزقورات أو الأبراج البابلية المدرّجة القديمة اثنتان، توجد أولاهما ناحية الشمال من حرم معبد الايساكَيلا *Ésagila* (بالسومرية *É-SAĞ-ÍL.LA* اي – ساك– إيل – لا، ومعناها بيت القمة العالية أو البيت الشامخ) الكائن جنوب مدينة بابل الأثرية وتعرف خرائبه اليوم باسم تل عمران، وهو المعبد الذي كان يمثل معبد مردوخ، الإله القومي للمدينة. وهذه الزقورة التي طاولت عنان السماء بنحو ما يزيد بقليل على تسعين متراً، كانت معروفة لدى البابليين باسم "اي – تمن – آن – كَي *É.TEMEN.AN.KI*" ومعناها "بيت أساس السماء والأرض"، ويعود تاريخ بنائها على الأرجح إلى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد وبالتحديد العصر البابلي الوسيط (١٥٩٥ – ١١٥٥ ق.م). وتعرضت هذه الزقورة للتدمير خلال فترة حكم الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤ – ٦٨١ ق.م) عندما قام بحرق مدينة بابل عام ٦٨٩ ق.م، ولكن الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني أعاد ترميمها وتجديدها مرة أخرى ضمن عملية التجديد العمراني التي قام بها في مدينة بابل كونها عاصمة ملكه.[٦٦] أما الزقورة الثانية فهي الواقعة في منطقة بورسيبا القريبة من مدينة بابل وربما كانت من ضواحيها، وهي الزقورة التي شيدها نبوخذ نصر الثاني وكُرست للإله نابو، وكان ارتفاعها حوالي ٤٧ متراً. ونظراً لقرب هذه الزقورة من بابل، فقد اعتبرها البعض برج بابل التوراتي وأطلقوا عليه التسمية المعروف بها الموقع الحالي وهو "برس نمرود" (Bris Nimrud) بسبب الاعتقاد بأن بانيه هو النمرود الذي حاول حرق نبي الله إبراهيم فيه. ولكن هذا الاعتقاد يفتقر إلى أية براهين تاريخية وأثرية، بالإضافة إلى عدم وجود ما يؤيد قصة وشخصية "نمرود" المذكورة في المصادر التوراتية وكتابات

سمات وأنماط العمارة الدينية في العراق القديم، الزقورة أنموذجاً، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، جامعة سامراء، مج ٣، ع ٦ (٢٠١٦)، ١٦٥–١٧٦.

[٦٦] انظر: كاظم جبر سلمان، التجديد العمراني للمعالم الدينية في مدينة بابل خلال مدة حكم الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥–٥٦٢ ق.م)، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، ع ١٥ /٢ (٢٠٠٨)، ٦٨٩–٦٩٦؛ اثير احمد حسين، أبرز التشكيلات والمظاهر المعمارية لمدينة بابل الكلدانية، ٢٢٠–٢٢٣. وانظر أيضاً: A.R. George, The Tower of Babel: Archaeology, History and Cuneiform Texts, Archiv für Orientforschung, 51 (2005/06), 75–95.

بعض الكُتّاب والمؤرخين في مختلف العصور. فضلاً عن التناقض الفاضح بين ما ذكره الأصحاح العاشر من سفر التكوين وعزو مدينة بابل إلى مملكة النمرود الذي بسط سلطانه وحكمه في أرض شنعار وبين مجريات الأحداث التاريخية والأثرية المثبتة حيال مدينة بابل ومعالمها الدينية والدنيوية وملوكها.[٦٧]

وعلى الرغم من أن هذه القصة التوراتية المرتبطة بالتعدد اللغوي وأصل الترجمة ليست سوى أسطورة توراتية، إلا أنها لا تخلو من مضامين ودلالات تاريخية وحضارية، ولكن قبل تناولها بشيء من التفصيل، تنبغي الإشارة إلى كارثة لغوية من نوع آخر جرت لليهود جراء مدينة بابل. فقد ارتبط سقوط وتدمير أورشليم على يد نبوخذ نصر الثاني في عام ٥٨٦ ق.م بكارثة لغوية على الأمة العبرانية والتي كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث تغيير خطير وانقلاب كبير في لغتهم العبرية. ويتبين ذلك بجلاء من خلال ما نتج عن اتصالهم بالبابليين والفرس واختلاطهم بهم اختلاطاً كبيراً بأن تسرب إلى العبرية كثير من المفردات الدخيلة، وتبني أبناء الطبقات المتعلمة أفكاراً أجنبية جديدة لم يعهدوها من قبل. فضلاً عن أن ظروفهم القهرية قد أخضعتهم آنذاك للتأثير الشديد بأعدائهم اللدودين الآراميين في اللغة والكتابة رغم محاربتهم للغة الآرامية وتشويه صورتها والحيلولة دون استبدال خط كتابتهم القديم. وكانت هذه الكارثة اللغوية إيذاناً بانتهاء فترة انتشار حركتهم الأدبية والفكرية والدينية انتشاراً ملموساً على أثر انتقالهم في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد من حالة البداوة إلى حالة الملكية والتمدن طوال عهدي داود

---

[٦٧] كلين دانيال، موسوعة علم الآثار، ترجمة ليون يوسف (بغداد، ١٩٩٠)، ١٣٣؛ أحمد لفتة رهمة، دراسة في "قدسية الجبل" و "قصة نمرود"، ١٣- ٢٩. الجدير بالذكر أن لابن خلدون رأي حول هذا الموضوع إذ قال: "أصاب النمروذ وقومه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح وكانت البلبلة وهي المشهورة، وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أعرف معناها. والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها، ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم قول بعيد في العادة إلا أن يكون من خوارق الأنبياء فهو معجزة حينئذٍ، ولم ينقلوه كذلك؛ والذي يظهر أنه إشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع في القرآن الكريم ولا يعقل في أمر البلبلة غير ذلك. انظر: ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢(بيروت، ١٩٧١)، ٧٨.

وابنه سليمان عليهما السلام. كما كانت أيضاً نذيراً بتدهور لغتهم بعد محاولة تخليصها نسبياً من الشوائب الآرامية التي علقت بها في القرن الثامن قبل الميلاد، وهي المحاولة التي مكنتها من بلوغ أوج نموها وعظمتها في عهد الملك حزقيا الذي عاش حوالي القرن السابع قبل الميلاد حيث ظهر عظماء أنبياء بني إسرائيل كإشعياء وعاموس وهوشع.[٦٨] وتراجعت العبرية في فترة ما بعد السبي البابلي وانحصرت في الاستخدام كلغة تخاطب لتحل محلها الآرامية التي أصبحت اللغة الرسمية للإمبراطورية الفارسية الأخمينية. واقتصر استعمالها على النواحي الدينية مثل إلقاء الدروس الدينية في المعابد اليهودية والتي كانت مصحوبة أيضاً بالترجمة الآرامية.[٦٩] ولم يتمكن اليهود من التغلب على كارثتهم اللغوية في أعقاب سقوط أورشليم إلا بعد دخولهم في مرحلة تاريخية جديدة وهي فترة المكابيين خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد حيث استعادت العبرية بريقها وارتقت ارتقاءً مزدهراً، وأُكملت أسفار العهد القديم التي كان من أهمها سفرا أيوب والجامعة. وهكذا استعادت العبرية لنفسها مجال المحادثات العامة والمخاطبات العادية نتيجة تقلص النفوذ الآرامي وحرص أحبار اليهود عليها حرصاً شديداً واستعمالهم لها في كتاباتهم ومؤلفاتهم في أوقات انتكاساتها. ولكن الآرامية عاودت اكتساحها مرة أخرى وبسطت سلطانها كافة فلسطين في أعقاب الفتح الروماني سنة ٣٧ ق.م، وكان لذلك تداعيات كارثية على اللغة العبرية استمرت حتى نهاية القرن السابع الميلادي.[٧٠]

وتكشف قصة برج بابل عن شكل ومكوّنات المجتمع البابلي القديم وطبيعته الفكرية والثقافية حيث كان خليطاً من أمم مختلفة متبلبلة الألسن متباينة النزعات والميول نتيجة تعدد وتنوع التركيبة السكانية لمدينة بابل وانفتاحها على جيرانها وتوافد الزوار والتجار

---

[٦٨] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٨٩-٩٠، ٩٦-٩٧، ٩٩-١٠٢، ١١٧، ١٢٤-١٢٧، حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ٧٧-٨٠.

[٦٩] شريف حامد سالم، نقد العهد القديم، دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني (القاهرة، ٢٠١١)، ١٤٥.

[٧٠] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٢٥-١٢٦، ١٦٧.

إليها من كل حدبٍ وصوب. وكانت أهم مكوّنات هذا المجتمع تتألف من عناصر سامية كالأكَّاديين والبابليين والآشوريين بجانب السومريين، وعناصر أخرى أجنبية غازية من الهندو-أوربيين خصوصاً الكاشيين. ومن ثم تميزت هذه المدينة عبر تاريخها العريق بالتعددية اللغوية والثقافية والعرقية حيث كانت بوتقة انصهار لغوي وثقافي وتربة خصبة للوسطاء اللغويين ومعقل النصوص الثنائية والمعجمية. ولكن ذلك لم يمنع أهلها من الساميين عن تعزيز مكانة لغتهم الأكَّادية بلهجتيها البابلية والآشورية حتى أصبحت تتمتع بشخصية لغوية قوية وقاهرة على أية لغة غازية. فالكاشيون على سبيل المثال قد خضعوا في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد لنفوذها وسلطانها وأحلّوها مكان لغتهم الأصلية بعدما تبلبلوا، أي أصبحوا بابليين لغةً وثقافةً. وهذا التبلبل اللغوي، أي التكلم باللسان الأكَّادي البابلي، الذي يتحدي مفهوم البلبلة اللغوية التوراتية، لم تتوقف مسيرته داخل حدود العراق القديم، بل امتد خارجها حتى وصل إلى مناطق بعيدة في إيران والأناضول وسوريا القديمة.[٧١] وظاهرة التعددية اللغوية والانصهار اللغوي والثقافي للمجتمع البابلي القديم وأثر الأكَّادية البابلية في بلبلة ألسنة الغرباء بما فيهم اليهود أنفسهم، ربما استرعت نظر محرري التوراة خلال فترات شتاتهم ومنفاهم في العراق أثناء حكم الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١ – ٧٠٥ ق.م) عندما قام بترحيل كل الإسرائيليين الشماليين تقريباً. وكذلك في عهد الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني الذي قضى على مملكة يهوذا الجنوبية وسبي سكانها إلى بابل في أعقاب حملتين: الأولى في عام ٥٩٧ ق.م، والثانية في عام ٥٨٦ ق.م. ولم يتمكنوا من العودة من منفاهم البابلي إلى فلسطين إلا بعد سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م بدعم ومساندة من الملك قورش الأكبر الأخميني وخلفائه الذين عاونوهم في إعادة بناء الهيكل السليماني مكافأة لهم على دورهم في سقوطها.[٧٢]

---

[٧١] عامر سليمان، اللغة الأكدية، ١٠٢-١٠٤.

[٧٢] انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ٥٦٦، ٦٠٣-٦٠٦؛ أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسات وأبحاث (بغداد، ٢٠١٥)، ١٣٥-١٣٩.

وبطبيعة الحال لم يكن اليهود بمنأى عن الأحداث التاريخية الكبرى في منطقة الشرق الأدنى القديم، وانعكاساتها السلبية والإيجابية على ذاكرتهم ومدى اختلاطها والتباسها وكمونها داخلها بمرور السنين، ثم إعادة تأويلها لاحقاً بما يتفق مع أهوائهم ونزعاتهم وميولهم.[٧٣] وكانت من بين هذه الأحداث الكبرى ذكرى عظمة البابليين وارتقائهم ذرى المجد السياسي والحضاري قبل انقلاب أحوالهم وتدهور أوضاعهم وتعرض مدينتهم بابل للانتهاك والتدمير، وما ترتب على ذلك بأن انهارت حضارتهم مثل انهيار برج بابل التوراتي. وكانت أشد وأعنف الضربات الموجهة إلى مدينة بابل ما قام به الملك الآشوري سنحاريب في سنة ٦٨٩ ق.م حينما أقدم على إحراقها وتدمير برجها المدرّج. بالإضافة إلى الحادثة التي عمّقت من الجرح البابلي في نفوس البابليين عندما وقعت مدينتهم في يد الفرس الأخمينيين عام ٥٣٩ ق.م، وهي الحادثة التي ظلت ذكراها عالقة في الذاكرة الإنسانية حتى عصور متأخرة حينما قال القديس أوجسطين "بابل الثانية" للتعبير عن سقوط روما عام ٤٧٦ م في يد الغزاة الجرمان.[٧٤] فالتمزيق اللغوي والعرقي والثقافي كان حاضراً في الذكرة التاريخية في كل مرة كانت تسقط فيها بابل مثلما كان شاهداً على سقوط روما، ولكن حضوره كان ضبابياً وملتبساً في الرواية التوراتية التي ألبسته ثوباً أسطورياً.

كما تعكس هذه القصة التوراتية أيضاً العقلية البدوية للإسرائيليين الذين أَلِفوا العزلة والحياة الصحراوية وسكن الخيام في معظم فترات تاريخهم، ومدى انبهارها الساذج بنمط الحياة في واحدة من أعظم المدن في العالم القديم. فقد كانت بابل تزخر بمعابدها الضخمة وقصورها الفخمة وجدرانها المكسوة بالقرميد المزجج الملون، وبحدائقها الغنّاء وبواباتها المهيبة وبرجها الشاهق الذي يلامس صفحة السماء الزرقاء. كما حفلت أيضاً بصخب أسواقها والأصوات المنطلقة من ألسنة غريبة وضجيج شوارعها الفسيحة والمرصوفة بالحجارة خصوصاً شارعها الرئيسي الممتد بطول ما يزيد على سبعمائة مترا،

---

(٧٣) Assmann, From Akhenaten to Moses, 25-42.

(٧٤) قارن: أسامة يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ١٥٠.

مخترقاً المدينة صوب الجنوب من بوابتها الفخمة المعروفة ببوابة عشتار حتى برجها المدرّج ومعبد معبودها القومي مردوخ.[٧٥] أما القبائل العبرانية فقد كانت تنقسم إلى بدويين وحضريين، وكان الحضريون منهم في أول أمرهم بدويين أيضاً، ولكن لما شاهدوا عمران الحضر طمعوا فيه فنزحوا من الصحراء إلى المناطق المتاخمة للجزيرة وافتتحوها وعاشوا فيها عيشة حضرية منذ حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وحتى الذين تحضروا منهم لم يكن من حظهم أن يأخذوا نصيباً ملموساً من أسباب العمران والرقي وظلت عقليتهم مطبوعة بطابع الصحراء في عصورهم الحضارية بدليل شدة بروز الخيال البدوي ومميزات الحياة الصحرواية في حياتهم الفكرية والثقافية. وقد يكون السبب في ذلك هو قصر تاريخهم القومي الموحد الذي لم يتجاوز قرن من الزمان على أكثر تقدير حينما تأسست المملكة الداوديَّة – السليمانيَّة. وعلى إثر إنحلال مملكتهم المتواضعة إلى مملكتين صغيرتين، ظلت هاتان المملكتان متصارعتين وتكافحان البقاء في ظل حياة قلقة غير مستقرة حتى حاق بهم الفناء التام في نهاية القرن السادس قبل الميلاد. كما أن الملكية، التي يجهلها البدو، وكذلك الحياة التجارية إلى حدٍ ما في مناطق العمران الحضري، قد أخذتا في تكوين طبقة صغيرة من الأثرياء في المدن، في حين أن أكثرية الشعب كانت لا تزال على حالتها الأولى من البداوة والفقر. فضلاً عن أن النصف الجنوبي من فلسطين شبه صحراوي، وكانت قلة الماء فيه من أسباب المتاعب والمعاناة الشديدة في حياتهم.

ومن المفترض أن العقلية الإسرائيلية التوحيدية وانغلاقها الذاتي فكرياً واجتماعياً قد زاد من حدة التعصب القومي والتمسك بالتقاليد الموروثة في العادات والأخلاق، وعمّقت من العزلة وعدم الاحتكاك المباشر بالأمم المتمدنة كالمصريين والعراقيين والفينيقيين.

---

[٧٥] انظر: اثير احمد حسين، أبرز التشكيلات والمظاهر المعمارية لمدينة بابل الكلدانية، ١٩٩-٢٢٦؛ اوسكار رويتر، بابل: المدينة الداخلية "المركز"، ترجمة نوال خورشيد سعيد وعلي يحيي منصور (بغداد، ١٩٨٥)، ٧٣-٨٣؛ جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم (التوراة)، ترجمة نبيلة إبراهيم (القاهرة، ١٩٧٢)، ٢٢٢-٢٢٣.

ولذا، وقفت هذه العقلية عاجزة من مجاراة تلك الأمم الخلاّقة بإنجازاتها الحضارية الفريدة، ونظرت إلى شعوبها بعنصرية متعالية وتعصب وحقد وصب اللعنات عليها. ولم تكتف بذلك بل سعت جاهدة إلى عبرنة المنطقة لغوياً وعرقياً وحضارياً مثلما حدث مع لعنة برج بابل. فقد أراد محررو التوراة أن تكون مدينة بابل مركز تشتت البشر وبلبلة ألسنتهم بدلاً من تسميتها باسمها السامي الذي يعني "باب الإله"، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم بهذه التسمية لما بينهم وبين البابليين من الصلات العرقية واللغوية المتينة.(٧٦) وهذا الحقد الدفين على بابل وأهلها يتضح بجلاء أيضاً في لعنات أشعياء كما هو مذكور على سبيل المثال في الأصحاح الثالث عشر:

{١٩} وَتَصِيرُ بَابِلُ، بَهَاءُ الْمَمَالِكِ وَزِينَةُ فَخْرِ الْكِلْدَانِيِّينَ، كَتَقْلِيبِ اللهِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ. {٢٠} لاَ تُعْمَرُ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ تُسْكَنُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ، وَلاَ يُخَيِّمُ هُنَاكَ أَعْرَابِيٌّ، وَلاَ يُرْبِضُ هُنَاكَ رُعَاةٌ، {٢١} بَلْ تَرْبُضُ هُنَاكَ وُحُوشُ الْقَفْرِ، وَيَمْلأُ الْبُومُ بُيُوتَهُمْ، وَتَسْكُنُ هُنَاكَ بَنَاتُ النَّعَامِ، وَتَرْقُصُ هُنَاكَ مَعْزُ الْوَحْشِ، {٢٢} وَتَصِيحُ بَنَاتُ آوَى فِي قُصُورِهِمْ، وَالذِّئَابُ فِي هَيَاكِلِ التَّنَعُّمِ، وَوَقْتُهَا قَرِيبُ الْمَجِيءِ وَأَيَّامُهَا لاَ تَطُولُ.(٧٧)

ومع الأخذ بعين الاعتبار أن العهد القديم عمل تجميعي تم تكوينه تدريجياً على مر العصور، وراح يتبلور ويتبدل بفعل العوامل والظروف التاريخية المختلفة بحيث لا يتجاوز أقدم زمن لتدوينه القرنين السادس والخامس قبل الميلاد،(٧٨) فالسؤال الذي قد يتبادر إلى

---

(٧٦) انظر: سهيل قاشا، بابل والتوراة (بيروت، ٢٠١١)، ٦٦؛ أسامة يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ١٣٥–١٣٨؛ جاك دريدا، أبراج بابل، ٢٠، ٢٥–٢٦، ١٢٦.

(٧٧) سفر أشعياء، الأصحاح ١٣؛ ١٩–٢٢.

(٧٨) انظر: M. Smith, Palestinian Parties and Politics that Shaped the Old Testament, (New York and London, 1971); Assmann, From Akhenaten to Moses, passim. شهدت القرون الوسطى بروز مجموعة من العلماء والباحثين النقديين الذين أعلنوا عن ارتيابهم في تأريخ تدوين التوراة (العهد القديم أو الكتاب المقدس العبري والمعروف باسم التناخ والذي يتكون من الأسفار الخمسة الأولى وهي التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، والتثنية) وحقيقة نسبتها إلى موسى عليه السلام الذي يُفترض نزولها عليه في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقد ارتأى هؤلاء أنه تم كتابتها بعده بقرون عديدة.

الذهن هو ما إذا كان محررو التوراة قد قصدوا من وراء تدوين وسرد قصتهم الخرافية أن يطمسوا من الذاكرتين التاريخيتين الإسرائيلية والإنسانية فاجعة السبي البابلي المؤلمة واستعاضتها بذاكرة تاريخية بديلة ترتكز على تخليد ذكرى بابل وأهلها بلعنات مشئومة.

وكما أُشير أعلاه أن الشخصية الإسرائيلية المتصلبة وعقلية الصحراء المنغلقة والآثار السلبية الناجمة عنهما قد حالت دون الاندماج الحقيقي مع جيرانهم، ولكن في الحقيقة كانت هناك بعض الاستثناءات البسيطة والغير مكتملة. ومن تلك الاستثناءات الناقصة اختلاطهم بالكنعانيين الفينيقيين عندما استوطنوا فلسطين حيث تأثروا بهم على الصعيدين الديني والدنيوي، واتصالهم بالبابليين خلال السبي البابلي حيث تسرب إليهم الكثير من تراثهم الروحي. كما ربطتهم بالفرس علاقات وثيقة نتيجة التعاون المتبادل

وتمخضت هذه الأعمال النقدية عن أن التوراة تتضمن أربعة مصادر أساسية جُمعت وحُررت ووضعت في عمل واحد حتى وصلت إلى الشكل النهائي لها في صورتها الحالية. والمصادر الأساسية الأربعة هي على الترتيب: المصدر اليهوي، والمصدر الإلوهيمي، والمصدر التثنوي، وأخيراً المصدر الكهنوتي. وكانت البداية مع المصدر اليهوي الذي تم تأليفه في المملكة الجنوبية (يهودا) ما بين القرن التاسع والثامن قبل الميلاد، ويصف هذا العمل الأدبي قصة بني إسرائيل من بداية العالم وحتى الدخول إلى أرض كنعان بقيادة يشوع. وتبع هذا المصدر بحوالي قرن من الزمان تأليف المصدر الإلوهيمي كرؤية مستقلة عن رؤية المصدر اليهوي. وعلى الرغم من أن المصدر الإلوهيمي يصف نفس التاريخ الذي يصفه المصدر اليهوي، إلا أنه يتجاوز الأصحاحات (١-١١) من سفر التكوين، ليبدأ قصته مع إبراهيم (عليه السلام). وفي حوالي القرن السابع قبل الميلاد، اندمج المصدران اليهوي والإلوهيمي في عمل أدبي واحد بواسطة محرر أو مجموعة من المحررين لظروف سياسية واجتماعية مضطربة. وتعرض هذا العمل الأدبي لعملية أخرى من التحرير في القرن السادس قبل الميلاد، حيث تم إدماج ما يُعرف بالمصدر التثنوي إلى المصدرين اليهوي والإلوهيمي. وأخيراً يأتي المصدر الكهنوتي ليكون المرحلة الأخيرة في عمليات التحرير، وينضم في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد إلى المصادر الثلاثة السابقة. وفي كل مرحلة من هذه المراحل، كان كل محرر أو مجموعة من المحررين يعدل وينقح في هذا العمل الأدبي حتى خرج في صورته النهائية على يد الكاهن عزرا في بابل بمساعدة عدد من الكهنة. وتُلقب التوراة عزرا الكاهن بلقب "كاتب شريعة إله السماء". انظر: شريف حامد سالم، المصدر اليهودي في التوراة، دراسة في المضامين التاريخية والدينية والسمات اللغوية (القاهرة، ٢٠١١)، ١٣-١٩.

بينهما بما يخدم مصالحهما المشتركة على حساب مصالح جيرانهم، ومكافأة الفرس لهم بتحريرهم من الأسر البابلي وإعادة توطينهم في فلسطين. ويضاف إلى ذلك أيضاً ظهور بعض الاتجاهات الهادفة إلى الانفتاح والاندماج الحضاري خلال العصر الهلينستي. غير أن هذه المحاولات والدعوات وغيرها كانت تواجه بالرفض والاستهجان والعنف الراديكالي الشديد، وسرعان ما يتراجع ويتقوقع الإسرائيليون على ذاتهم في عالمهم الميتا-تاريخي.

وهكذا يتضح أن قصة بابل التوراتية محض خرافة وضرباً من ضروب الأوهام والخيال، ومن الخطأ تأريخ أصل الترجمة وبداية ظهورها بها، بل ضرورة تأريخها وفقاً لمصادر تاريخية وأثرية ثابتة. وهي المصادر التي تؤكد على حقيقة أسبقية الإنسان الشرقي القديم في معرفتها شفوياً وتحريراً، فضلاً عن تفرده في تأليف أولى المعاجم اللغوية وتدوين نصوص متعددة اللغات منذ ما لا يقل عن أربعة آلاف سنة ونصف، وهو ما سنوضحه عبر صفحات هذا الكتاب.

ميثولوجيّة اللغة الفردوسية والتحيز اللغوي وعلاقتها بالترجمة

ثمة قصة رواها هيرودوت عن الملك المصري بسماتيك الأول (٦٦٤ – ٦١٠ ق.م) الذي ذكره باسم بسماتيخوس، ومفادها أن هذا الملك أراد معرفة أصل اللغات بإجراء تجربة على طفلين حديثي الولادة من عامة الشعب. فما كان عليه إلا أن يعهد بهما إلى أحد الرعاة ليربيهما بين ماشيته ويسقهما من لبن عنزاته، ويعزلهما عن الناس لئلا ينطق أحد بكلمة أمامهما حتى يسمع أول صوت يصدر منهما. وكانت أولى الكلمات التي نطق الطفلان بها بعد انقضاء عامين هي "بكوس" والتي تأكد له بعد استقصائه عن أصلها اللغوي أنها تعني "خبز" بلغة الفريجيين الذين كانو يسكنون أواسط آسيا الصغرى. وبذلك أقر الملك في ضوء هذه التجربة أن الفريجيين ولغتهم أقدم شعوب ولغات العالم.[٧٩] وبالرغم من أن القصة في مجملها من عالم الخيال والخرافة ولا يستسيغها عقل ولا يقبلها

---

[٧٩] محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر (القاهرة، ١٩٦٦)، ٦١-٦٣.

منطق، إلا أنها تحمل بعض الدلالات التاريخية والحضارية المتعلقة بقداسة اللغات والتحيز اللغوي وخيانة المترجم عندما يخون النص ويعتمد على ترجمات واهية لإرضاء طرف دون الطرف الآخر. فالقصة تتناقض مع ما هو معروف عن تحيز المصريين القدماء لقوميتهم ووطنهم ولغتهم كما هو شأن بقية الأمم القديمة والمعاصرة، فقد كانوا شديدي الاعتزاز بذلك، معتبرين أنفسهم أعرق شعوب العالم القديم، وأن بلدهم وجنسهم ولغتهم المقدسة ليس سوى النموذج الأرضي المثالي الذي يحاكي العالم السماوي. فهم وحدهم البشر الذين اصطفاهم الإله الخالق بأن صورهم على صورته وتشكّلوا من لحمه وخُلقوا من عينيه ونزلوا مع دموعه. كما شكّل لهم بلدهم على الصورة السماوية وهيأها لهم حتى تكون الحاضنة الأرضية للعدالة الكونية (ماعت) ونظاماً خُلُقياً قومياً، ومركزاً لتوازن النظام الكوني القائم على فكرة ديمومة انتصار الخير على الشر. كما اعتقدوا أن لغتهم هي اللغة الفردوسية التي تزخر بديناميكية الانتقال والتحول من عالم اللامنظور إلى عالم المنظور إذ هي الوسيلة الوحيدة التي تتحول الكلمات المنطوقة بها إلى حقيقة وواقع ملموس. ولذلك كان بمقدور المتوفي الاهتداء إلى فردوسه الموعود والخلود فيه عن طريق نطق كل ما هو مسجل ومكتوب على جدران مقبرته بلغته المقدسة وخطها الهيروغليفي المقدس. كما كانوا ينظرون إلى لغات الشعوب الأخرى بأنها عبارة عن لغو فارغ وخالٍ من المعنى المفيد والقداسة والحيوية. ولذلك يصعب قبول فكرة تشكيك أحد الفراعنة في هذه الموروثات القومية والحضارية الراسخة، والإفصاح جهراً وعلانية عن مخالفتها ومعارضتها خصوصاً أنه عاش عصراً من عصور النهضة الرامي إلى تحقيق مشروع قومي نهضوي لإحياء التراث المصري التليد واستعادة مجدها ونفوذها داخل البلاد وخارجها.

وتدل قصة هيرودوت الأسطورية على انحيازه اللغوي إذ استثنى لغة قومه اليونانيين عن بقية لغات الأمم الأخرى المعاصرة واعتبرها أصل اللغات البشرية، مدفوعاً من وراء صياغتها داخل هذا الإطار الانحيازي بدافع نزعته العرقية الفوقية وثقافته الهيلينية المتعالية، وهذا ما اعتاد عليه وانتهجه في عرض القضايا المطروحة التي كانت تمس

اليونانيين وثقافتهم أو كانوا طرفاً فيها.(٨٠) صحيح أن قدماء اليونان لم يشغلوا بالهم وينشغلون بالبحث عن اللغة الفردوسية التي كان ينطق بها آدمي العصر الذهبي منذ بدء الخليقة نتيجة اعتقادهم بأسبقية خلق الأرض عن الآلهة بخلاف الإنسان الشرقي القديم، إلا أنهم بالتأكيد كانوا يعتبرون لغتهم هي لغة السلالة الذهبية وما عداها من اللغات البربرية ليست سوى لغو غير مفهوم كما سبق ذكره. وتُعدّ هذه القصة الهيرودوتية أحد الأمثلة الفاضحة لباكورة التحيز اللغوي الأوربي الصريح ضد لغة شرقية، والذي يمكن إضافته إلى سلسلة العصبيات العنصرية اللغوية الأوربية المدفوعة بدوافع قومية ضد اللغات الشرقية بصفة عامة. وقد استمرت هذه السلسلة لاحقاً عبر الرومان، وانتهت بالفرضية الهندو – أوربية التي فضلت الأصل الآري عرقياً ولغوياً عن الأصل السامي كما سيتضح أدناه.

وتشير قصة هيرودوت إلى جهل صاحبها باللغة المصرية القديمة ومجد مصر الغابر؛ لأنه زارها في أحلك عصورها التاريخية والحضارية إبان فترة سقوطها في براثن الاحتلال الفارسي الأخميني، وقد شاخت ذاكرتها وعقول أبنائها وسيطرت عليها الخرافات والأساطير. ونتج عن ذلك أن تصدر الساحة الفكرية والثقافية بمصر آنذاك صغار التراجمة المنتسبين شكلاً إلى طبقة المترجمين التي تعلم روادها الأوائل اللغة اليونانية منذ نعومة أظفارهم على يد المعلمين اليونانيين المقيمين في مصر تنفيذاً لأوامر بسماتيك الأول لتحقيق مكاسب تجارية وعسكرية كما سيتبين لاحقاً في الفصل الثالث. وبالإضافة إلى هؤلاء الصغار من التراجمة، فقد حفلت الساحة أيضاً بصغار الكهنوت وأشباه المتعلمين، والذين كانوا جميعاً على ما يبدو المصدر الذي اعتمد عليه هيرودوت في تدوين تاريخه عن مصر، خلافاً لما زعمه باعتماده على مصادر موثوق بها. ومن المؤكد أن عدم معرفته باللغة المصرية كانت عائقاً كبيراً أمام عدم استقائه لمعلوماته عن مصر من مصادرها الأصلية المدونة في المخطوطات البردية المحفوظة في المكتبات

---

(٨٠) للمزيد من التفاصيل عن تحيز هيرودوت اللغوي والعرقي، انظر: T. Harrison, Herodotus' Conception of Foreign Languages, Histos 2 (1998), 1-45

الملحقة بالمؤسسات الدينية والمدنية كما فعل المؤرخ مانيثون. ولذا كان من الطبيعي أن يلفق له كل هؤلاء من الحكايات والأساطير الخيالية ما يستهويه ويثير انتباهه، ثم يلبسها بعد ذلك ثوباً يلائم الثقافة اليونانية ويستسيغه الذوق اليوناني.

وعلى افتراض صحة قصة هيرودوت – وهو أمر مستبعد – فالشيء الملفت للنظر فيها هو علاقة أولى الكلمات التي نطق بها الطفلان محل التجربة بنظرية محاكاة أصوات الطبيعة المتصلة بنشأة اللغة. فكما سبق ذكره أن من أهم الأدلة الداعمة لهذه النظرية هو لجوء الطفل في تعبيره الإرادي خلال المرحلة السابقة لمرحلة الكلام إلى محاكاة أصوات الطبيعة ومنها أصوات الحيوان حيث يحاكي الصوت قاصداً التعبير عن مصدره. والكلمة الأولى التي نطق بها الطفلان مكوَّنة من مقطعين هما "بك" ونهايته اليونانية "وس" والتي تصادف أن يكون معناها بالفريجية اليونانية هي "الخبز". وليس من المستبعد أن يكون المقطع الأول من هذه الكلمة ليس سوى محاكاة من الطفلين لصوت العنزات.

وعلى صعيد آخر، فإننا نجد أحياناً في نصوص الشرق الأدنى القديم ما يؤكد على حقيقة الاختلاف اللغوي للبشر واعتبارها من السنن الإلهية والتي نجم عنها بالضرورة وجود الترجمة للتواصل والتفاهم فيما بينهم. وليس هناك أبلغ في التعبير عن ذلك مما قاله الملك أمنحوتب الرابع أخناتون في ترنيمته التوحيدية:

"إنك تضع كل إنسان في مكانه، وتمدهم بحاجاتهم؛
وكل إنسان لديه رزقه، وأيامه معدودات.
والألسنة في الكلام مختلفة،
وكذلك تختلف هيئاتهم وتتمايز جلودهم لأنك تخلق الأجانب مختلفين."[٨١]

وبالرجوع مرة ثانية إلى المشهد البرجي البابلي التوراتي وما يعبر عنه من دلالات ميثولوجية مرتبطة بازدواجية العلاقة الوثيقة بين اللغة والترجمة، فإنه يرمز إلى وجود لغة

---

[٨١] Assmann, From Akhenaten to Moses, 54-55.

كونية فردوسية قبل عملية تفكيكها الإلهي وبلبلة ألسنة البشر وتشتيتهم. فالتمزيقان اللغوي والعرقي متزامنان ومرتبطان بالظهور الحتمي للترجمة لإعادة الائتلاف والتفاهم البشري مرة أخرى، وكأن الترجمة بهذا المفهوم الميثو–توراتي هي قانون مقدس تحكمه خطة وعناية إلهية فاعلة في حركة التاريخ وممهوراً بهما. وهذا ما أصبغ على الترجمة أهمية دينية نتج عنها صراع لغوي متأجج حول البحث عن المقومات الكيانية للأمم والشعوب حينما أحاطت باللغات الناقلة للكلمة المقدسة وكذلك اللغات المترجمة لها هالة قدسية سواء كانت متحدرة من لغات سامية كالعبرية والآرامية والسريانية والعربية، أو المنتمية إلى أصول هندو – أوربية كاليونانية واللاتينية وحتى ما تفرع منها من لغات أوربية حديثة كالألمانية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية.[٨٢] وهذه الأهمية الدينية للترجمة وارتباطها الروحي بالكلمة المقدسة قد عززت فكرة اللسان البدئي وصلته بالأصل الفردوسي ونزول الروح القدس على الحواريين وتكلمهم بألسنة مختلفة ليصبحوا من متعدّدي اللغات بحسب ما ورد في الأصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل بالكتاب المقدس.[٨٣] وهنا يختلف التقليد اليهودي عن نظيره المسيحي، فالتقليد اليهودي يرتاب من الترجمة، بينما يعتبر التقليد المسيحي ترجمة الكتاب المقدس إلى كل اللغات واجباً مطلقاً لكي تصل الحياة المنعشة للروح إلى جميع الأمم قاطبة.[٨٤]

وفكرة الفردوس واللغة الأصلية للبشر الأولين في عصرهم الذهبي حيث كانوا يعيشون بسلام وخير ونعيم مقيم، لم تكن غائبة عن التراث الشرقي القديم، بل إنه يمثل الينبوع الأصلي الذي خرجت منه وتغذت من روحه الفيّاضة. ويتجلى ذلك في أسطورة دلمون السومرية المدونة في الألف الثاني قبل الميلاد والتي تأسست عليها لاحقاً قصة الفردوس التوراتية. فقد كان البشر بحسب الأسطورة السومرية يعيشون في فردوس النعيم

---

[٨٢] انظر: دريدا، أبراج بابل، ١٨٥، ٢٣٨؛ موريس أولندر، لغات الفردوس، ترجمة جورج سليمان (بيروت، ٢٠٠٧)، ١١؛ ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٢٦.

[٨٣] أعمال الرسل، الأصحاح الثاني، ٣– ٤

[٨٤] أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي (بيروت، ٢٠١٠)، ٥١–٥٢.

الأرضي، ويتكلمون بلسان واحد حمداً وتمجيداً للإله إنليل،[٨٥] ومن البديهي الاستنتاج بأن يكون هذا اللسان الفردوسي ليس سوى اللسان السومري الذي حافظ على قداسته لدى الرافدينيين والشعوب المجاورة لهم التي أسست حضارتها على التراث السومري. أما الفردوس السماوي الإلهي بحسب تعاليم اللاهوتيين السومريين كان وقفاً على الآلهة وحدهم دون غيرهم ولا نصيب للإنسان الفاني فيه. ولكن إنساناً واحداً فقط استطاع بحسب مؤلفي الأساطير السومرية أن يدخل إلى ذلك الفردوس الإلهي وهو رجل الطوفان زيوسودرا (أوتنابيشتم في ملحمة كلكامش) الذي منحته الآلهة الخلود وفقاً لما ورد في قصة الطوفان السومرية. وعن هذا الفردوس الدلموني السومري حيث عاش المتنعمون بخيراته الوفيره وظلاله الظليل بلا مرض أو موت، والذي يمثل أصل الفردوس التوراتي، فإن الأسطورة السومرية تقول:

"دلمون أرض طاهرة .. في دلمون لا ينعق الغراب ولا يصيح طائر الموت والخراب. لم يكن فيها الأسد المفترس ولا الذئب الذي يفترس الحمل، ولا الكلب الوحشي الذي يأكل التيس .. ليس فيها أرملة ولا مرض ولا عِلّة تصيب الرأس والعين، وليس فيها شيخ ولا عجوز ولا ندب ولا رثاء ولا عزاء ... ".[٨٦]

ولم يكن الحضور المصري غائباً عن مشهد الفردوس التوراتي حيث اللغة المقدسة والنعيم المقيم والطرد المهين. فمن المفترض أن عناصر قبلية بدوية عبرانية قد نزحت

---

[٨٥] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج ١، مصر والعراق (القاهرة، ١٩٨٢)، ٦٢١.

[٨٦] عن هذه الأسطورة وتشابهها مع قصة عدن التوراتية: صمويل كريمر، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر (بغداد – القاهرة، ١٩٥٢)، ٢٣٩–٢٤٩؛ طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم (بغداد، ١٩٧٦)، ٨٨–٩٠؛ صلاح سلمان الجبوري، أدب الحكمة في وادي الرافدين (بغداد، ٢٠٠٠)، ١٧. وحول أرض دلمون (البحرين حالياً) وأسطورتها ومكانها الجغرافي وعلاقة السومريين الروحية والتجارية بها، انظر: أحمد حسين احمد الجميلي، الصلات التجارية بين السومريين والمراكز التجارية في الخليج العربي، (دلمون – Dilmun / مگان – Magan) أُنموذجاً، مجلة آداب الفراهيدي، كلية الآداب – جامعة تكريت، ع ١٩ (٢٠١٤)، ٢٧٧ – ٢٨٣؛ خالد عبدالملك النوري، أسطورة دلمون، ملامح من الأدب الأسطوري السومري، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب – جامعة البحرين، ع ٢٦ (٢٠١٦)، ١٢–٤٣.

إلى مصر فرادى وجماعات حيث استقروا فيها ردحاً من الزمن عندما تمكنوا من التسلل إليها ضمن جماعات أخرى من البدو الساميين والهندو – أوربيين والمعروفين جميعاً باسم الهكسوس الذين أقاموا في منطقة الدلتا الخصبة لأكثر من مائة عام. وكانت هذه المنطقة بالنسبة للقبائل البدوية المترحّلة من الساميين فردوساً أرضياً مخضوضراً لغزارة مياه روافدها النيلية المتفرعة من نهر النيل ووفرة وتنوع بساتينها وثمارها وزراعاتها مما يفسر كثرة أغارتهم المتكررة للتسلل إليها والعيش فيها على امتداد التاريخ الفرعوني. ثم كان طردهم جميعاً في نهاية المطاف حوالي منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد، وهو الطرد الذي ترك آثاره العكسية في سجلاتهم التوراتية في سفر الخروج الذي يأتي ترتيبه بعد سفر التكوين مباشرة حيث أحداث عدن الفردوسية. وتشير البراهين التاريخية إلى محاولة هؤلاء النازحين من الجماعات العبرانية وغيرهم من العناصر المتسللة الأخري أن يتمصروا في اللغة والدين والعادات مما يعني أنهم اكتسبوا الكثير من الموروثات المصرية التي انطبعت في ذاكرتهم. وبديهي أن يتصدر هذه الموروثات موروثان رئيسيان: قدسية اللغة وفردوسية المكان.

لقد آمن المصريون دون سواهم من أمم العالم القديم بأن بلدهم هي فردوسهم الأرضي أثناء حياتهم الدنيا مثلما هي فردوسهم السماوي الذي تمنوا الخلود الأبدي فيه بعد انتقالهم إليه، وكانت لغتهم المقدسة من أهم الوسائل الجوهرية والفعّالة في تحقيق هذا الأمل المنشود. وهي نفس اللغة المفترضة التي كان يتحدث بها كليم الله موسى على أثر تنشئته وتهذيبه في بلاط فرعون كما ورد في الأصحاح السابع من أعمال الرسل،[٨٧]

---

[٨٧] أعمال الرسل، الأصحاح السابع، الآية ٢٢. ومن أكثر الملاحظات الملفتة للنظر والتي لاحظها فرويد في كتابه "موسى (عليه السلام) والتوحيد Moses and Monotheism" هي مسألة الثقل الذي كان في لسان نبي الله موسى، مبرراً ذلك من وجهة نظره بعدم إجادته للغة العبرية نتيجة نشأته وتربيته وتعليمه في البلاط الفرعوني حيث أصبحت اللغة المصرية هي لغته الأم مما اضطره إلى الاستعانة بأخيه هارون – عليه السلام – كمترجم فوري للتواصل والتفاهم مع قومه. انظر: Assmann, From Akhenaten to Moses, 64 فقد ورد في الأصحاح الرابع من سفر الخروج (١٠–١٧) ما يلي: "فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: "اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا

وربما هي ذاتها التي تكلم بها مع يهوه في طور سيناء. علاوة على أنه كان يحمل اسماً مصرياً محضاً، وكان يحفز قومه على اتباع بعض العادات المصرية مثل الختان الذي يعود أصوله المصرية إلى نحو ثلاثة آلاف سنة أو تزيد قبل عصره وفقاً للشواهد الأثرية الثابتة، وهي الشعيرة التي تنسب المعتقدات العبرانية أصلها دائماً إلى موسى عليه السلام. وقد جرت محاولات توراتية إلى عبرنة اسمه، ولكنها باءت كلها بالفشل مثلما فشلت محاولة عبرنة اسم مدينة بابل. وزاد من جرح العبرانيين وموقفهم العدائي تجاه المصريين وبلدهم خضوع فلسطين تحت السيادة المصرية مدة قرنين من الزمان بعد دخولهم إليها، والحملات التأديبية العنيفة التي كان يشنها فراعنتها ضد العصاة والمتمردين منهم وبعض عصاباتهم التي كانت تشيع الاضطرابات والفوضى في عموم المناطق السورية والفلسطينية. ناهيك عن النتائج الكارثية الناتجة عن ذلك خصوصاً أسر

ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ". فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَماً؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيراً أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ". فَقَالَ: "اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ". فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: "أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضاً هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعْلِمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ. وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَماً، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهاً. وَتَأْخُذُ في يَدِكَ هذِهِ الْعَصَا الَّتِى تَصْنَعُ بِهَا الآيَاتِ". ويقول الله في سورة طه على لسان موسى عليه السلام حين أمره أن يذهب إلى فرعون ويطلب منه فك أسر الإسرائيليين مما كانوا يقاسونه من عبودية وسخرة تحت سلطانه في مصر: "قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {٢٥} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي {٢٦} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي {٢٧} يَفْقَهُوا قَوْلِي {٢٨} وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي {٢٩} هَارُونَ أَخِي {٣٠} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي {٣١} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي {٣٢} كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً {٣٣} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً {٣٤} إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً {٣٥} قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى {٣٦}". ولا يتعارض ذلك مع ما ورد في سورة الزخرف على لسان فرعون واصفاً موسى عندما أتاه بالبينات وطلب منه إطلاق سراح قومه بني إسرائيل: "وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ {٥١} أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ {٥٢}". فالأرجح أن مقصود فرعون من قوله: "وَلا يَكَادُ يُبِينُ" هو ضعف حجته وعدم قدرته على الإتيان بدليل يثبت به صدق دعواه. وبالرغم من عدم وجود دليل يثبت صحة تفسير فرويد حول هذا الأمر، إلا أنه الأقرب للمنطق ولا يتناقض مع الدين، فضلاً عن أنه يلغي فكرة وجود عيب في لسان موسى عليه السلام لأن الرسل والأنبياء منزهون عن العيوب الخَلْقية والخُلقية.

الكثير منهم ووضعهم في السجون المصرية وتسخيرهم للقيام بأعمال يدوية شاقة في المشاريع الملكية. ولعل من أشهر تلك الحملات التأديبية الموجهة إليهم الحملة القاسية التي شنها الملك مرنبتاح (١٢١٣-١٢٠٣ ق.م) وخلدها ضمن انتصاراته العديدة على لوحته المعروفة بلوحة إسرائيل حيث يقول:" وإسرائيل قد دُمرت وأُفنيت بذرتها."[٨٨]

وأغلب الظن أن كل هذه الأحداث المفجعة تركت انعكاساتها في الذاكرة التاريخية الشفهية الإسرائيلية التي كانت تبحث عن ماضي تليد ذي انتصارات ومفاخِر معدومة. وبما أن خروجهم الفردوسي المهين كان صدمة مؤلمة لا تقل ألماً ومرارةً عن صدمة بابل، فما كان منهم إلا أن اعتبروه خلاصاً من الظلم والعبودية على أمل تخفيف حدته وشدة وطأته النفسية في ذاكرتهم الشفهية المشوشة. فضلاً عن أن هذا الخروج الذي كان مصدر إلهام توراتي للغزاة والمستعمرين اليوتوبيين عبر التاريخ الإنساني، لم يكن، كما توهموا، خروجاً خلاصياً من أرض ظلم وعبودية بقدر ما كان طرداً من فردوس أرضي. فالخروج من مصر، أرض الظلم والعبودية، التي صب عليها يهوه لعناته وغضبه وانتقامه لتخليص شعبه المختار، إلى الأرض الموعودة التي تفيض لبناً وعسلاً، لم يكن سوى خروجاً من الفردوس الأرضي والنعيم المقيم إلى تيه الجوع والشقاء واليأس والتذمر. ولذا كان من الطبيعي تجريده من طابعه الحقيقي في سفر الخروج وتضمينه في سفر التكوين ضمن أصول شرقية أخرى استند عليها المحررون التوراتيون في قصة عدن الأسطورية.[٨٩]

وبصب اللعنات الممهورة بختم الغضب والانتقام الإلهي على البابليين والمصريين، وبإخراج الفينيقيين الكنعانيين من بين أبناء سام بحسب قائمة الأنساب التوراتية وترويج الحملة التحريضية ضدهم وتشويه سمعتهم بأنهم مخادعون وخبثاء جراء الغيرة والحسد

---

(٨٨) KRI 4, 19: 7; KRITA 4, 15, 19:7; B. G.Davies, Egyptian Historical Inscriptions of the Nineteenth Dynasty, (Jonsered, Sweden, 1997), 185-187.

(٨٩) انظر: Assmann, From Akhenaten to Moses, 25-42.

لموهبتهم التجارية،[٩٠] فإنهم بذلك قد كشفوا عن سوء نواياهم لتلك الأمم المتمدنة ونظرتهم المتعصبة الحاقدة إليهم. ولم يكتفوا بذلك بل اقتبسوا تراثهم الفكري والأدبي والروحي الذي كان من نتاج عبقريتهم وابداعاتهم لأكثر من ألفي سنة عندما لم تكن الكتابات العبرانية موجودة أصلاً، إلا أنهم نجحوا في انتحاله والانفراد به وحدهم عقب ترجمته وإعادة تأويله[٩١] ليصبح إرثهم الأخلاقي والروحي والأدبي وركيزة التمدن الإنساني التي اكتووا بنارها لاحقاً. فكل القرائن التاريخية والأثرية الحديثة تكشف حقيقة هذا التراث المزعوم وأصوله الأولى، وتفضح المحاولات الزائفة التي جرت في سبيل تهويد تاريخ وجغرافية منطقة الشرق الأدنى القديم لاختلاق إنجازات غير موجودة سوى في خيالاتهم الموهومة.

وكانت مسألة اللغة الفردوسية الأولى وإضفاء القداسة عليها مثار خلاف في التقاليد الثيولوجية اليهودية والمسيحية والإسلامية، مصطبغاً حيناً بطابع السياسة والعنصرية وأحياناً بطابع الدين والتاريخ والحضارة. والحقيقة أن الكل يصب في وعاءٍ واحد، أو جهةٍ واحدة هي إبراز التفوق: تفوق دين على دين أو أمة على أمة. ومن الطبيعي أن تتطلع كل أمة عريقة إلى اعتبار نفسها بكر الأمم واعتبار موطنها مهد الإنسانية جمعاء، ولذا تبدأ تقديسها للغتها عمن سواها، وجعلها لغة الفردوس وأصلاً لألسن البشر وبدءاً للكلام والمختارة للكلمة المقدسة.[٩٢] فقد اعتقد بنو إسرائيل أن اللغة العبرية هي الأجدر بآدم وأهل الفردوس والكلمة المقدسة لتفوقها على غيرها من اللغات في السلاسة والبساطة، وسرت هذه العقيدة منهم إلى غيرهم من الساميين حتى أن بعض العرب في القرون

---

[٩٠] قارن أوجه الصراع التجاري للفينيقيين مع اليونانيين من جهة ومع الرومان من جهة أخرى، وانعكاساته الأدبية والاستعمارية والتي كان منها الانطباع السلبي عن الفينيقيين لدى الآخرين: J. Boardman, Aspects of "Colonization", BASOR 322 (2001), 33-42.

[٩١] حول أثر آداب الشرق الأدنى القديم في العهد القديم، انظر: فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة (بغداد، ١٩٨٩)، ٢٣٩-٣٩١؛ غسان عبد صالح، أساطير التوراة: دراسة تاريخية تحليلية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب (جامعة بغداد، ٢٠٠٤).

[٩٢] انظر: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة (بيروت، ٢٠٠٨)، ٦١-٧٦، ١١٧-١١٩.

الوسطى كانوا يعتقدون بذلك.[٩٣] وطال هذا الأمر اللاهوتيين في العصور الوسطى حيث أثاروا موضوع الأصول الفردوسية لغوياً وعرقياً والذي خرج من منطلق ديني بحت حينما تبنت الكنيسة الكاثوليكية الحقيقة الأوجسطينية المعترف بها للقديس أوجسطين (٣٥٤ – ٤٣٠ م) القائلة إن لغة الأصول الآدمية هي لغة التوراة العبرية السامية دون سواها. ولكن بعض المصادر الأخرى أمثال تيودوروس الصوري (٣٩٣-٤٦٦ م) أقرت للسريانية الآرامية بالتفوق على قريبتها العبرية،[٩٤] والتي ضمتها بعض كتب التراث الإسلامي إلى شقيقتها العربية واعتبرتهما لغتين طوباويتين سماويتين. واستدل أصحابها على ذلك بالمرثية الآدمية المتنازع عليها تاريخياً والتي وفقاً لها يكون آدم من مزدوجي اللغة: العربية والسريانية، متكلماً بالعربية في الجنة، وصار يتكلم السريانية بعد حرمانه من لغته الأولى قبل ردها له مرة أخرى إثر قبول توبته.[٩٥] وقد حذر ابن حزم من اعتبار العربية لسان أهل الجنة، لأنها بنفس الطريقة ستكون لغة أهل النار، وبالربط بين الجنة والنار يُلغى هذا اللسان.[٩٦]

واكتسب هذا الموضوع بعده القومي المتشابك والمعقد في أوربا مع إطلالة القرن الثامن عشر الميلادي الذي حفل بتيارات فكرية وسياسية حاسمة. فقد راح العلماء والمفكرون والفلاسفة الأوربيون المناهضون للإكليروس يتجهون على أثر اكتشاف اللغة السنسكريتية في أواخر القرن الثامن عشر إلى إثبات قرابة وطيدة بين مختلف اللغات الأوربية ترجح انتماءها إلى أصل هندو – أوربي مشترك.[٩٧] وكان السير وليام چونز (١٧٤٦ – ١٧٩٤ م)، أحد الحكام الإنجليز في بلاد الهند، هو أول من أعلن عن وجود

---

[٩٣] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٦-٧.

[٩٤] أولندر، لغات الفردوس، ٢٤-٢٥.

[٩٥] سمير بن عبد الرحمن الضامر، قصص الأنبياء في التراث العربي" تحليل سيميائي سردي"، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب – جامعة مؤتة (٢٠٠٩)، ٢٤-٢٨؛ كالفي، حرب اللغات، ٦٨، ٧١، حمزة بن قبلان المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى (الرياض، ٢٠٠٤)، ٢٨-٣٩.

[٩٦] ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، ج ١ (بيروت، ١٩٩٧)،٣٠، ٣٤-٣٥، ٤٣.

[٩٧] للمزيد عن هذا الموضوع انظر: أولندر، لغات الفردوس؛ حمزة المزيني، التحيز اللغوي، ١٤- ٢٤.

تقارب بين الحضارتين الهندية والأوربية وذلك أمام جمعية العلماء في كالكوتا عام ١٧٨٦م. ودلل على صحة اعتقاده بالتشابه اللافت على المستويين المعجمي والنحوي بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوربية، إلا أنه في الحقيقة كان مدفوعاً من وراء هذا الإعلان بدافع التودد إلى الشعوب الهندية بإظهار فضلها السابق على مستعمريها. ونجم عن ذلك أن تطورت نظرية اللغة الفردوسية الأولى إلى إيجاد التميز بين عرق سامي تم اختزاله في الشعب العبراني، وآخر آري تفرعت منه الشعوب الهندو – أوربية المتحدرة من نسل شيت الذين سكنوا القارة الشيتية حيث غزا قسم منها بلاد اليونان واجتاز القسم الآخر نهر الدانوب وصولاً إلى الأراضي الجرمانية وبلاد الغال (فرنسا). وصار يُنظر إلى الفيدا وكأنها توراة الآريين وسر العظمة والتمدن والتفتُّح الأوربي في موازاة التوراة العبرية السامية المتسمة بالتحجر والجمود والإنغلاق وفقاً للرؤية الآرية وأصحابها. وحاول البعض حسم هذا التنازع المزدوج الآريو – سامي بالانتماء إلى الهندو – أوربيين الآريين، أجدادهم بحسب اللغة، والعبرانيين الساميين، أجدادهم بحسب الدين. ومال بعض الأوربيين إلى الربط بين الفيلولوجيا وجغرافية الفردوس عند تناولهم الكتاب المقدس، فراحوا يهيمون فوق نهر الجانج مقربين نهر الفردوس منه خلفاً لعدن التوراتية. ولكن تبين لهم لاحقاً أن الفيدا التي سحرت المتهنودين ليست إلا شعراً بدائياً لرعاة موهوبين، وأن من ركبوا هذا الموج أضحوا دون دراية منهم ألعوبة الوهم الميثولوجي الهندي.

وقبل أن يهتدي العلم إلى أن اللغة السنسكريتية القديمة لا تُعدّ أقرب لهجة قديمة إلى اللغة الآرية الأصلية،[٩٨] كانت قد ظهرت دعوات أوربية تنادي بالثنائية اللغوية المؤلفة من السنسكريتية والعبرية والوحدة المقدسة بين الساميين واليافثيين الهندو – أوربيين وفقاً لحركة الإصلاح البروتستانتية. وتعالت في نفس الوقت دعوات أخري بتفوق الجنس الآري ودونية الجنس السامي، وأن النظام العام الذي ينبغي خضوع البشرية له هو أن الغرب المسيحي حامل لمشعلي الفكر والوحي. وما لبثت كافة الشعوب الأوربية أن

---

[٩٨] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٧.

انجرت، بطريقة أو بأخرى، إلى الأخذ بمبدأ التميز العرقي لتبرير نوازعها الفوقية والاستعمارية. كما بررت نوازعها الاستعمارية المصحوبة بالتبشير بديناميكية سحر لغاتها وتمتعها بالمرونة، متذرعة في ذلك بأنها مدينة للشعوب الدنيا بإرث حضاري عريق يتوجب عليها بعد بلوغها مرحلة متقدمة من التطور العلمي أن تشملها به وتهبها إياه. وعلى الجانب الاخر تعذر على الجرمانيين تحديداً تبني الخطاب الآريو- سامي في القرن التاسع عشر الميلادي وحسم الازدواجية الناجمة عن انتمائهم إليه. فقد جعلوا ينظرون بعين الريبة والقلق إلى ذلك اليهودي الغريب المقيم بين ظهرانيهم، ويسعون إلى إقصائه سعيهم إلى استئصال جسم غريب يعطل توازن الكيان بكامله. وكان هذا استباقاً للمحرقة الهتلرية التي بدأت نارها تستعر على إيقاع الأصول الفردوسية الآدمية الممهورة بختم العناية الإلهية.

ومن الخطأ الاعتقاد أن هذا الصراع الآري الأوربي – السامي بكافة أشكاله وأسبابه السياسية والاقتصادية والفكرية هو نتاج العصر الحديث كما سبق ذكره أعلاه، وإنما سبقه بقرون عديدة صراعات عنيفة بين العالمين المتضادين المتجاورين. ويرجع أول صراع في التاريخ إلى نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد عندما انطلقت شعوب البحر الهندو – أوربية من أرخبيل البحر الإيجي والبلقان وقبرص واليونان، وقامت باكتساح وتدمير وإحراق كافة المدن السامية الساحلية السورية والفلسطينية. ثم نشب صراع آخر بين القرطاجيين الفينيقيين الساميين من ناحية وبين اليونانيين أولاً ومن بعدهم الرومان من ناحية أخرى والذي انتهى بانهزام الساميين في قرطاجة الأفريقية في سنة ١٤٦ ق.م على يد الرومان الذين حرثوا أرضها بالملح للحيلولة دون عودتهم إليها ولمدة قرون إلى أن تغلب الفتح السامي مرة أخرى تحت لواء العرب المسلمين. ناهيك عن خضوع معظم المنطقة السامية بآسيا للإسكندر الأكبر وخلفائه من البطالمة والسلوقيين لمدة ثلاثة قرون (٣٣٢– ٣١ ق.م) قبل أن يستحوذ عليها الرومان من ستينات القرن الأول قبل الميلاد حتى العقد الرابع من القرن السابع الميلادي حين انطوت أخيراً تحت جناح الراية العربية الإسلامية. كما كان هناك صراع آري آسيوي ضد

الساميين كصراع الحيثيين والفرس الأخمينين ضد الأمم السامية في كل من بلاد النهرين وبلاد الشام. صحيح أن التاريخ في صيرورة مستمرة نحو التقدم، ولكنه يعيد نفسه بمسميات ومفاهيم مختلفة شبيهة لماضيها إذ إن لكل زمان ظروفه وملابساته التي لا تتشابه مع الماضي والمستقبل. فالحالمون بفكرة العصر المسيحاني وهو عصر الأمل والسلام والرخاء المنشود مستقبلاً حسب التقليد المسيحي، وأن هذا العصر سيحل يوماً على عالم الشرق والغرب، فإنهم واهمون وغير مدركين لحركة التاريخ، ولا يختلف هذا الوهم عن خرافة العصر الذهبي التي عششت في أساطير وعقول أسلافنا الأولين. فلم ولن يكون هناك وجود لمثل هذا العصر على الإطلاق، وسيظل العالمين المتضادين الشرقي والغربي في خضم هذا الصدام والتنازع الفكري والسياسي والاقتصادي والعسكري. وهذا الصراع والصدام والتنازع الحتمي بينهما ضرورة تاريخية وقانون الانتخاب التاريخي الذي يدفعه إلى التقدم نحو الأمام مهما كبرت أو قلت شروره وتعاظمت أو صغرت مصائبه ومآسيه. فالعالمان الشرقي والغربي وما بينهما من تنازعات وخلافات أيديلوجية يقومان مقام الساقين للتاريخ الذي يسير عليهما للتقدم نحو الأمام، ويستحيل على التاريخ أن يسير على ساق واحدة، أو بمعنى آخر على شرق دون غرب أو غرب دون شرق.

وهكذا، فقد تباين إيقاع الأصول الفردوسية الآدمية الممهورة بختم العناية الإلهية بين الإيقاع الميثو- ثيولوجي والسياسي القومي والذي ورثه وتبناه وحافظ عليه العرق السامي الشرقي المختزل في الشعب العبراني الذي اصطلى بناره حديثاً منذ عصر التنوير حتى المحرقة الهتلرية. ولكن حالهم اللغوي والترجمي كان مختلفاً تماماً في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس ومصر والعراق حيث انتعش الأدب الإسرائيلي حينذاك انتعاشاً عظيماً ونهض نهضة قوية واتجه اتجاهاً جديداً. فقد أخذ اليهود في تلك العهود يقلدون العرب في الشعر إذ اقتبسوا البحور العربية وصاغوها في قالب عبري ووزن عبري، ثم انطلقوا ينشدون المقاطع والقصائد حتى أثرت العبرية بهذا النوع من الشعر الجديد ونبغ فيه كثير من يهود الأندلس. كما ظهرت أساليب جديدة في النثر العبري الفلسفي والتشريعي لتأثره بالأساليب العربية واقتباس اليهود فيه الكثير من الاصطلاحات والألفاظ

العربية وترجموها إلى لغتهم. وقد عرف اليهود للحضارة العربية فضلها عليهم بعد أن انحطت في الشرق فصانوا كثيراً من التآليف الفلسفية من الهلاك والضياع وترجموا منها ما استطاعوا إلى اللغات الأوربية وحافظوا على عدد كبير من الكتب العربية المكتوبة بحروف عبرية.[٩٩]

الترجمة والمترجمون وآليّات تجسير فجوة التمايز والاختلاف اللغوي

عبّر الملك الآشوري آشوربانيبال (٦٦٩ – ٦٣١ ق.م) عن معضلة الحاجز اللغوي في عملية التواصل والتفاهم خلال استقباله لأحد الرسل الأجانب الذي كان يتحدث بلغة غريبة وغير معهودة في مملكته وذلك بقوله: "(من بين متكلمي) لغات الشرق والغرب التي أوهبتني آشور السيادة عليها، لم يكن لدى أي سيد لغته، وظلت لغته غريبة بحيث لم يكن بمقدورهم أن يفهموا خطابه".[١٠٠] فالترجمة قد نشأت بين المجتمعات والأمم البشرية بصفة عامة ومجتمعات وأمم الشرق الأدنى القديم بصفة خاصة كضرورة لغوية، عندما برزت الحاجة إلى التواصل والتفاهم فيما بينها في كل مناحي الحياة باعتبارها نافذة معرفية مطلة على الآخر. كما ساعدت على مد جسور الحوار بين شعوبها وبقية الشعوب الأخرى على اختلاف مشاربهم اللغوية حتى يتحقق السعي نحو مفهوم التعارف والتقارب. والترجمة المحكومة بقانون الصيرورة التاريخية هي الأداة الفاعلة على التلاؤم والتلاحم القائم بين اللغات وإبراز إمكانياتها الخاصة وتفاعلها فيما بينها في الوقت نفسه. وهذا ما يدعوه أحد المنظرين الترجميين بـ "العلاقة الحميمية" بين اللغات، والتي تفيد وجود تقارب أصلي بينها من منطلق أنها ليست غريبة عن بعضها البعض.[١٠١] فضلاً عن امتلاكها طاقة إبداعية هائلة، تتحول بمقتضاها من خيانة لغة وثقافة الآخر، إلى تحقيق غاية أخلاقية متمثلة في الاعتراف بالآخر، وذلك بانفتاحها على لغة أخرى واستقبالها

---

[٩٩] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٩٧-٩٨.

[١٠٠] S.A.Meier, The Messenger in the Ancient Semitic World, (Atlanta, 1988), 163.

[١٠١] برمان، الترجمة والحرف، ٢٠.

وضيافتها لها بحفاوة داخل مقامها مهما بَعُدَ.[١٠٢] غير أن الدعوة إلى الانفتاح اللغوي على الغريب لا يذهب إلى حد التمزيق والفقدان اللغوي والوعي الهوياتي المطلق،[١٠٣] وهو ما حذر منه اللغويون واعتبروه أحد المظاهر القوية على الموت والاندثار اللغوي.

وبناءً على مئات الآلاف من شتى النصوص المختلفة التي تزخر بها حضارات إنسان الشرق الأدنى القديم والتي بدأت عملية تدوينها منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد فصاعداً، فقد تمكن العلماء من تقسيم لغاته ولهجاته المتعددة والمتنوعة إلى أكثر من عائلة لغوية: أولاها هي العائلة اللغوية السامية التي تميزت بوحدة الأصل الواحد، وكانت منتشرة في منطقة واسعة الأطراف ثم تفرعت منها عدة لهجات مختلفة ظلت قريبة ومرتبطة بوحدة الأصل إلى أن هاجرت جماعاتها تدريجياً منذ أواسط الألف الرابع قبل الميلاد. وانتشرت هذه الجماعات السامية إثر هجراتها التدريجية الكبرى في عدة مناطق جغرافية متجاورة ومتباعدة ضمت الجزيرة العربية وبلاد النهرين وبلاد الشام والقرن الأفريقي ومناطقه المختلفة كإريتريا وجيبوتي ومناطق من الصومال، بل وصلت حدود انتشارها بفضل الفينيقيين إلى بعض جزر حوض البحر المتوسط وشمال غرب أفريقيا. ونظراً للامتداد الجغرافي الواسع إضافة إلى عوامل التأثيرات البيئية والتاريخية والحضارية، أخذ الاختلاف عن الأصل الواحد يبرز وينمو حتى أصبحت تلك اللهجات مغايرة له بصورة كبيرة كأن كلا منها لغة مستقلة.[١٠٤] وسوف يكون موضوع اللغات السامية وعقليه أصحابها وإسهاماتها في مجال الترجمة محل دراستنا في الفصل التالي.

---

[١٠٢] برمان، الترجمة والحرف، ٢٢، ١٠١-١٠٣، ١٨٥.

[١٠٣] قارن، برمان، الترجمة والحرف، ١٣٠.

[١٠٤] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٣-٤، ١٤-١٧؛ سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر (بيروت، ١٩٨٦)، ٤٢-٥١؛ حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ١٧-٢٤؛ محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته (القاهرة، ٢٠٠٢)، ٣٢-٣٣؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٦٨-٨٠.

وثاني العائلات اللغوية في منطقة الشرق الأدنى القديم هي الأفرو – آسيوية المعروفة سابقاً باصطلاح الحامية – السامية والتي تجمع في قواعدها النحوية ومفرداتها بين الحامية الأفريقية والسامية الآسيوية، وذلك على اعتبار أنه ليس من فارق أصيل بين المجموعتين، وأنهما من أصل مشترك قديم أو هما على الأقل من عائلة لغوية كبيرة. وهي تتفرع إلى ستة فروع: البربرية (ولهجاتها المحمولة عليها كالطوارق والكبايل وأشباهم)، والشادية، والكوشية (ولهجاتها المشتقة منها كالبجا والجالا والصومال وغيرهم)، والمصرية القديمة (ولهجاتها المتشعبة منها وهي القديمة والوسيطة والحديثة والقبطية ولهجاتها المحمولة عليها: الصعيدية والبحيرية والفيومية والأخميمية) والأوموتية، وأخيراً السامية.[١٠٥] ووفقاً لرأي أشهر جهابذة اللغة المصرية القديمة أمثال أدولف ارمان وكورت زيته، فإن اللغة المصرية القديمة كانت لغة سامية غير أنها انفصلت في وقت مبكر جداً عن قريباتها، وسارت منذ آلاف السنين في طريقها الخاص.[١٠٦] وتُعدّ هذه اللغة أقدم لغات الشرق الأدنى القديم تدويناً وحضوراً وأطولها عمراً إذ يرجع تاريخ تدوينها إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد (٣٢٠٠ ق.م)، وظلت مستعملة بخطوطها الثلاثة: الهيروغليفي المقدس والهيراطيقي الأدبي والديموطيقي الشعبي حتى نهاية القرن الرابع الميلادي. ولكن الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول أصدر قراره في عام ٣٩١ م بإبطال هذه الخطوط وفي مقدمتها الهيروغليفي المقدس إثر إغلاقه المعابد الوثنية، وكان آخر المتون الهيروغليفية هو النص المنقوش داخل معبد إيزيس في جزيرة فيلة بأسوان والمؤرخ بالعام

---

[١٠٥] انظر: عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ١٣–١٥. J.Crass, Afroasiatic Languages. In: Concise Encyclopedia of Languages of the World, K. Brown and S. Ogilvie (eds), (Oxford, 2009), 12-14. وللمزيد من المقارنات النحوية والمعجمية للغات الأفرو–آسيوية، انظر: I.M. Diakonoff, Afrasian Languages. (Moscow: Nauka, 1988) وبخصوص تاريخ أصولها الأولى وخصائصها اللغوية الأساسية ، انظر: R.J. Hayward, "Afroasiatic." In: African Languages: An Introduction. B. Heine and D. Nurse (eds), (Cambridge, 2000), 74-98.

[١٠٦] عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ١٣.

٣٩٤ ق.م.[١٠٧] وبالرغم من ذلك، فقد استمر استعمالها كلغة تخاطب وتدوين وثقافة بين أهلها المصريين المسيحيين الذين تكلموا بها بلهجتهم القبطية ولكن بخط كتابتها الجديد المعروف بالقبطي الذي اقتبسوا حروفه من الأبجدية اليونانية المقتبسة من الفينيقية ذات الأصول السينائية، وبذلك عادوا من دون دراية منهم إلى أحد أشكال أصولهم الكتابية الأولى. ولكن العمل بهذه اللغة قد توقف رسمياً في سنة ٧٠٦ م حين أبطل الوليد بن عبد الملك استعمالها في الدواوين المصرية.[١٠٨]

أما العائلة اللغوية الثالثة من لغات المنطقة فهي المعروفة اصطلاحاً بالهندو – أوربية والتي ضمت عدداً من اللغات منها الحيثية واللوفية والليكية والليدية والكارية والفارسية القديمة (الأخمينية). وانتشرت اللغة الحيثية في مناطق أواسط الأناضول، وهي معروفة من خلال نصوصها المدونة بالكتابة المسمارية من القرن السابع عشر حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد رغم أن بعض النصوص الآشورية القديمة قد أوردت بعض مفرداتها في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.[١٠٩] ولكن هذه اللغة لم تنتشر كثيراً خارج منطقة أهلها الحيثيين حيث عُثر في أوجاريت السورية على بضعة نصوص حيثية فقط، وكان الاتصال والتفاهم بين الحيثيين والموالين لهم في شمال غرب سوريا يتم باللغة الدولية الأكَّادية.[١١٠] كما كانت اللغة اللوفية الهندو–أوربية متداولة في أواسط الأناضول من القرن الرابع عشر حتى القرن الثامن قبل الميلاد استناداً إلى نصوصها المكتوب بعضها بالخط المسماري، بينما نُقش البعض الآخر بخط أصحابها الأصليين والذي تم فك طلاسمه مؤخراً بفضل الكتابة الفينيقية. وانتشار هذه اللغة في نفس مناطق انتشار

---

(١٠٧) J.P. Allen, Middle Egyptian: An Introduction to the Language and Culture of Hieroglyphs, (Cambridge, 2010), 8.

(١٠٨) عن قرار إبطال اللغة القبطية في الدواوين المصرية، انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٢١.

(١٠٩) R.S.P. Beekes, Comparative Indo-European linguistics, An Introduction, (Amsterdam, Philadelphia, 2011), 20.

(١١٠) W.H. Van Soldt, Ugarit as a Hittite Vassal State, AF 37/2 (2010), 198-207.

اللغة الحيثية يدل على القرابة اللغوية بينهما.(١١١) وينطبق نفس الشيء أيضاً على اللغات الليكية والليدية والكارية لقرابتهم للعائلة اللغوية الأناضولية الهندو – أوربية كما هو شأن اللغتين الحيثية واللوفية،(١١٢) ولكن تاريخ ظهورهم متأخر عنهما إذ يرجع إلى أواسط الألف الأول قبل الميلاد حيث تم كتابة نصوصها بأبجدية هجائية. وهناك عدد قليل من الآثار المكتشفة في الأناضول عليها نقوش ليدية – آرامية ثنائية اللغة، ونقوش أخرى ليكية – يونانية – آرامية ثلاثية اللغة.(١١٣) وتُعدّ اللغة الفارسية (الأخمينية) القديمة واحدة من فرع اللغات الهندو – إيرانية المنتسبة إلى المجموعة الهندو – أوربية بالمنطقة، وكانت حاضرة ومدونة بالخط المسماري المطور على الصعيد الرسمي من أواخر القرن السادس حتى القرن الرابع قبل الميلاد. وهذه اللغة مرتبطة بالأفستية (الفارسية الوسيطة) التي تمثل لغة النصوص الزرادشتية المقدسة والتي ظهرت على أثر تطور اللغة الفارسية القديمة وتفرعت إلى الزندية والبهلوية وامتدت من القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد حتى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين.(١١٤)

ويضاف إلى قائمة اللغات السابقة مجموعة لغوية أخيرة معروفة باللغات المنفصلة المعزولة التي لا تربطها ببعضها صلة لغوية ولا تنتمي إلى العائلات اللغوية المعروفة، ومنها السومرية والعيلامية والحورية والأورارتية، وكذلك الكاشية المعروف منها فقط بضعة ألفاظ قليلة في النصوص الأكَّادية البابلية.(١١٥) واللغة السومرية هي أقدم اللغات

---

(١١١) I.Yakubovich, Hittite-Luvian Bilingualism and the Origin of Anatolian Hieroglyphs, Acta Linguistica Petropolitana 4/1 (2008), 9-36.

(١١٢) F.C. Woudhuizen, Thracians , Luwians and Greeks in Bronz Age Central Greece. In: Thracians & Mycenaeans, Proceedings of the Fourth International Congress of Thracology, Rotterdam 24-26 September 1984, J.G.P. Best & N.M.W. de Vries (eds.). (Leiden, 1989), 194, fig. 2; 202-3, Table 1.

(١١٣) H. C. Melchert, Anatolian. In: The Indo – European languages, M. Kapović (edit.), (London & New York 2017), 171-175.

(١١٤) P.O. Skjærvø, Old Iranian Languages. In: The Iranian Languages, G. Windfuhr (edit.), (London and New York, (2009), 43–45.

(١١٥) P. Michalowski, Ancient Near Eastern and European Isolates. In: Language Isolates, L. Campbell (edit.), (London and New York 2018), 20-36.

العراقية القديمة تدويناً إذ يرجع تاريخها إلى القرن الرابع والثلاثين قبل الميلاد (حضارة الوركاء). وقد تكلم بها السومريون في النصف الجنوبي من سهول النهرين قبل إحلالها بالأكَّادية حوالي ٢٠٠٠ ق.م، ولكن استمر استعمالها بعد ذلك من قبل الكتبة الأكَّاديين حتى نهاية استخدام الكتابة المسمارية أواخر الألف الأول قبل الميلاد. ويُطلق عليها تسمية اللغة الإلصاقية Agglutinative، ومن مظاهر الإلصاق اللغوي فيها إدراج لفظين لتكوين كلمة جديدة، وإدماج الضمير في الفعل المتصل به.[١١٦] وكانت اللغة العيلامية لغة دولة عيلام في جنوب غربي إيران، وهي تنقسم إلى عدة مراحل: العيلامية القديمة وترجع أقدم نصوصها المكتوبة بالمسمارية إلى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، والعيلامية الوسيطة من القرن الثالث عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، والعيلامية الحديثة من القرن الثامن حتى القرن السادس قبل الميلاد. كما كانت هذه اللغة أيضاً اللغة الرسمية للإمبراطورية الأخمينية (القرن السادس حتى الرابع قبل الميلاد) بناءً على آلاف النصوص المتوفرة.[١١٧] أما اللغة الحورية في جنوب وأواسط الأناضول والمناطق الشمالية الغربية من نهر الفرات، فلم تغب عن المشهد اللغوي بالمنطقة في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد رغم تأريخ غالبية نصوصها المكتوبة بالمسمارية بالنصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. وبالرغم من ندرة المصادر اللغوية الحورية وعدم وجودها بكثرة خارج مناطقهم، إلا أنه عثر على رسالة واحدة بالحورية ضمن رسائل تل العمارنة الدبلوماسية، وبعض الأسماء والكلمات الحورية مبعثرة في جنوب بلاد الشام، وكذلك وردت بعض الإشارات التاريخية عنهم في العهد القديم. وأقرب اللغات إلى اللغة الحورية هي اللغة الأورارتية للمملكة الأورارتية (أرارات البابلية) والتي لها نصوص مسمارية مؤرخة من القرن التاسع حتى السابع قبل الميلاد. ولاتزال المحاولات جارية لضم

---

(١١٦) عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٣٩-٤١؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٨-٢٧، ٤٠.

(١١٧) M.W. Stolper, Elamite. In: The Cambridge Encyclopedia of the World's Ancient Languages, D.W. Roger (edit.), (Cambridge, 2004), 60–94.

اللغتين الحورية والأورارتية إلى عائلة اللغات القوقازية رغم عدم قناعة غالبية العلماء بذلك.[١١٨]

وتتكشف هنا بجلاء ظاهرة لغوية – ترجمية لنموذجين مختلفين ومتناقضين ضمن نماذج اللغات الغالبة والمقهورة في عالم الشرق الأدنى القديم والتي سنناقشها بالتفصيل لاحقاً في الفصل التالي، والمتمثلة في لغة أكَّادية سامية وافدة ولغة كاشية هندو – أوربية غازية. فقد استكان النموذج الأكَّادي السامي في البداية إلى لغة المغلوبين من السومريين إلى أن تمكن من إحلال لغته شيئاً فشيئاً وترجمة تراثهم الأدبي والفكري والروحي بواسطتها. وعلى النقيض من ذلك كان النموذج الآخر وهو الكاشي، فقد أسس الكاشيون أسرة بابل الثالثة ودام حكمهم زهاء أربعة قرون (١٥٩٥ – ١١٥٥ ق.م)، واتخذوا اللغة البابلية (الأكَّادية الوسيطة) لغة لهم مما يفسر قلة المفردات الكاشية المترجمة إلى اللغة البابلية في مصادرهم الكتابية.[١١٩] ولم يكن من المستغرب انتفاع الكاشين بحضارة السكان الأصليين وخضوعهم للغتهم التي كانت تمثل لغة المغلوبين نتيجة اكتفائهم بأن اعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بينهم. وهذا الانحلال اللغوي التدريجي للسومرية المقهورة كان ناجماً عن طول أمد الاحتكاك والجوار اللغوي والتداخل الديموجرافي والجغرافي إضافة إلى الصراع بين الدويلات السومرية التي أضعفها وأنهك قواها. وقد أدى في نهاية المطاف إلى سيادة اللغة الأكَّادية السامية سيادةً منقوصةً لتأثرها بالسومرية صوتياً ونحوياً وصرفياً ومعجمياً،[١٢٠] علاوة على استمرار استخدام السومرية كلغة ثقافة وعلم في مجالات محدودة حتى بعد انحلالها.[١٢١] وعلى النقيض من ذلك، فإن الانحلال

---

[١١٨] H. Gzella, Introduction. In: Languages from the World of the Bible, H. Gzella (edit.), (Berlin, 2012). 1-13; G. Wilhelm, Hurrian, Urartian. In: The Cambridge Encyclopedia of the World's Ancient Languages, D.W. Roger (edit.), (Cambridge, 2004), 95-137.

[١١٩] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ٤٩٧.

[١٢٠] خالد العبيدي، اللغة السومرية ، ١٢٩–١٢٦. وقارن: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٣؛ آمنة بنت صالح الزغبي، المرحلية اللغوية قراءة تاريخية مقارنة في نشوء اللغات وموتها، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٨ ، ع ٣٧ (٢٠٠٦)، ٤٠١ – ٤٠٢.

[١٢١] عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٩٦.

اللغوي السريع للكاشية المقهورة كان ناتجاً عن قلة أعدادهم وضآلة وخشونة حضارتهم مقارنة بالتفوق الحضاري للبابليين الذي أعطى للغتهم هيبة عظيمة، وكذلك قصر أمد الصراع وانعدام الجوار اللغوي والتداخل الديموجرافي. وهذا الانحلال السريع للكاشية قد أدى إلى موتها المفاجئ بدليل الندرة الشديدة للمفردات الكاشية في الأكَّادية البابلية. وتنطوي هذه الظاهرة عموماً على أحد قوانين الصراع اللغوي الذي يقضي بأن يكون العنصر الغالب أكثر رقياً من المغلوب في ثقافته وحضارته وأشد منه بأساً وأكثر عدداً ونفوذاً. وهذا التنازع اللغوي ونتائجه الإيجابية والمثمرة في تطور اللغة والترجمة وحتى الكتابة يدخل ضمن مفهوم حتمية حركة التاريخ الإنساني وصيرورته المستمرة نحو التقدم باعتباره أحد القوى الرئيسية الدافعة والمحركة له.

ولكن على الرغم من اختلاف وتناقض الموقف اللغوي بين الأكَّاديين والكاشيين، إلا أنهما تشابها في مسألة الانتصار للغة المقهورين. فعلى الرغم من انتصار الأكّادية على السومرية في نهاية المطاف، ولكن الأكَّاديين قد انتصروا للغة السومرية من خلال وجوب تعلمها وإعادة نسخ نصوصها وتدوينها بجانب سجلاتهم؛ لأنها كانت تمثل لغة الثقافة والعلوم والآداب والتراث الروحي الذي تشاركوا فيه مع السومريين. كما انتصر الكاشيون للغة الأكَّادية البابلية، وتبنوا التراث البابلي وأسسوا عليه نهضتهم الثقافية والفكرية والمعرفية على أثر اهتمام ورعاية ملوكهم للفنون والآداب والعلوم التي شهدت انتعاشاً كبيراً وبلغت شأناً عظيماً. وكان من تعزيز الكاشيين لمكانة اللغة الأكَّادية أن تحولت إلى لغة التواصل والدبلوماسية الدولية والترجمة في كافة أرجاء الشرق الأدنى القديم.[١٢٢]

على أية حال، فإن هذا التمايز والاختلاف اللغوي بين أمم وشعوب الشرق الأدنى القديم لم يصرفها يوماً عبر تاريخها الطويل عن التواصل والاتصال والانصهار

---

[١٢٢] انظر: مها حسن الزبيدي، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي الوسيط (الفترة الكشية) / عقرقوف (دور – كوريكالزو)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب، جامعة بغداد (٢٠٠٣)، ٥١–٥٢، ٥٥–٥٨.

الحضاري، وتحقيقاً لهذا الغرض فقد سبقت غيرها من شعوب وأمم العالم القديم في تفعيل وتعظيم دور الترجمة والمترجمين في كافة مجالاتها العامة والخاصة. وتوافرت لديها مجموعة من الآليات المتنوعة التي انفردت بها وحدها والتي كان من شأنها تسريع وتيرة تفعيل وتعظيم هذا الدور الخاص بالترجمة والمترجمين بهدف تجسير فجوة الاختلاف اللغوي والثقافي. وأولى هذه الآليات هي استعمال الكتابة السومرية المسمارية طوال ثلاثة آلاف سنة على أقل تقدير منذ ظهور بوادرها الصوتية في الألف الثالث قبل الميلاد حتى قرن واحد قبل الميلاد. فقد كانت هذه الكتابة بمثابة نافذة حضارية أطلت منها معظم شعوب المنطقة قروناً طويلة لتدوين وترجمة تراثها المادي والفكري، والتي نفذت عبرها أيضاً الدراسات العلمية الحديثة إلى ترجمته والتحقق من أصالته وعراقته على أثر اكتشافها وفك طلاسمها في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.[١٢٣] ولم يكن لهذه الكتابة نظير في العصور القديمة، ولم يعرف لكتابة من الكتابات انتشار واسع مثلها إلا بعد انتشار الخطوط اللاحقة: الآرامي واليوناني واللاتيني والعربي.[١٢٤] كما كان لها أيضاً تأثير كبير في نشأة وانتشار المعاجم اللغوية والنصوص متعددة اللغات ليس فقط في بلاد النهرين، بل أيضاً في مناطق أخرى مثل أوجاريت حيث عُثر على نصوص معجمية تضم مفردات مختلفة كالحورية والحيثية والسومرية والأوجاريتية والأكَّادية، وكلها مكتوبة بالسومرية المسمارية.[١٢٥]

وكما ابتدع الشرقي القديم آلية اعتماد كتابة موحدة تؤلِّف بين شتى لغاته المختلفة، كان عليه أيضاً ابتكار آلية ثانية وهي اعتماد لغة مشتركة متفق عليها بحيث يتم ترجمة ونقل اللغات المحلية المراد تداولها إليها باعتبارها لغة تعامل دولية ليس فقط في المحافل السياسية والدبلوماسية، بل كذلك في المعاملات التجارية. وأهم تلك اللغات المشتركة

---

[١٢٣] خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٢٩-٣١.

[١٢٤] قارن: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٤٠.

[١٢٥] فؤاد عبد المطلب، الترجمة في الحضارات القديمة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٣، ج ٣ (٢٠٠٨)، ٥٥٢-٥٧٠.

المعتمدة اللغة الأكَّادية (اللهجة البابلية الوسيطة) خلال الألف الثاني قبل الميلاد واللغة الآرامية في أواسط الألف الأول قبل الميلاد، ويرجع سبب اختيارهما إلى انتشارهما الواسع في عدة مناطق مختلفة. فقد انتشرت اللغة الأكَّادية وخطها المسماري خارج بلاد النهرين في بلاد عيلام جنوب غربي إيران (حوالي أواسط الألف الثالث قبل الميلاد) وكبادوكيا في شرقي الأناضول (مطلع الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً) وعدد من المدن والممالك السورية القديمة (أواسط الألف الثاني قبل الميلاد).[١٢٦] حتى أنه كانت توجد مدرسة متخصصة لتعليم الأكَّادية وخطها المسماري للكتبة المصريين في العاصمة العمارنية في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث عُثر على بعض الألواح الصلصالية وعليها قوائم معجمية ونحوية ونصوص أدبية مكتوبة بهما.[١٢٧]

ولعل استخدام اللغة الأكَّادية بخطها المسماري في المكاتبات الرسمية الدولية بين حكام وملوك الشرق الأدنى القديم في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد دليل قاطع على عظمة وتميز مكانتها عن بقية لغات الشرق الأدنى القديم. كما كُتبت بهما كل المعاهدات الرسمية المبرمة بين بلدان الشرق القديم مثل معاهدات الكاشيين والآشوريين لترسيم الحدود بينهما خلال النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد،[١٢٨] ومعاهدات التبعية التي عقدها الآشوريون مع الميديين لتنظيم ولاية العهد الآشوري خلال فترة حكم سنحاريب وخليفته أسرحدون (٦٨٠-٦٦٨ ق.م)، ومعاهدة الصلح بين الميديين والليديين في سنة ٥٨٥ ق.م،[١٢٩] ومعاهدات الحيثيين في عهد ملكهم شوبيلوليوما الأول مع الممالك

---

[١٢٦] عامر سليمان، اللغة الأكدية، ١٠٣-١٠٤؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٣٤- ٣٥.

[١٢٧] T. Bryce, Letters of the Great Kings of the Ancient Near East, The Royal Correspondence of the Late Bronze Age, (London and New York, 2003), 224.

[١٢٨] علي شحيلات، عبد العزيز الحمداني، مختصر تاريخ العراق، تاريخ العراق القديم، ج ٣ العصر البابلي (٢٠٠٤ – ٥٣٩ ق.م)، ١٤٥.

[١٢٩] أسامة يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ٦٣-٦٥.

السورية لوضعها تحت التبعية الحيثية خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد،[١٣٠] ومعاهدة مدينتي ألالاخ الحورية وكيزوتنا الكيليكية في جنوب شرق الأناضول، والمؤرخة عام ١٤٨٠ ق.م تقريباً بهدف إرساء الثقة والتفاهم المتبادل والتعاون المشترك في تسليم العبيد الفارين من أسيادهم.[١٣١] ولكن أهم هذه المعاهدات شهرةً وخلوداً هي معاهدة السلام ثنائية اللغة (المصرية بخطها الهيروغليفي والأكّادية الدولية بخطها المسماري) والمبرمة بين المصريين والحيثيين في عام ١٢٦٩ ق.م. وتُعدّ هذه المعاهدة أقدم وثيقة من نوعها في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بل وفي تاريخ العالم الدولي، والمطلع على نصوصها يجد أنها الأساس الذي سارت على نهجه أمم العالم اللاحقة في إبرام المعاهدات. وتم الكشف عن النسخة المسمارية لهذه المعاهدة في العاصمة الحيثية خاتوشا (بوغازكوي) حيث عثر منها على ثلاثة ألواح صلصالية محفوظ اثنان منهم في متحف اسطنبول والثالث في متحف برلين، بينما نُقشت نسختها الهيروغليفية على جدران معبدي آمون بالكرنك والرامسيوم.[١٣٢] وهناك نسخة باللغة الأكّادية من نص هذه المعاهدة منصوبة عند مدخل مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة بنيويورك.[١٣٣]

وكان لهذه المعاهدات المكتوبة بالأكّادية وخطها المسماري والمبرمة بين ممالك ودويلات الشرق الأدنى القديم نتائج مثمرة على المنطقة بأسرها إذ إنها عملت على تحقيق الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي بين ربوعها، وتعزيز التفاهم السلمي بين

---

[١٣٠] عيد مرعي، تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠- ٣٣٣ ق.م)، (دمشق، ٢٠١٠)، ١٥٤-١٥٥؛ فاروق إسماعيل، معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول (نحو ١٤٣٠- ١٣٨٠ ق.م)، مجلة جامعة الملك سعود، السياحة والآثار، مج ٢١، ع ١ (الرياض، ٢٠٠٩)، ١-١٧.

[١٣١] جيهان عزت محمد، معاهدة بين ألالاخ وكيزوتنا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج ٣٨، ج ٢ (٢٠١٦)، ١٧٧-١٨٧.

[١٣٢] T. Bryce, The ‘Eternal Treaty’ from the Hittite Perspective, BMSAES 6 (2006), 1-11.

[١٣٣] Bryce, Letters of the Great Kings of the Ancient Near East, 22.

كبار ملوكها.[١٣٤] فضلاً عن أنها تُبرز أهمية دور الترجمة والمترجمين في معترك العلاقات الدولية والسياسة الخارجية من خلال قيام كبار المترجمين الرسميين بترجمة تلك المعاهدات الرسمية من لغاتهم المحلية إلى اللغة الأكَّادية الدولية بكل دقة وعناية كما هو حال العلاقات الدولية والسياسة الخارجية الراهنة.

ولكن اللغة الآرامية بدأت تقتحم معاقل اللغة الأكَّادية منذ القرن السابع قبل الميلاد وحلت مكانها بسبب انتشارها الواسع في عدد من البلدان والأقاليم المجاورة والبعيدة كالأناضول ومصر وشمال الجزيرة العربية. وعندما كان ملوك الفرس الأخمينيين يبحثون عن لغة مفهومة وسهلة لجميع الشعوب المختلفة الخاضعة لهم، لم يجدوا سوى هذه اللغة وخطها الآرامي البسيط، وزاد ذلك من أهميتها ومكانتها وساعدها على الانطلاق نحو ترجمة التراث الفكري والديني بالمنطقة.[١٣٥]

وثالث الآليات تكمن في النشاط المحموم الذي مارسه المبعوثون التجاريون والدبلوماسيون والاستكشافيون، وتيسير حرية انتقالهم براً وبحراً بين ربوع المنطقة للتقريب بين شعوبها ومد جسور التعاون والتغلب على عوائق الحدود اللغوية والفروق الثقافية. ومما لا ريب فيه أن الذي ساعد على ذلك هو ثراء هذه المنطقة بمقدراتها الطبيعية وأهمية موقعها الحيوي والاستراتيجي وتمتعها بشبكة من الموانئ والطرق البرية الرئيسية التي ربطت بين ربوعها المختلفة وبين العالم الخارجي لتوفير احتياجاته من البضائع والسلع المحلية والعالمية. وكانت سوريا هي الطريق والبوابة للتجارة البحرية الدولية نتيجة مرافئها الطبيعية التي أدت إلى ازدهارها وفاقت شهرتها العالم القديم وقامت عليها دويلات مدن وممالك مستقلة وغنية. ويتضح ذلك بجلاء من خلال الأدلة النصية كالألواح الصلصالية المكتوبة بعدة لغات محلية وإقليمية ودولية: الأوجاريتية والحورية والأكَّادية والحيثية والقبرصية المينوية والمصرية، والمكتشفة منذ ١٩٢٨م ضمن محفوظات القصر

---

(١٣٤) L.G. Freire, Covenant and International Relations in the Ancient Near East: a Preliminary Exploration, Antiguo Oriente 11 (2013), 129-154.

(١٣٥) أسامة يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ٢١٠-٢١١.

الملكي بمدينة أوجاريت. فكثير من هذه النصوص تحمل طابعاً تجارياً محضاً يثبت حركة الترجمة المحمومة في المجال الاقتصادي خلال القرن الثالث عشر ومطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد.[١٣٦] كما تسجل النصوص المسمارية العراقية القديمة الكثير من علاقات أصحابها التجارية بجيرانهم واستقبال ملوكهم البعثات والوفود التجارية في القصور الملكية لإبرام الاتفاقيات الاقتصادية التي صاغها مترجمون محترفون.[١٣٧] علاوة على الجالية التجارية المصرية في ميناء جبيل بلبنان (بيبلوس) خلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد والتي كانت تضم بلا شك وسطاء لغويين من الجانبين.[١٣٨] ناهيك عن البعثات الاستكشافية التي قادها كبار المستكشفين الشرقيين الذين توجهوا برحلاتهم البرية والبحرية بمصاحبة مترجمين إلى بعض المناطق المجهولة بهدف الاستكشاف والتواصل مع سكان مناطقها المأهولة وفتح أسواق جديدة للتبادل التجاري فيها.[١٣٩]

ولكن الرغبة في الهيمنة على طرق التجارة إضافة إلى السعي وراء الغلبة والسيطرة وفرض الإرادة السياسية والاقتصادية، كانت من أهم الدوافع الهامة لتأسيس إولى الإمبراطوريات العسكرية في العالم القديم بأسره. ويمكن اعتبار ذلك رابع آليات تفعيل وتنشيط حركة الترجمة والمترجمين لما كانت تنطوي عليه من نتائج إيجابية في مجال

---

[١٣٦] W.M. Schniedewind, J.O. Hunt, A Primer on Ugaritic, Language, Culture, and Literature, (Cambridge, 2007), 8, 15-16, 21, 23-24, 95-96. وانظر أيضاً: هديب حياوي غزالة، أوغاريت مركز تجارة العالم القديم، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج ١٨، ع ٤ (٢٠١٠)، ٩٨٩-٩٩٥.

[١٣٧] انظر: أحمد الجميلي، الصلات التجارية بين السومريين والمراكز التجارية في الخليج العربي، ٢٦٧-٢٩٢؛ هديب غزالة، أوغاريت مركز تجارة العالم، ٩٨٩-٩٩١.

[١٣٨] انظر: عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ٣٣٤.

[١٣٩] G.P. Gilbert, Ancient Egyptian Sea Power and the Origin of Maritime Power, (Australia, 2006), 65-66, 86-87, 108; R. Schulz, Over the Water and Across the Desert -Trans-Saharan Contacts of the Mediterranean World in the 6th and 5th Century BC, JAC 32/2 (2017), 147-174.

الاحتكاك والتفاعل والانصهار اللغوي والعرقي ودفع حركة التاريخ إلى الأمام بالرغم من بشاعة وجهها الآخر. وتميُّز هذه المنطقة بقيام أولى الإمبراطوريات العسكرية كان من النتائج الطبيعية الناجمة عن نشأة الممالك الكبرى ورغبة كبار ملوكها في التوسع الخارجي، وهو الاتجاه الذي أصبح أولوية قصوى في استراتيجيات القوى العظمى. وعلى النقيض من ذلك، فلم يشهد العالم الغربي نشأة ممالك كبرى مما أدى إلى غياب الإمبراطوريات العسكرية حتى تمكن الإسكندر الأكبر من تأسيس أول إمبراطورية غربية في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد بالرغم من استهجان اليونانيين الذين لم يعهدوا ذلك من قبل إذ كانوا يعدّونه من ثوابت التقاليد الشرقية وحدها. ففي نهاية الألف الثالث والنصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، كان عالم الشرق الأدنى القديم قد شهد قيام إمبراطوريتين أولاهما هي الإمبراطورية الأكَّادية التي أسسها سرجون الأكَّادي، وثانيهما هي الإمبراطورية البابلية ومؤسسها حمورابي البابلي. كما نهضت خمس إمبراطوريات عظمى متنافسة فيما بينها إبان العصر البرونزي المتأخر خلال الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى بدايات القرن الثاني عشر قبل الميلاد وهي: الإمبراطورية المصرية التي تأسست بعد طرد الغزاة الهكسوس، والإمبراطورية الحيثية في منطقة وسط آسيا الصغرى، والإمبراطورية الميتانية الحورية في أعالي ما بين النهرين وشمال سوريا، وأخيراً الإمبراطورية الآشورية أثناء العصر الآشوري الوسيط في شمال بلاد النهرين، والتي قويت شوكتها بعد انهيار الإمبراطورية الميتانية وحلت محلها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ولكن الهيمنة على المشهد العالمي آنذاك كانت لصالح الإمبراطوريتين المصرية والحيثية اللتين كانتا تمثلان اللاعب الأكبر في المنطقة قبل انكماشهما وانحسار دورهما في نهاية هذا العصر ليبزغ نجم الإمبراطورية الآشورية الحديثة في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد. وسقطت هذه الإمبراطورية في أواخر القرن السابع قبل الميلاد على يد البابليين الكلدان الذين أسسوا آخر الإمبراطوريات العراقية القديمة خلال حكم نبوخذ نصر الثاني قبل وقوعها في يد الفرس الأخمينيين في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد عندما حان وقتهم في تأسيس إمبراطوريتهم آنذاك.

ويكفينا هنا الاقتصار على الحالة المصرية لتوضيح أثر آلية السياسة العسكرية في كسر حواجز العزلة اللغوية وما يترتب عليه من احتكاك وامتزاج لغوي وعرقي وتهيئة تربة خصبة للترجمة والمترجمين وانصهار حضاري ودفع حركة التاريخ نحو التقدم للأمام. فقد حافظت اللغة المصرية على أصولها وقواعدها الأساسية حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد عندما كان المصريون ينظرون إلى الأمم والشعوب خارج حدودهم الجغرافية أنهم ليسوا جزءاً من الخلق بل عالم من الفوضى. ولكن نظرتهم تغيرت بعد ذلك على أثر غزو الهكسوس وحرب التحرير والسيادة الأجنبية إذ اعتبروا ما وراء حدودهم عالم يضم العديد من الأمم والحضارات المماثلة وضرورة التعايش معه. وقسموا البشرية حينذاك إلى أربعة أجناس: المصريون والليبيون والنوبيون والآسيويون، أو حتى خمسة مع إضافة المينويين والموكينين والإيجيين، واعتقدوا أن العناية الإلهية تشملهم وترعاهم جميعاً. ومن هنا دخلت مصر آنذاك إلى شبكة من الاتصالات السياسية وأصبحت لاعباً عالمياً مهماً بين القوى الأخرى المتفاوتة من حيث الأهمية أو بجانبها.[١٤٠] وكان بديهياً أن تنتشر لغتها وثقافتها انتشاراً ملموساً خارج حدودها بالرغم من أنها خلال فترة سيادتها الأجنبية الممتدة طوال خمسة قرون لم تكن مهتمة بتمصير الولايات الخاضعة لنفوذها خلافاً لحالتي الهَلْيَّنَة (التَّأَغْرُق) والرَّوْمَنَة. ولم يكن انعدام هذه الرؤية لدى فراعنتها ناجم عن نظرة استعمارية بحتة واستغلال ثروات الشعوب الخاضعة لهم كما يزعم البعض[١٤١] بقدر ما كان نابعاً من استراتيجيتهم الأمنية المتمثلة في اعتبار المنطقة السورية الفلسطينية كمنطقة عازلة تفصل بينهم وبين أعدائهم على أثر محنة الهكسوس الذين تسللوا إلى بلدهم خلسة من تلك الجهة. ولا ينفي ذلك بالطبع أمر انتفاعهم اقتصادياً من ولايات إمبراطوريتهم في سوريا وفلسطين نظراً لوفرة وتنوع مواردها الطبيعية وأهمية موانئها

---

[١٤٠] Assmann, From Akhenaten to Moses, 35-36

[١٤١] N. Na'aman, Economic Aspects of the Egyptian Occupation of Canaan, IEJ 31 (1981), 172-185; A. James, Egypt and her Vassals. In: The Amarna Diplomacy. The Beginnings of International Relations, R.Cohen and R.Westbrook (eds), (Baltimore and London, 2000), 112-24.

البحرية المطلة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط المشاطئ لموانئ الجزر الإيجية كالقبرصية والكريتية حيث شاركت مصر في عالم التجارة الدولية والتبادل الثقافي. وهذا التشابك في علاقات مصر الإقليمية والدولية حينذاك وما ترتب عليه من كثرة أعداد الأجانب في مصر واحتكاكها اللغوي بجيرانها وتزايد المترجمين ثنائي اللغة ومتعددي اللغات داخل وخارج القصور الملكية، قد انعكس بالطبع على كل من اللغة وحركة الترجمة. ومن مظاهر ذلك إدخال اقتراضات لغوية سامية في اللغة المصرية والعكس،(١٤٢) وظهور بعض التراكيب النحوية والصرفية والصوتية الجديدة.(١٤٣) فضلاً عن وفرة وتنوع النصوص المترجمة المتبادلة بين مصر وجيرانها خصوصاً انتشار تراثها الأخلاقي والديني المترجم في كافة ربوع الأراضي الفلسطينية والذي تأسس عليه لاحقاً التراث العبري في هذين المجالين كما سيتبين بالتفصيل في الفصل الثالث.

ولم يخل التاريخ العسكري الطويل لعالم الشرق الأدنى القديم من إنجازات ملموسة في ميدان الترجمة والمترجمين وتمهيد الطريق لوحدة حضارية والتي اكتملت مقوماتها التأسيسية بالمشروع الهلينستي لاحقاً. فقد كانت الحاجة شديدة إلى تعلم كبار القادة الحربيين لغات البلاد الثائرة وكذلك وجود استخباريين عسكريين وكتبة مترجمين بين صفوف المؤسسة العسكرية في أوقات الحروب لإعداد وكتابة التقارير الاستخباراتية واستجواب الجواسيس الأجانب المقبوض عليهم خلال تقدم وزحف الجيوش. فضلاً عن تيسير التواصل والتفاهم بين كبار القادة المحليين وبين الجنود المرتزقة الأجانب الذين كانوا منضوين تحت ألوية جيوش المنطقة خصوصاً في الألف الأول قبل الميلاد، وهو ما سوف نناقشه بالتفصيل أيضاً في الفصل الثالث. فقد حفظت لنا إحدى البرديات المصرية من عصر الدولة الحديثة ضرورة إلمام القادة العسكريين الكبار لغات البلاد

---

(١٤٢) حول الكلمات السامية في اللغة المصرية القديمة خلال عصر الدولة الحديثة والعصر المتأخر، انظر:
J. E. Hoch, Semitic Words in Egyptian Texts of the New Kingdom and Third Intermediate Period (Princeton, 1994).

(١٤٣) انظر: J.P. Allen, Middle Egyptian, An Indroduction to the Language and Culture of Hieroglyph, (Cambridge, 2010), 225, 416; H. Satzinger, The Eyptian Connection: Egyptian and Semitic Languages, IOS 20 (2002), 227-264.

الآسيوية المتجهين إليها على رأس جيوشهم لقمع حركات التمرد والثورة واستتباب الأمن فيها. وكان عمل العملاء السريين المنتسبين إلى الأجهزة الاستخباراتية الفاعلة في فترات الحروب والتوسعات العسكرية يفرض عليهم الإلمام بلغات أجنبية نظراً لأنهم كانوا يؤدون مهامهم في عمق أراضي العدو وفي مناطق بعيدة خارج البلاد، ويقع على عاتقهم جمع الأخبار والمعلومات الاستخباريّة. ثم يقدمون التقارير اللازمة وإيصالها بالسرعة الممكنة إلى ملوكهم وكبار القادة العسكريين للاعتماد عليها قبل خوض معركة أو شن حملة عسكرية لتأديب العصاة والمتمردين.[١٤٤] وتتعدد وتتنوع الشواهد على وجود مثل هؤلاء الاستخباريين بتعدد وتنوع الإمبراطوريات العسكريه التي شهدتها المنطقة طوال تاريخها الطويل الممتد عبر ثلاثة آلاف سنة، ولكننا نكتفي هنا بمثال واحد من عصر الإمبراطورية الفارسية الأخمينية. فوفقاً لما رواه هيرودوت عن قمبيز،[١٤٥] فقد أرسل هذا الملك جواسيسه الاستخباريين متنكرين في هيئة تجار وكانوا من الإيكتيوفاجي (أكلة السمك وهم الفينيقيون وربما رافقهم بعض اليهود من أفراد الحامية العسكرية الفارسية المرابضة في جزيرة فيلة بأسوان) إلى النوبة نتيجة معرفتهم بلغة أهلها. وكان الهدف من وراء ذلك هو تقييم الأوضاع العسكرية والاقتصادية هناك وكتابة تقارير سرية عنها وإرسالها إليه حتى يطمئن من سلامة موقفه قبل البدء في زحفه عليها طمعاً في ذهبها وليفتح بها طريقاً إلى السودان. ورغم نجاح التقرير الذي أعده وأرسله هؤلاء الاستخباريون العسكريون في الكشف عن وفرة الذهب في بلاد النوبة، إلا أنه أخفق في تقدير القوة العسكرية الحقيقية للنوبيين، وهو الأمر الذي كان من الأسباب الجوهرية وراء فشل الحملة.[١٤٦]

---

(١٤٤) R. Roland, Interpreters as Diplomats. A Diplomatic History of the Role of Interpreters in World Politics, (Ottawa, 1999), 9-14.

(١٤٥) عبد الله الملاح، تاريخ هيرودوت (أبو ظبي، ٢٠٠١)، ٢٢٥-٢٢٨.

(١٤٦) انظر: عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج ١، ٤٤٩، ٤٥٩؛ أسامة يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ٨٣-٨٤؛ A.L. Lanski, Emissaries in the Narrative of Herodotus, (Ph. D. Diss., Univ. of Illinois at Urbana-Champaign, 2013), 17-18, 92-96.

كما يبرز أيضاً دور المترجمين في المؤسسة العسكرية من خلال عمليات استجواب الجواسيس المقبوض عليهم أثناء تكليفهم برصد تحركات جيوش العدو وجمع المعلومات الحربية اللازمة في ساحات المعارك. ويمكن الاستدلال على ذلك بحالتين أولاهما هي حالة الجاسوس المصري المذكورة في خطاب مُكتشف في الأرشيف الأوجاريتي، والذي أرسله قائد سوري ميداني لأحد الملوك الحيثيين أثناء قيادته لفرقته العسكرية المرابضة عند خطوط الجبهة السورية الأمامية تحسباً لهجوم وشيك من الجيش المصري. وقد تم القبض على أحد رجال الكشَّافة المصريين المكلفين باستطلاع تلك المواقع وجمع المعلومات الضرورية عنها، والذي خضع للضرب الشديد لانتزاع الاعترافات منه من قبل المترجمين العسكريين. وكانت المعلومات التي اعترف بها في غاية الأهمية لأنها كشفت عن ضخامة الاستعدادات العسكرية المصرية وقيادة الفرعون للجيش بنفسه والذي هو على الأرجح الملك حورمحب (حوالي ١٣٠٦– ١٢٩٣ ق.م).[١٤٧] أما الحالة الثانية فهي المعروفة من خلال الأدلة النصية والفنية لمعركة قادش المسجلة والمصورة على جدران معابد عديدة كالأقصر وأبيدوس والرامسيوم وأبو سمبل، والتي أماطت اللثام عن إحدى الاستراتيجيات العسكرية الحيثية لاستدراج الجيش المصري والايقاع به عن طريق تسريب معلومات خاطئة. فقد وفد جاسوسان إلى معسكر رعمسيس الثاني (حوالي ١٢٧٨ – ١٢١٢ ق.م) أثناء تقدمه لملاقاة الحيثيين في العام الخامس من حكمه، وأدلى كلاهما بمعلومات مضللة عن طريق المترجمين العسكريين مفادها أنهما هربا من الجيش الحيثي، وأن ملكهم تراجع عن قادش وعسكر في منطقة حلب. ونتج عن تصديق المصريين لتلك الخدعة لاستدراجهم إلى التقدم شمالاً عواقب وخيمة كانت ستكبدهم خسائر بشرية ومادية فادحة لولا القبض على جاسوسين آخرين اعترفا تحت وطأة الضرب المبرح بالأمر الواقع

---

(١٤٧) Bryce, Letters of the Great Kings, 172-175.

وهو أن الحيثيين تواروا بجيوشهم شرق قادش ليباغتوا المصريين بهجوم كاسح عبر مشاتهم وعرباتهم.[١٤٨]

ومن السياسات العسكرية أيضاً سياسة الترحيل والتهجير خصوصاً الآشورية والبابلية الكلدانية،[١٤٩] والتي كانت من ضمن عوامل الخلخلة الديموجرافية واللغوية بالمنطقة وانعكاس ذلك على الترجمة والتلاقح والانصهار اللغوي والثقافي. فالسكان الذين تأثروا بهذه السياسة وفُرضت عليهم قسراً طوال القرون الثلاثة الأخيرة من عصر الإمبراطورية الآشورية ربما وصل عددهم إلى ما يقرب من أربعة أو خمسة ملايين. وأهمية ذلك على المدى البعيد هو التأثير على عملية الاحتكاك والاختلاط اللغوي والعرقي وتلاقح اللغات بعضها ببعض عبر الترجمة، وتمهيد الطريق لإنجاح المشروع الهلينستي للإسكندر الأكبر الذي عمل على إكمال الوحدة الحضارية وفتح المزيد من الآفاق الواسعة للامتزاج الحضاري ودمج التراثين الشرقي والغربي عبر الترجمة.[١٥٠] فقد كانت المنطقة ممهدة للانصهار الحضاري والتفاعل مع اللغة اليونانية بعد فتوح الإسكندر الأكبر حيث سعي الناس وراء تعلمها والترجمة منها وإليها. كما ترتب على ذلك إنشاء مراكز ثقافية في الإسكندرية وبعض المدن السورية حيث تجسدت فيها المعرفة المتراكمة الموحَّدة للشرق القديم الذي نقلها إلى اليونانية ومنها إلى الحضارة الإسلامية.[١٥١] واحتضنت تلك المراكز المعارف البشرية وشتي مختلف اللغات والمعتقدات الدينية والتيارات المذهبية والأجناس

---

[١٤٨] انظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج ٦ (القاهرة، ١٩٩٢)، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٤٤؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج ١، ٣٣٦.

[١٤٩] للمزيد من التفاصل عن هذه السياسة وأسبابها ونتائجها السياسية والاقتصادية والحضارية وانعكاساتها السلبية على المجتمع الآشوري، انظر: حسين سيد نور الأعرجي، مؤيد مجيد محمد الكعبي، نتائج التهجير القسري في العراق القديمة، الدولة الآشورية أنموذجاً، مجلة كلية التربية – جامعة واسط، ع ٢٨ (٢٠١٧)، ٢٦٥-٢٩١.

[١٥٠] انظر: أسامة يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ٢٠٩-٢١٠.

[١٥١] انظر: عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين (القاهرة،١٩٤٠)، ٣-٣٣، ٣٧-١٠٠.

التي تبلورت سابقاً بفعل الغزوات والفتوحات والترحيل القسري مما عجّل بالانصهار الحضاري. فمن المؤكد أن الوحدة الحضارية التي شهدتها المنطقة إبان العصر الهلينستي كانت وليدة تاريخ طويل من الإرهاصات في كافة المجالات بما فيها مجال السياسة العسكرية؛ لأنه ساعد على أن تسعى كل لغة وثقافة للتعرف على الأخرى عبر الترجمة كونها قوة الذوبان اللغوي والثقافي.

ويُضاف إلى ذلك لجوء بعض إمبراطوريات الشرق الأدنى القديم إلى آلية الترجمات المتعددة باعتبارها من أفضل آليات الدعايات السياسية وتوصيل ونشر المراسيم الملكية في كافة أرجاء الولايات المختلفة. والدليل على ذلك هو النصوص متعددة اللغات (الفارسية القديمة والعيلامية والأكّادية البابلية والآرامية والمصرية) المنتشرة في أرجاء الإمبراطورية الفارسية الأخمينية. علاوة على أن بلاط الملك الفارسي الأخميني إكسيركسيس الأول الذي حكم في الفترة ٤٨٦-٤٦٥ ق.م، كان يضم هيئة كبيرة من المترجمين بهدف التواصل والتفاهم بين كافة أرجاء مملكته المترامية الأطراف.[١٥٢] وثمة رواية مذكورة في الأصحاحين الثامن والتاسع من سفر أستير (امرأة يهودية مجهولة تاريخياً تزوجها هذا الملك والتي كان لها تأثيراً طاغياً عليه وفقاً للقصة التوراتية المشكوك في صحتها)، والتي تفيد أن الكتبة الملكيين متعددي اللغات قد قاموا بنسخ أحد المراسيم الملكية الفارسية لإرساله إلى كافة حكام الولايات الفارسية القديمة وحكام الأقاليم من الهند إلى الحبشة، ويبلغ عددها مئة وسبعة وعشرين إقليماً، بحيث يُرسَل المرسوم إلى كل إقليم بكتابة ذلك الإقليم، وإلى كل شعب بلغته الخاصة به.[١٥٣]

أما الآلية الدبلوماسية فهي خامس وآخر الآليات الفريدة والمستعملة في المنطقة والتي كان من شأنها أيضاً تسريع وتيرة دور الترجمة والمترجمين الهادف إلى تجسير فجوة الاختلاف اللغوي والثقافي. فقد ازدهرت الترجمة والمترجمون ازدهاراً كبيراً في تلك

[١٥٢] قارن: أسامة يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ١٦٣.

[١٥٣] سفر أستير، الأصحاحان الثامن والتاسع.

المنطقة خلال النصف الثاني من العصر البرونزي المتأخر حينما استفاد كبار ملوكها في مصر وخيتا وميتاني وآشور من حالة الاستقرار التي سادت فيها. وشجعهم ذلك على استعمال الوسائل السياسية والدبلوماسية لإحراز ما تحققه القوة العسكرية، واللجوء إلى التعاون المتبادل على حل كافة القضايا الدولية العالقة والمستجدات الطارئة عليها بالطرق الودية الدبلوماسية بدلاً من حسمها عن طريق الحرب والقوة. ولم يكن هناك أكثر من الترجمة والمترجمين لتيسير الاتصال والتواصل الدبلوماسي المنتظم مع بعضهم عن طريق الرسائل المتبادلة التي كانت تفيض بعبارات الود والحب الأخوي من ملك لأخيه. واتفق هؤلاء الملوك الكبار على اعتماد اللغة الأكَّادية بلهجتها البابلية كلغة التواصل والدبلوماسية الدولية، وهو الأمر الذي نجم عنه ضروة تعيين كتبة ومبعوثين وسفراء ممن يجيدون لغتين فأكثر في بلاطاتهم الملكية. ونظراً لكتابة الرسائل الملكية المتبادلة باللغة الأكَّادية التي تمثل اللغة الأم للمتكلمين بها من البابليين والآشوريين في بلاد النهرين فحسب، فقد خضعت تلك الرسائل لأكثر من عملية ترجمية لغير الناطقين بها حيث كانت الأكَّادية تتبادل الأدوار مع اللغات المحلية أثناء المدة اللازمة لإجراء هذه العملية. ويتجلى ذلك في عملية استبدال نص **الرسالة المرسلة** المكتوبة بلغة أصل أو مصدر (اللغة المحلية) إلى ما يقابلها أو يعادلها في لغة هدف (اللغة الأكَّادية)، وكذلك استبدال نص **الرسالة المستلمة** المكتوبة بلغة أصل أو مصدر (اللغة الأكَّادية) إلى ما يقابلها أو يعادلها في لغة هدف (اللغة المحلية). ويمكن رصد وتتبع مراحل إجراء هذه العملية الترجمية على النحو التالي:-

- قيام الكاتب الملكي بالصياغة المبدئية (مسودة الخطاب) باللغة المحلية وفقاً للأوامر والتعليمات الرسمية الصادرة إليه من الملك.
- قراءة مسودة الرسالة باللغة المحلية على الملك للتحقق من دقة محتواها أو لإدخال التعديلات والتصويبات عليها حتى تنال الموافقة النهائية قبل ترجمتها إلى اللغة الأكَّادية.

- إرسال نص الرسالة المترجم باللغة الأكَّادية إلى البلاط الملكي المنشود وذلك مع أحد الرسل الملكين المصحوبين أحياناً بمترجم ملكي لتفسير الأمور الملتبسة والتعبيرات الغامضة وإجلاء أي سوء للفهم خلال قراءة الرسالة على المستلم الملكي عقب ترجمتها من الأكَّادية إلى لغته المحلية.
- صياغة مسودة الرد باللغة المحلية وإخضاعها للتعديلات والتنقيحات اللازمة حتي يتم الموافقة الملكية النهائية عليه ليتم ترجمته إلى اللغة الأكَّادية من قبل المترجمين الملكيين.
- إرسال الرد باللغة الأكَّادية إلى البلاط الملكي المقصود حيث يتم ترجمته باللغة المحلية وقراءته على المستلم الملكي.(١٥٤)

وكانت البعثات الدبلوماسية المتبادلة بين كبار الملوك آنذاك تلقى حفاوة بالغة وتقابل بمراسم ملكية احتفائية واحتفالية ضخمة في حضور حاشية البلاط الملكي بما فيهم كبار المترجمين الملكيين الذين كانوا يترجمون كلمات التقديم المقدمة من رؤوساء المبعوثين على لسان ملوكهم قبل تسليمهم الرسالة. وبمجرد تسليم الرسالة المنقوشة على ألواح كتابية صلصالية يتم ترجمتها فوراً إلى اللغة المحلية عقب نزع أغلفتها الطينية ومختوماتها الملكية. وكان عمل المترجمين الملكيين يقتضي منهم إتقان لغات البعثات الأجنبية وفي مقدمتها اللغة الأكَّادية حتى يتمكنوا من ترجمة محتويات الرسائل ومفاوضات المبعوثين بكل دقة وإتقان، ولكن بعض الملوك كانوا يفضلون إرسال كبار مترجميهم ضمن أفراد بعثاتهم الخارجية. وكان هدفهم من وراء ذلك هو معالجة أية أثار سلبية تثيرها الترجمات الخاطئة، أو لترجمة الرسائل الشفهية العاجلة التي تتطلب السرعة في تبلغيها تفادياً لإضاعة الوقت في إعدادها وترجمتها وكتابتها. وبطبيعة الحال كانت هناك فروقات في أداء المترجمين إذ كان بعضهم غير مؤهلين ودون المستوى المطلوب

---

(١٥٤) انظر: Bryce, Letters of the Great Kings, 53, 56; H. Tarawneh, Amarna Letters: Two Languages, Two Dialogues. In: Egypt and the Near East—the Crossroads: Proceedings of an International Conference on the Relations of Egypt and the Near East in the Bronze Age, Prague, Sept. 1-3, J. Mynářová, (edit), (Prague, 2011), 271, 272-277.

مما كان يدفع أحد الملوك من أخيه الملك إلى تحديد اسم المترجم المُوفَّد إليه والذي يريد التعامل معه.(١٥٥)

وامتازت بعض هذه الرسائل الملكية المتبادلة بخاصية التذييل إما بلوح كتابي آخر ملحق باللوح الأول أو بتعليقات مسبوقة بعلامات الحاشية في نفس اللوح، وجميعها ينصب حول تفسيرات جوهرية لبعض العبارات والمفردات الغامضة وأساليب تهجئتها صوتياً. فضلاً عن المطالبة بضرورة تضمين أسماء الكتبة الذين يكتبون الردود على الرسائل المرسلة والتوجيهات الواجب تنفيذها والتي من شأنها تسهيل عملية القراءة والترجمة، علاوة على مراعاة الأمانة عند ترجمة النص. وتثبت الشواهد اللغوية على ضخامة الجهود المبذولة من قبل مترجمين عديدين لتمييز أنفسهم وإظهار براعتهم في تجاوز التحديات والعقبات التي واجهتهم خلال عملية ترجمة تلك الرسائل. وكانت هذه التحديات والعقبات ناشئة عن الاختلافات اللغوية معجمياً وصرفياً ونحوياً، والتباين بين اللغات في مضامينها الثقافية والفكرية والاجتماعية وتعذر الترجمة الحرفية حينما يكون الغرض الحقيقي للترجمة هو التواصل الفعّال والهادف.(١٥٦)

وتتكشف هذه الأمور بجلاء في رسائل العمارنة المحفوظ منها حالياً ٣٨٢ رسالة، والمكتشفة عام ١٨٨٧م في العاصمة المصرية تل العمارنة (أختآتون – أفق آتون) خلال حكم أمنحوتب الرابع أخناتون حيث كانت محفوظة في الأرشيف الملكي (بر عنخ بر عا – دار الحياة الخاصة بالفرعون) المخصص لحفظ المراسلات الأجنبية بعد ترجمتها إلى المصرية. وتغطي هذه الرسائل الدبلوماسية الودية والأخوية الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأدنى القديم طوال ثلاثين عاماً على أكثر تقدير في أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهي المدة التي تشغل أواخر حكم امنحوتب الثالث (قرابة عشر سنوات)، وفترة حكم ابنه وخليفته أمنحوتب الرابع أخناتون (سبعة عشر عاماً)، والسنوات الثلاث الأولى

---

(١٥٥) Bryce, Letters of the Great Kings, 57-60, 65-66.

(١٥٦) Tarawneh, Amarna Letters, 277-279.

من حكم ابنه توت عنخ آمون قبل انتقاله إلى العاصمة السياسية منف. وجميع هذه الرسائل مدونة بالخط المسماري، وباستثناء رسالتين مكتوبتين بالحيثية وثالثة بالحورية، فإنها مكتوبة باللغة الأكَّادية باعتبارها اللغة الدولية المعتمدة في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد. وهي تنقسم إلى قسمين حسب مكانة الجهة الراسلة: قسم أول يضم الرسائل المتبادلة بين الفرعون وملوك الممالك الحيثية والميتانية والآشورية والبابلية (الكاشية) والقبرصية (آلاشيا)، وقسم آخر يحوي رسائل الحكام والأمراء المحليين والتابعين لنفوذ الإمبراطورية المصرية في سوريا وفلسطين.(١٥٧) وتجدر الإشارة إلى أن تلك الرسائل لا تعكس فقط تمتع المترجمين الملكيين بقدر كبير من المعلومات السياسية ومبادئ العلاقات الدبلوماسية الدولية، بل تعكس أيضاً ما وصلوا إليه من مستوى رفيع على الأصعدة اللغوية والثقافية والمعرفية فيما يخص لغات وثقافات ومعارف جيرانهم خصوصاً الساميين منهم. وقد مكنّتهم هذه المهارات العديدة والمتنوعة من ترجمة الصور البلاغية القائمة على التشبيهات والاستعارات والأمثال المحلية، وكذلك الدلالات والمفاهيم الأيديولوجية التي تزخر بها تلك الرسائل. ومن الأمثال السامية الشهيرة الواردة فيها: " تردّ النملة المضروبة اللسعة" للدلالة على تبرير الانتقام من الأعداء بالرد على اعتداءاتهم،(١٥٨) ومَثَل "أرض بلا فَلاّح كامرأة بلا زوج"(١٥٩) للتعبير عن خراب الأوطان عقب تشريد أصحابها، ومَثَل "كما الطير في فخ"(١٦٠) للإشارة إلى يأس الشخص المُحَّاصَر من النجدة والإفلات من مُحَّاصِريه. كما شاع أيضاً في هذه الرسائل استعمال تشبيه الحكام المحليين بالكلب كتعبير مجازي ولكن بمدلوله الإيجابي الدال على الوفاء والطاعة للفرعون وليس بمدلوله السلبي المُعبِّر عن التحقير والازدراء، وهما المدلولان

---

(١٥٧) انظر: Bryce, Letters of the Great Kings, 223-226; Tarawneh, Amarna Letters, 271.

(١٥٨) Tarawneh, Amarna Letters, 280-282.

(١٥٩) Bryce, Letters of the Great Kings, 141.

(١٦٠) Bryce, Letters of the Great Kings, 143.

اللذان كان يشير إليهما استعمال هذه الاستعارة في النصوص المكتوبة باللغات السامية الغربية.[١٦١]

وهكذا يتضح أن تاريخ الترجمة في منطقة الشرق الأدنى القديم موغل في القدم وممتد عبر آلاف السنين، وأنها واكبت كافة الإرهاصات التاريخية والحضارية وما نتج عنها من احتكاكات لغوية وعرقية في أوقات السلم والحرب. كما أدى ذلك أيضاً إلى تهيئة البيئة الحاضنة للترجمة لتقوم بدورها الحيوي والرئيسي في تحقيق ظاهرة التمكين اللغوي. فقد مكنت الترجمة وحدها اللغات الشرقية القديمة من توسعة أرديتها اللغوية حيث تسربت مفردات كثيرة من لغة إلى أخرى ليس في العصور القديمة فحسب،[١٦٢] بل كذلك في اللهجات العربية المعاصرة. فالعديد من الكلمات المصرية القديمة واليونانية والفارسية والسريانية ...إلخ، قد تسربت إلى العربية وأصبحت جزءاً منها، وهذه التغيرات تحدث في اللغة على الدوام جراء التلاقح مع الغير من خلال ممارسة فعل الترجمة ومدى تفاعلها مع مناحي الحياة المختلفة.[١٦٣] فضلاً عن أنه بفضل هذا الدور الحيوي للترجمة في

---

[١٦١] Tarawneh, Amarna Letters, 280

[١٦٢] على سبيل المثال تَسرُّب الكثير من المفردات والتراكيب النحوية السومرية إلى الأكَّادية والتي من خلالها تسربت العديد من المفردات السومرية إلى العربية واللغات الأوربية المعاصرة، انظر: عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٥١–٥٢،٣٣١–٣٤٢؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٤٠– ١٦٢. علاوة على تَسرُّب الكثير من المفردات وبعض التراكيب النحوية السامية والحامية إلى اللغة المصرية القديمة، انظر: عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ١٣، ١٥– ٢٩.

[١٦٣] حول الموروثات اللغوية المصرية القديمة في اللغة العربية والعامية المصرية، انظر: عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ٣٣٩–٣٤٣؛ وراجع أيضاً الموروثات الفينيقية/ البونية في اللغة العربية والعامية السورية واللبنانية والتونسية والجزائرية: فاطمة لواتي، الآثار اللغوية الفينيقية والبونيقية في المنطوق اللهجي العربي (سوريا – لبنان – تونس – الجزائر)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان (٢٠١٦)، ١٣٠–١٨٧، ١٨٩–٢٥٤.؛ وكذلك بخصوص الموروثات اللغوية الشرقية القديمة في اللغة العربية وشتى اللهجات العربية المختلفة، انظر: جمال الدين الخضور، عودة التاريخ– الانتربولوجية المعرفية العربية/ دراسة في الأناسة المعرفية العربية التاريخية – اللغوية ووحدتها، الجزء الأول حتى الألف الثاني قبل الميلاد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.

الاحتكاك اللغوي، فقد تم نقل الكثير من التراث اللغوي الشرقي القديم إلى لغات أجنبية حيث تسربت مفردات مصرية وأكَّادية وفينيقية إلى اللغتين اليونانية واللاتينية اللتين نقلتها بدورهما إلى اللغات الأوربية الحديثة.[١٦٤]

---

[١٦٤] عامر سليمان، اللغة الأكدية، ١٤-١٥، ٤٥-٤٦، ٥٢. وبخصوص الكلمات المصرية الدخيلة في اللغات السامية الشمالية الغربية كالعبرية، وكذلك في اليونانية واللاتينية حيث يفترض أنها وجدت مكاناً لها في اللغات الأوربية الحديثة، انظر: B.J. Noonan, Egyptian Loanwords as Evidence for the Authenticity of the Exodus and Wilderness Traditions. In: Did I Not Bring Israel out of Egypt?, Biblical, Arcaeological, and Egyptological Perspectives on the Exodus Narratives, J.K. Hoffmeir and others (eds), (Eisenbrauns, 2016), 48-68; R.H. Pierce, Egyptian Loan Words in Ancient Greak, Symbolae Osloenses 46 (1971), 98-107

الفصل الثاني

الساميون وأثرهم في حركة الترجمة

الفصل الثاني
الساميون وأثرهم في حركة الترجمة

جنح معظم المستشرقين إلى وصف العقلية السامية بالضعف والفشل في كل شيء، وجردوها من كل عبقرية، وأوعزوا ذلك إلى غريزة فطرية طبّعتها بالجمود والتحجر. ولا ريب أن تعصبهم الفاضح لعنصرهم وقوميتهم هو الذي دفعهم إلى مجافاة الحقائق التاريخية والحضارية التي تثبت تميز هذه العقلية بالتطور والإبداع، ودورها البنّاء والفعّال في إرساء قواعد حضارة الشرق الأدنى القديم في شتى المجالات المختلفة بما فيها الترجمة، والتي تأسست عليها لاحقاً حضارة هؤلاء الناكرين من المستشرقين. فكثير منهم لا يزالون أسرى وهم الاعتقاد الذي كان سائداً قبل قرنين من الزمان ومفاده أن أصول العلوم والمعارف ترجع إلى الحضارتين اليونانية والرومانية اللتين اشتقت منهما الحضارات الأوربية التالية. ولكن علم الآثار وفك طلاسم اللغات القديمة بما فيها السامية قد أثبت بما لا يدع مجالاً لأدنى شك أن أصول معظم العلوم والمعارف كان في منطقة الشرق الأدنى القديم عامة والمنطقة السامية خاصة، وأن شعوبها قد سبقوا اليونان والرومان في الحضارة والمدنية بما يزيد عن ألفي سنة. ومردّ ذلك هو أن الأمم الشرقية القديمة قد سبقت غيرها من الأمم القديمة في ابتداع الكتابة التي تُعدّ الوسيلة الوحيدة لتدوين وحفظ اللغة والترجمة، وقد نقلت أبجديتها لاحقاً إلى اليونانيين الذين نقلوها بدورهم إلى الإتروسكيين ومنهم إلى الرومان لتصبح أصل الكتابات الأوربية المعاصرة.

ويناقش هذا الفصل عدة موضوعات متسلسلة ومترابطة بخيط فكري واحد بهدف الوصول إلى إبراز أثر العقلية السامية في نشأة وازدهار حركة الترجمة في المنطقة الشرقية القديمة في ضوء إثبات الحقائق التالية:

أولاً: أصالة اللغة السامية التي نبتت وازدهرت في تلك المنطقة حيث انتشرت داخلها وخارجها، فضلاً عن تمتعها بقوة قاهرة مكّنتها من قهر كل اللغات الأجنبية القديمة

إلى أن نجحت إحداها، وهي اللغة العربية، من غلبة بقية أخواتها الساميات بعد صراع طويل الأمد.

ثانياً: أسبقية اللغات السامية فيما يطلق عليه بالعولمة اللغوية قبل ظهور اللغة الكوينية الهلينستية (اليونانية القديمة) بما لا يقل عن ألف سنة، وهو الأمر الذي ترتب عليه لاحقاً سيادة اللغة العربية للمنطقة وانطلاقها صوب العالمية في القرن السابع الميلادي.

ثالثاً: صدارة العقلية السامية في حفظ وترجمة ونقل التراث الإنساني مما جعل منها عقلية منفتحة وخلاّقة وقادرة على التجاوب والتفاعل الحضاري.

رابعاً: ريادة العقلية السامية وتفردها بتأليف المعاجم اللغوية قبل غيرها من اليونانيين والرومان بما يزيد عن ألفي سنة.

قائمة الأنساب التوراتية بين الميتا-تاريخ والتاريخ

لاحظ المختصون بلغات الشرق الأدنى القديم وجود أوجه شبه ظاهرة بين الأكّادية البابلية والكنعانية الفينيقية والعبرية والآرامية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وأمثالها، فهي تشترك أو تتقارب في أمور أصلية وأساسية من جوهر وظواهر اللغة الصوتية والصّرفيّة والنحوية. ودعاهم ذلك إلى وجوب وجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الشعوب، وأطلقوا على ذلك الأصل اصطلاح الساميين، وعلى اللغات التي تكلمت وتتكلم بها هذه الشعوب اللغات السامية، والتي لم يتبق منها الآن سوى العربية والعبرية والآرامية. ويرجع استعمال هذا الاصطلاح إلى العالم النمساوي لودفيج شلوتسر حين أطلقه لأول مرة في مقالته عن الكلدانيين عام ١٧٨١ م، انطلاقاً من رؤية توراتية قائمة على ما ورد في الأصحاح العاشر من سفر التكوين،[١٦٥] والتي ترى أن البشر ينتمون إلى أبناء نوح عليه السلام، وهم سام وحام ويافث. وأن العرب والعبرانيين والآشوريين والأحباش والعيلاميين (؟) والحيثيين (؟) وغيرهم من الشعوب هم أبناء سام

[١٦٥] سفر التكوين، الأصحاح العاشر؛ ٢١-٣٢.

بن نوح، وقد تكلم نسلهم باللغة السامية الأم.[١٦٦] وشاع اصطلاح الساميين واللغة السامية منذ ذلك الحين، وأصبح يمثل عند العلماء والباحثين الاصطلاح الرئيسي للمجموعة المذكورة من الشعوب. ورغم أن الدراسات التاريخية والأثرية والأنثروبولوجية التي جرت خلال القرنين الماضيين، قد أثبت مواطن ضعف جسيمة في نظرية شلوتسر ووجهت إليها شتى الانتقادات الدامغة، وأثبتت بما لا يدع مجالاً للشك عدم منطقية اصطلاح الساميين واللغات السامية، إلا أن ذلك لم يمنع من استخدامه استخداماً تداولياً لشيوعه في الأوساط العلمية العالمية. ولم ير العلماء المصريون حرجاً في استخدام هذا الاصطلاح جرياً على شيوع تداوله وما داموا قد تبينوا حقيقة الأمر فيه،[١٦٧] بينما أبدى علماء عرب آخرون تحفظهم عليه، وطرحوا من جانبهم اصطلاحات بديلة غير مسلَّم بها حتى الآن مثل: اصطلاح "الجَزَرِيّون / الشعوب الجَزَرِيّة" وعائلة اللغات " الجَزَرِيّة" نسبة إلى الجزيرة العربية التي انطلقت منها الشعوب التي تتكلم بهذه المجموعة اللغوية،[١٦٨] واصطلاح "الشعوب العاربة" وعائلة اللغات "العاربة" نسبة إلى العرب العاربة أقدم سكان شبه الجزيرة العربية المرتبطين بحياة البادية والصحراء،[١٦٩] واصطلاح "عرب" ومجموعة اللغات "العربية" القديمة.[١٧٠]

---

[١٦٦] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ (بغداد، ١٩٩٣)، ٢٢٢-٢٢٣، حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ٨-٩؛ ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢؛ أحمد ارحيم هبو، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين (حلب، ٢٠٠٣)، ٧٣-٧٥.

[١٦٧] عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة (القاهرة، ١٩٨٢)، ٣.

[١٦٨] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١، ٨٤؛ سامي سعيد الأحمد، المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية (بغداد، ١٩٨١)، ٣؛ فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة (بغداد، ١٩٨٩)، ٥٧.

[١٦٩] خالد إسماعيل، فقه لغات عاربة، مسائل وآراء (إربد – الأردن، ٢٠٠٠)، ٧-١٠؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٥٣، ٦١.

[١٧٠] جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢ (بغداد، ١٩٥٤)، ٢٨٧-٢٨٨؛ محمد بهجت قبيسي، ملامح في فقه اللهجات العربية، من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية (دمشق، ١٩٩٩)، ١٠-١٤؛ محمد خليفة حسن، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ٣٢ -٣٣.

ويلاحظ أنه يشوب اصطلاح "عاربة" واصطلاح "عرب / عربية قديمة" بعض القصور لاستثنائهما وتفضيلهما الجزء عن الكل وإطلاق الخاص على العام، علاوة على المرجعية التوراتية للاصطلاح الأول (العرب العاربة والعرب المستعربة وفقاً للنسابين العرب).(١٧١) والجدير بالذكر أن الآراء تعدّدت في منشأ وتفسير تسمية العرب إذ ذهبت وجهات النظر العربية القديمة إلى القول باشتقاق لفظ العرب من اسم جد أعلى كان يسمى يَعْرُبُ بن قحطان، أو من فعل " يُعْرِب" بمعنى يفصح تدليلاً على ما كان العرب يعتزون به من فصاحة البيان. ثم القول باشتقاقها من اسم عُرَبة وهو أحد أسماء مكة التي شب إسماعيل عليه السلام على أرضها، أو هو اسم لجزء منها. وعندما استخدمت النصوص الآشورية المسمارية تسميات أربي وأريبي وأريبو ... إلخ في القرن التاسع قبل الميلاد بمعنى العربي والعرب والعربية،(١٧٢) فإنها أطلقتها فقط على القسم الشمالي من بلاد العرب(١٧٣) للإشارة إلى الأعراب البدو في أغلب الأحوال، وكذلك فعلت بعض قصص التوراة. واستخدمت بعض النصوص المصرية القديمة لفظ أربايا للدلالة على المنطقة القريبة من الحدود المصرية في شبه الجزيرة العربية. كما استخدمت النصوص الفارسية الأخمينية نفس اللفظ أربايا في القرن الخامس ق. م للتعبير عن بادية فلسطين وشبه جزيرة سيناء وما يتصل بهما من شمال شبه الجزيرة العربية. ودلت تسمية كل من عربن (ع ر ب ن) وأعرب في نصوص الجنوب العربي القديم على معنى الأعراب أساساً خصوصاً الخيّالة والأبَّالة من بدو وسط شبه الجزيرة العربية.(١٧٤)

---

(١٧١) حول "العرب العاربة" على أقوال النسابين، وهم من أبناء قحطان المتطابق مع "يقطان" الذي يرد اسمه في سفر التكوين (يقطان بن عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام ابن نوح)، انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ٣٥٤-٣٧٤.

(١٧٢) عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ٣-٤. وحول تعدد واختلاف الصيغ الدالة على العرب في النصوص الآشورية في القرن التاسع قبل الميلاد، انظر: عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٦١-٦٤.

(١٧٣) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة (بيروت، ١٩٧٩)، ٩٦؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٦١.

(١٧٤) عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ٤.

وإذا انتقلنا إلى المصادر الكلاسيكية وذكرها لاسم أرابيا وأرابيبيا Αραβία،[١٧٥] فإن اليونانيين في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد أشاروا إلى المنطقة ضمناً عن أنها بادية الشام فحسب، وهو تصور كان سائداً أيضاً عند الآراميين استناداً إلى أحد النصوص الآرامية المؤرخ بالنصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد. وكان المؤرخ هيرودوت في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد هو أول من دفع بحدود بلاد العرب لكي تشمل كل شبه الجزيرة العربية.[١٧٦] وقد لا يختلف ذلك عن نظرته الخاطئة عندما تجاهل المفاهيم الجغرافية للذين سبقوه واستخدم اسم ليبيا في معناه الواسع وأطلقه لأول مرة على كل أراضي شمال أفريقيا الواقعة غرب دلتا النيل حتى المحيط الأطلنطى، بل اختلط عليه الأمر أحياناً واستخدمه للإشارة إلى القارة الأفريقية.[١٧٧] واستقرت التسمية نهائياً على شبه الجزيرة بما في ذلك بادية العراق وبادية الشام في الكتابات اللاتينية الكلاسيكية منذ القرن الأول الميلادي.[١٧٨]

والأرجح أن كل التسميات السابقة بكافة صيغها المتعددة في مصادر الشرق الأدنى القديم والكتابات الكلاسيكية ليست سوى تحريفاً من كلمة "عرب" التي غالباً ما يعتقد أنها مشتقة من الجذر الثلاثي السامي "ع ر ب". ويبدو أن ثمة علاقة بين هذه الكلمة وبين كلمة سامية أخرى هي "عَبَر" التي معناها بالعبرية والعربية معاً ذهب ورحل وقطع مرحلة من الطريق، مما يشير إلى إمكانية اشتقاق كل من عبري وعربي من ثلاثي واحد هو "عَبَر" وكذلك تبديل عَبَرَ بعَرَبَ. فكلمة "عِبْرِي" تؤدي المعنى الذي تؤديه كلمة "عَرَبي" نفسها، أي أن العبريين هم قبائل رحل كانت تنتقل بخيامها وإبلها من مكان إلى آخر، وكان هذا الاسم يطلق على بني إسرائيل وعلى غيرهم من القبائل الرحل. كما أن "عَرَب

---

[١٧٥] Strabo Geog. Book 16, Chap. 4, 1-4, 18-19, 21-26; Dio Cassius, Book 53.29.3-8; Ptol, Geogr, 6.7.29

[١٧٦] لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ٩٧ – ٩٨.

[١٧٧] A.H.Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, I, (Oxford, 1947) 120* ؛ محمد مصطفى بازامة، ليبيا، هذا الاسم في جذوره التاريخية (بيروت، ١٩٧٥)، ٢٧-٢٨، ٨٤-٨٥.

[١٧٨] لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ٩٨.

أو عُرْب" لم تكن تدل على مدلولها المتعارف الآن بل كانت تطلق على نوع خاص من القبائل وهو النوع الذي يسكن البادية، ذلك النوع المتنقل الذي لا يستقر في مكان واحد بل يتبع مساقط المطر ومنابت الأعشاب والكلأ. وما يقال في المعاجم اللغوية العربية من أن هناك فرقاً بين كلمتي عربي وأعرابي وتخصيص الأولى بسكان المدن والثانية بسكان البادية، فإنه لم يحدث إلا في عصور قريبة من ظهور الإسلام. أما قبل ذلك فلم يكن هناك فرق مطلقاً بل كانت كلتا الكلمتين تدلان على سكان البادية فحسب، أما سكان المدن والأمصار فكانوا يُنسَبون إلى قبائلهم أو يُعرفون بمناطقهم.

ومن المحتمل أن لفظ "عربي" لم يكن يدل على لغة العرب بل على قبائل معينة، ثم لما شاعت اللغة العربية القديمة (الكلاسيكية وتمثلها العربية الحجازية الفصحى) المحمولة على اللغات العربية الشمالية والتي كان أغلب عناصرها من الأعراب، فقد سميت اللغة باسم هذه الطوائف البدوية في العصور القريبة من ظهور الإسلام. ويعزز ذلك أن أشراف العرب من سكان المدن كانوا يرسلون أبناءهم إلى الأعراب بالبادية ليتقنوا اللغة العربية وهم صغار ويشبوا عارفين بأساليبها وفصاحتها. بالإضافة إلى أن المعاجم والقواعد اللغوية التي تعد من أعظم المصادر التي يُعتمد عليها في البحث عن جميع اللهجات العربية من ناحية وفي الموازنة بينها وبين جميع اللغات السامية من ناحية أخرى، هي خلاصة المادة اللغوية التي قام كبار النحويين والمعجميين العرب الأوائل في البصرة والكوفة بجمعها من أهلها وهم عرب البادية كونهم المرجع في كل ما يتعلق بفصاحة الكلمة العربية. ولا توجد أية موانع تحول دون وحدة الأصل الاشتقاقي السامي لكلتا الكلمتين ("عَرَبي" و "عِبْرِي") نظراً لشيوع التصرف في حروف الثلاثي بالتقديم والتأخير في اللغات السامية.[١٧٩] وربما ما يرجح تحديد أصلهما الاشتقاقي الواحد بالثلاثي السامي "عَبَر" وإمكانية تبديله بعَرَبَ كما ذهب ولفنسون، هو ارتباطه المبكر بتاريخ الهجرة العبرية وإطلاق اسم العبريين على بني إسرئيل في منتصف الألف الثاني

---

[١٧٩] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٧٧-٧٨، ١٦٤-١٦٦، ٢١٦-٢١٧.

قبل الميلاد تقريباً مقارنة بتاريخ استخدام النصوص الآشورية المسمارية في القرن التاسع قبل الميلاد للتسميات التي أطلقتها لأول مرة على الأعراب البدو في القسم الشمالي للجزيرة العربية والدالة على العربي والعرب والعربية.

ونظراً لتعذر التسليم حتى الآن بدقة استخدام أحد الاصطلاحات البديلة المذكورة إضافة إلى ما يعتريها من قصور كما أشرنا أعلاه، فليس هناك ما يحول دون اقتراح اصطلاح آخر وهو: "جَزَرِيّو-عرب" (الشعوب الجَزَرِيّو-عربية واللغات الجَزَرِيّو-عربية) بهدف ربط الماضي بالحاضر في وحدة جغرافية وتاريخية ولغوية واحدة كما هو شأن اصطلاح الـ "هندو - أوربية" المستخدم للتعبير عن المقومات الكيانية والهوياتية للأمم الأوربية. فهذا الاصطلاح الجامع يعبر من ناحية عن الجزيرة العربية كونها الموطن الأصلي واللغوي الواحد لأهلها القدامى بكافة مسالكهم واختلاف معايشهم (البدو منهم والحضر) سواء كانوا من المهاجرين أو الذين لم يهاجروا. وهؤلاء المهاجرون هم الذين اضطرهم اشتداد قحط (قحطن في كتابة خط المسند القديمة للإشارة إلى أرض صحراوية وليس اسم علم يدل على جد)[١٨٠] أراضيهم في بعض نواحيها إلى الهجرة الخارجية والانتشار في شتى أصقاع الشرق الأدنى القديم. ثم استقروا تدريجياً في عدة مواطن حيث تباعدت واختلفت لهجاتهم بمرور الزمن نتيجة تأثيرات بيئية واحتكاكات لغوية حتى أصبحت تلك اللهجات مختلفة عن الأصل اختلافاً واضحاً كأن كلا منها لغة مستقلة. أما هؤلاء الذين قرروا البقاء والعيش فيها فقد طالت أيضاً التغيرات والتقلبات لغاتهم ولهجاتهم رغم انعزالها وبُعدها عن التأثيرات المباشرة لحضارات الأمم المجاورة، ويكمن السبب وراء ذلك في الحتمية التاريخية القاضية بعدم استمرار لغة من اللغات على حالة واحدة. كما أن هذا الاصطلاح المقترح يعبر من ناحية أخرى عن الوضع اللغوي والثقافي الراهن في منطقتنا الشرقية بعد أن تبدلت أيامها وتقلبت أحوالها وهيمنت اللغة العربية عليها في نهاية المطاف إثر نجاحها في مزج لهجات كثيرة مختلفة اختلط بعضها ببعض وامتزج

---

[١٨٠] انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ٣٥٥.

امتزاجاً شديداً حتى صار لغة واحدة عقب فناء وهلاك أصحاب تلك اللهجات. وانطلقت هذه اللغة الواحدة من نفس البقعة اللغوية الفياضة، الجزيرة العربية، لتساير ركب الفتوحات العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي، وتتمكن من أن تتطبع المنطقة باسمها وقوة شخصيتها وتوحدها بلغتها وثقافتها باعتبارها الوريثة اللغوية لأمها الأصلية والأكثر احتفاظاً بأصولها الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية دون بقية شقيقاتها الأخريات. وإلى حين التحقق من مدى قبول استخدام هذا الاصطلاح المقترح لدى المتخصصين والباحثين في الدراسات التاريخية والحضارية واللغوية، فإني أفضل استخدام الاصطلاح المتداول عالمياً وهو "الساميين" واللغات "السامية".

لقد اعتمد شلوتسر على العرق أي وحدة الأصل أساساً لتأصيل التشابه اللغوي بين الأقوام السامية، في حين أن هناك عوامل أخرى منها العامل الجغرافي مثلاً كان من الممكن أن يستخدم للتعريف بقوم أو أقوام يتكلمون لغة أو لهجة معينة. فيقال على سبيل المثال لا الحصر السومريون واللغة السومرية نسبة إلى أرض سومر في جنوبي العراق، ويقال الأكَّاديون واللغة الأكَّادية نسبة إلى أكَّاد وهي إلى الشمال من سومر. كما يقال أيضاً البابليون واللغة البابلية نسبة إلى أرض بابل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التأصيل العرقي الذي قدمه شلوتسر يصطدم بعقبتين رئيسيتين إحداهما تتصل بقضية النقاء العرقي، والأخرى تتصل بالعلاقة بين العنصر واللغة. وفيما يخص العقبة الأولى فإن تطابق الملامح والخصائص الجسمانية بين الشعوب السامية أمر غير قائم نظراً لوجود تباين واضح في هذا المجال بين هذه الشعوب من جهة، ومن جهة أخرى في داخل كل شعب منها. علاوة على أن الأنثروبولوجيين المختصين بدراسة الأجناس البشرية قد اتفقوا منذ منتصف القرن العشرين على أن الحديث عن نقاء الأجناس قد أصبح في حقيقة الأمر خرافة علمية.[١٨١] أما العقبة الثانية التي تواجه مسألة اتخاذ اللغة

---

[١٨١] للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع بما فيه مسألة خرافة نقاء العرق اليهودي الذي كان من أحد أسباب عنصريتهم وعصبيتهم الشديدة تجاه الأغيار وإثارة الكراهية والأحقاد وانغلاقهم ورفضهم للاندماج والتفاعل في المجتمعات التي عاشوا فيها، وما ترتب على ذلك من اضطهادهم على مر العصور

أساساً لوحدة الجنس أو العنصر، فالحقائق التاريخية تؤكد على أن اللغة لا تصلح أساساً لأي تحديد عرقي نتيجة أن البشر لهم قابلية غريبة لالتقاط اللغات خدمة لأهداف مصلحية أو عمرانية.[١٨٢]

وبصرف النظر عن الجانب العرقي والمشكلات الأنثروبولوجية، فإن الحديث عن أصل مشترك للساميين على النحو الذي جاء في الأصحاح العاشر من سفر التكوين لا يقوم على أساس تاريخي نظراً لتعارض قائمة الأنساب التوراتية مع الحقائق التاريخية المعروفة والثابتة عن الشرق الأدنى القديم. فالقائمة تُخرج الكنعانيين الفينيقيين من قائمة الساميين لتضعهم مع الحاميين "أبناء حام"، في حين تعتبر كل من عيلام، ومنه العيلاميون، ولود، ومنه الليديون، من أبناء سام. والحقيقة التي لا يختلف عليها أحد من المتخصصين هي كون الكنعانيين إحدى أكبر الجماعات السامية، وأنهم يرتبطون مع الجماعات السامية الأخرى بروابط تاريخية ولغوية متينة. فالكنعانيون الفينيقيون كانوا من أقدم المهاجرين الساميين من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، وأقاموا هناك مدناً عامرة تحمل أسماء كنعانية فينيقية. ومن المعروف أيضاً أنهم كانوا يتكلمون واحدة من اللغات السامية الغربية التي تفرعت عنها الفينيقية والمؤابيّة والعبريّة والعمونيّة والأدوميّة.[١٨٣] وكان إقصاء بني إسرائيل للكنعانيين عن قائمة أنساب سام التوراتية ناجم على الأرجح عن أسباب سياسية ودينية مع أنهم كانوا

التاريخية، انظر: J. Comas, Racial Myths, (Paris, 1951), 27-32. وناقش جمال حمدان هذه المسألة باستفاضة وخرج بنفس النتيجة التي تُكذب المزاعم والادعاءات اليهودية حول نقائهم العرقي وحقوقهم التاريخية في فلسطين استناداً إلى الدراسات الأنثروبولوجية، انظر: جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجياً (القاهرة، ١٩٦٧).

[١٨٢] انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ٢٢٥-٢٢٨؛ فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة ، ٥٠-٥١؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة: مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الاسلام (القاهرة، ١٩٧٩)، ٤٤- ٥٠. عبد الحميد زايد، الشرق الخالد (القاهرة، ١٩٦٦)، ٢٣٦.

[١٨٣] قارن: فاضل عبد الوهاب علي، من ألواح سومر إلى التوراة، ٥١-٥٠.

يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العرقية واللغوية المتينة، وليس نتيجة تفكك الرابطة التاريخية التي كانت تربط العبرانيين بهم منذ عهد بعيد قبل خروج بني إسرائيل من الجزيرة العربية التي كانت وطناً مشتركاً لجميع الأمم الكنعانية والعبرانية.(١٨٤)

ومما لا شك فيه أن ذكر عيلام والعيلاميين ضمن أنساب نوح أمر يخالف كل الحقائق التاريخية حيث تقع عيلام في جنوب غربي إيران ولا يمت سكانها العيلاميون بأية صلة عرقية كانت أم لغوية. والحقيقة هي أن ارتباك قائمة الأنساب التوراتية لا يقتصر على عيلام وحدها، بل يشمل أيضاً الليديين (هندو- أوربيين) من نسل لود والذين كانوا يسكنون في جنوب غرب بلاد الأناضول ولا تربطهم بالساميين أية رابطة أيضاً. كما طال هذا الارتباك الحيثيين إذ نسبت التوراة إلى كنعان عدة أبناء منه حث الذي انحدر منه بنو حث (الحيثيون) حسب ما تذكره التوراة. ومن المعروف أن الحيثيين من الأقوام الهندو - أوربية التي استوطنت بلاد الأناضول وأن لغتهم من عائلة اللغات الهندو - أوربية، ولذا تكون نسبتهم إلى كنعان والكنعانيين مسألة ليس لها أي سند تاريخي.(١٨٥)

ومما يؤخذ على قائمة الأنساب التوراتية أيضاً هو أنها غالت في تأصيل الأنساب إلى الحد الذي أرجعت فيه الأمم المذكورة إلى جد واحد مشترك هو نوح وكأن المسألة حقيقة ثابتة. فمن المعقول والمنطقي أن يعرف أبناء أسرة أو عشيرة نسبهم بشيء من الدقة النسبية إلى حدود معينة، أما الدفع بهذا النسب إلى حد تأصيله إلى سام ابن نوح،

---

(١٨٤) انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢-٣؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ٢٢٤.

(١٨٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ٢٢٣-٢٢٩؛ فاضل عبد الوهاب علي، من ألواح سومر إلى التوراة، ص ٥١-٥٢.

فإنه يمثل أمر لا بدّ وأن يدخل فيه قدر كبير من الخيال.[١٨٦] فكما هو مذكور أعلاه أنه لا يوجد شعب واحد احتفظ بنقاوة جنسه في عالم تشابكت فيه علاقات الشعوب وامتزجت مجتمعاتها بمرور الزمن شاءت أم أبت. فالظروف التاريخية والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية تتغير والمجتمعات الإنسانية رهن هذه الظروف والأحوال. فقد شهدت مناطق بلاد النهرين وبلاد الشام شعوباً محلية كالفراتيين والسومريين، وشعوباً أخرى وافدة من الشمال والشرق والغرب في أزمنة متتالية كالجوتيين والكاشيين والحوريين والحيثيين وشعوب البحر، ولم يكن استيطان هذه الشعوب أو مرورها بالمنطقة من دون أثر لغوي أو اجتماعي أو ثقافي.[١٨٧] علاوة على أن القرآن الكريم لم يذكر للنبي نوح عليه السلام غير ولد واحد كان من المغرقين وذلك مما يعني عدم ضرورة الالتزام بالرواية العبرية وإن لم ينفها تماماً.[١٨٨]

إن قائمة الأنساب التوراتية المذكورة في سفر التكوين الذي يتضمن أيضاً أحداث الخليقة والطوفان لم تكن في الحقيقة سوى ترجمة عبرية لفكرة قوائم الأنساب الشائعة في الحضارتين العراقية والمصرية، وإن كانت متأثرة بالأولى أكثر من تأثرها بالأخيرة لغلبة الخرافة عليها. فقد ابتدع السومريون منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد فكرة تدوين أسماء ملوكهم شبه الأسطوريين وأعمارهم الخرافية عندما هبطت الملكية من السماء إلى مدينة اريدو حيث انتقلت منها بصورة متعاقبة إلى أربع مدن أخرى. وقد حكم فيها ثمانية ملوك أسطوريين نتيجة طول فترة حكم كل ملك إذ حكم أحدهم ٢٨,٠٠٠ سنة، وآخر ٣٦,٠٠٠ وهكذا دواليك، بحيث كان المجموع ٢٤١,٠٠٠ سنة. وهذا يذكرنا بالأعمار الطويلة المخصصة لآدم عليه السلام وأحفاده والأنبياء القدامى في التوراة. ثم اجتاح الطوفان وأغرق الأرض، وبعد انتهائه وانحسار مياهه انحدرت الملكية مجدداً من السماء

---

[١٨٦] فاضل عبد الوهاب، من ألواح سومر إلى التوراة، ٥٢؛ لطفي عبد الوهاب يحى، العرب في العصور القديمة، ٨٤.

[١٨٧] أحمد ارحيم هبو، تاريخ الشرق القديم، ج١ سورية (بيروت، ١٩٩٣)، ٨٦.

[١٨٨] عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، ٣.

وحلت في مدينة كيش حيث انتقلت منها إلى بقية المدن السومرية وأبرزها أوروك (الوركاء) وأور وإيسن. وترمز قوائم الملوك السومرية إلى انتقال السلطة من الطبيعة الأسطورية في بدايتها إلى الطبيعة التاريخية بعد الطوفان إضافة إلى تأكيدها لفكرة الملكية المقدسة والتفويض الإلهي وارتكاز وجودها واستمراريتها على عناصر رئيسية أهمها: الدين والبيئة والسياسة.[١٨٩] ومهما يكن من أمر المبالغات والاختلاقات في أخبارها الأسطورية المشتملة عليها، فقد تضمنت تلك القوائم حقيقتين مرتبطتين بالسومريين وهما: فكرة حدوث طوفان قديم في أرضهم، ثم قيام أوضاعهم السياسية على أساس دويلات المدن (City-States) المستقلة والمنفصلة عن بعضها البعض. فقد كشفت الأبحاث الأثرية في الطبقات السفلى العتيقة لمدن أور وشروباك وكيش عن آثار فيضان كاسح طمس على عمرانها بطبقات من الطمي تراوح سمكها في بعض المواضع بين نصف المتر وبين الثلاثة أمتار. ويُرجع البعض هذا الطوفان إلى أوائل الألف الرابع قبل الميلاد، بينما هناك من يُرجع آخر بداية عصر ما بعد الفيضان إلى قبيل استقرار السومريين في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد.[١٩٠]

وعلى صعيد آخر، فقد حفلت الحضارة المصرية هي الأخرى بقوائم الأنساب سواء الملكية أو الفردية، إلا أنها خلت تماماً من أي ذكر للطوفان والأعمار الأسطورية. وكانت أقدمها هي قائمة بالرمو في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد والتي أمر بنقشها الملك نفر إير كارع ثالث ملوك الأسرة الخامسة. وسجلت هذه القائمة أسماء الملوك من الأسرة الأولى (٣١٥٠- ٢٨٩٠ ق.م) حتى وقت كتابتها ومدد حكمهم

---

[١٨٩] سُجلت هذه القوائم الملكية السومرية لأول مرة في عهد أسرة أور الثالثة (٢١١٢- ٢٠٠٤ ق.م)، في حين دُونت نسخ منها في عهد أسرة ايسن الأولى (٢٠١٧- ١٧٩٤ ق.م) اشتملت على أسماء حكام وملوك أسرات ما قبل الطوفان وما بعده مع سني حكم كل منهم. وقد تضمنت أسماء ملوك خمس وعشرين أسرة، وهي القوائم التي عثر على أكثر من عشرين نسخة منها. للمزيد من التفاصيل عن القوائم الملكية السومرية والبابلية والآشورية، انظر: أسامة عدنان يحيى، وثائق من الشرق الأدنى القديم، (١) القوائم الملكية والتاريخية في بلاد الرافدين (بغداد، ٢٠١٩).

[١٩٠] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم،ج ١، مصر والعراق، ٦٢١.

وبعض ما وقع في عهودهم من أحداث جسام وما أقيم من منشآت هامة. وهناك بردية معروفة ببردية تورين من القرن الثالث عشر قبل الميلاد والتي تتسم باتباع كاتبها التبويب التاريخي وذلك بتصنيف أعداد الملوك في مجموعات نسبها إلى العواصم السياسية وتدوين أسمائهم مرتبة وجمع سنوات حكمهم في وحدة زمنية واحدة. وتكتمل قوائم الأنساب الملكية المصرية بقائمة المؤرخ المصري مانيثون الذي عاش في بدايات القرن الثالث قبل الميلاد حيث ضمّنها في كتابه عن تاريخ أجداده (ايجيبتياكا Aegyptiaca). وقد رتب فيها أسماء الملوك من الأقدم للأحدث كما هو متبع في كل القوائم القديمة، إلا أنه وزعهم على ثلاثين أسرة بحيث تضم كل أسرة ذووي القرابة منهم بدءأ من الأب المؤسس حتى آخر أحفاد أسرته الحاكمة. فضلاً عن أنه انتهج وسيلة التأريخ للحياة الاجتماعية مع الحياة السياسية حيث ذكر الانجازات الحضارية والانتكاسات السياسية لكثير من الملوك.[١٩١]

وقد أرجع اليونانيون مأثرة فصل القصص الأسطورية ذات البعد الماضوي عن الروايات التاريخية الموثقة إلى المصريين عندما قارنوا وضعهم الأسطوري بالوعي التاريخي في السجلات التاريخية المصرية لاستنادها إلى السجلات المؤرشفة المحفوظة لديهم. ويمكن الاستشهاد على ذلك برواية كل من هيرودوت عن زيارة هيكاتيوس بصحبة كهنة آمون في طيبة، ورواية أفلاطون عن زيارة سولون برفقة الكهنة في سايس، وهما الروايتان اللتان تشيران إلى تصرف رجال الكهنوت المصريين مع هيكاتيوس وسولون على أثر مواجهتهم بالتقاليد اليونانية عن وقائع الماضي البعيد. فقد قرأ هيكاتيوس على المصريين سلسلة أنسابه والتي تصل بعد خمسة عشر جيل إلى أحد الآلهة بصفته الجد الأعلى للعائلة، في حين روى سولون لهم النسخة اليونانية لقصة الطوفان، والأسطورة عن ديوكاليون وزوجته بيرها. فما كان من المصريين إلا أن يردوا عليهما بسجلاتهم المؤرشفة، مصطحبين هيكاتيوس إلى المعبد حيث عرضوا عليه ٣٤١ تمثالاً لكبار الكهنة

---

[١٩١] D.B. Redford, Pharaonic King-Lists, Annals and Day-Books, (Mississauga, 1986), passim

يتصلون ببعضهم اتصالاً مباشراً ومتسلسلاً بدون تداخل إلهي، وقد وثَّقوا ١١,٣٤٠ عاماً من تاريخ البشرية المحض. كما عرضوا على سولون سجلاتهم المصرية التي تعود إلى الزمن البعيد لأكثر من تسعة آلاف عام حيث حُفظت فيها ذاكرة الماضي المجيد للأثينيين ومنها على سبيل المثال انتصارهم على أتلانتس، وهي الذاكرة التي طُمست وانمحت لدى اليونانين أنفسهم. وعلى الرغم من الطابع الخيالي والخرافي لمثل هذه الروايات اليونانية، إلا أنها توضح أحد الأسس التاريخية النقدية الذي يميز بين الأسطورة والتاريخ والذي تميزت واشتهرت بها الكتابات المصرية جراء ديناميكيتها في إنتاج ذاكرة تاريخية قائمة على الموثوقية والثبوتية.[١٩٢]

ومن المفترض أن أسفار العهد القديم تتضمن بضعة مقتطفات وشذرات نصية قديمة من اللغة العبرية في مرحلتها الأولى والتي يرجع بعضها إلى العصر الذي سبق الفتح الإسرائيلي لفلسطين. وأقدم تلك النصوص بعض أبيات من قصيدة منسوبة لدَبُورة وهي من الأنبياء عند بني إسرائيل، وقد عاشت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر قبل الميلاد على أكثر تقدير.[١٩٣] أما أقدم النقوش العبرية التاريخية المعروفة والتي تتفق مع العبرية التوراتية والمكتوبة بالكتابة العبرية القديمة القريبة في شكلها من النقوش الفينيقية الكنعانية، فهي متمثلة في: اللوحة المنحوتة من الحجر الجيري والمعروفة بتقويم جازر (تل الجازر الحالية الواقعة على بعد ٣٠ كم شمال غرب مدينة القدس والتي أهداها فرعون مصر ساآمون أو بسوسينيس الثاني إلى سليمان عليه السلام كهدية لابنته التي رضى أن يزوجها إياه)[١٩٤] من القرن العاشر قبل الميلاد،[١٩٥] ونقش السلوان في القدس

---

[١٩٢] انظر: Assmann, From Akhenaten to Moses, 87-88 وللمزيد من الشواهد الأثرية واللغوية والتاريخية الدالة على الوعي التاريخي لدى المصريين القدماء، انظر: W. Shoaib, Historical Concept of Ancient Egyptian Annals “gnwt “, Bulletin of ACPSI 4/2 (2013), 77-89.

[١٩٣] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٨٤؛ M.D. Coogan, A Historical and Literary Introduction to the Hebrew Scriptures, (Oxford, 2011), 214-219.

[١٩٤] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، ٣٨٠-٣٨١؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج ٩ (القاهرة، ١٩٥٢)، ١٣٠-١٣١. وقد ورد في سفر الملوك الأول، الأصحاح التاسع؛ ١٦:" صَعِدَ فِرْعَوْنُ مَلِكُ

المؤرخ بنهاية القرن الثامن قبل الميلاد.[١٩٦] وهذا يبرهن على معرفة العبرانيين المتأخرة نسبياً بالتدوين التاريخي واعتمادهم معظم فترات تاريخهم على التراث الشفهي مما أدى إلى التشويش والالتباس والارتباك في ذاكرتهم التاريخية. فضلاً عن تسرب الكثير من ميثولوجيات المنطقة خصوصاً أساطير الخلق والطوفان الرافدينية خلال فترة إقامتهم في بلاد النهرين إثر السبي الآشوري في القرن الثامن قبل الميلاد، والسبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. وهناك اقتبسوا وترجموا العديد من المادة والأفكار الميثولوجية التي تعود أصولها المبكرة إلى السومريين وتوارثها عنهم الأكّاديون والبابليون والآشوريون. وخلال عمليات تجميع وتحرير وتدوين المصادر التوراتية المختلفة بعد السبي البابلي طوال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد قبل أن تأخذ شكلها النهائي الحالي،[١٩٧] عمّد محررو التوراة على عبرنة كافة الاقتباسات والأفكار المترجمة من المادة الميثولوجية بما يتفق مع نظرتهم اللاهوتية والعرقية والقومية بعيداً عن أي وعي تاريخي. وشكلت هذه المادة الميثولوجية أحد المكونات الرئيسية لتراثهم الديني والتاريخي والذي أسسوا عليه قراءتهم التاريخية التعويضية. حتى أنهم لم ينجحوا في تأريخ معظم الأحداث المعاصرة لهم بدليل الالتباس والاختلاط الذي شاب كتابات دانيال عن سقوط بابل في عهد قورش الأخميني عام ٥٣٩ ق.م. فهو يذكر على نحو خاطئ أنها سقطت في يد داريوس المادي (دارا الأول): (فَأَخَذَ الْمَمْلَكَةَ دَارِيُوسُ الْمَادِيُّ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً)[١٩٨] والذي كان حسب زعمه ابن احشويرش / إكسيركسيس الأول (؟) من نسل الماديين

مِصْرَ وَأَخَذَ جَازَرَ وَأَحْرَقَهَا بِالنَّارِ، وَقَتَلَ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَعْطَاهَا مَهْراً لابْنَتِهِ امْرَأَةِ سُلَيْمَانَ."

[١٩٥] K. von Bekkum, The "Language of Canaan": Ancient Israel's History and the Origins of Hebrew, Essays in Semitics and Old Testament Texts in Honour of Prof. J.P. Lettinga. In: Biblical Hebrew in Context, K. von Bekkum and others (eds), (Leiden/ Boston, 2018), 70.

[١٩٦] N.P. Lemche, The Israelites in History and Tradition, (Westminster, 1998), 47.

[١٩٧] انظر: شريف حاتم سالم، المصدر اليهودي في التوراة، ١٣-١٩.

[١٩٨] سفر دانيال، الأصحاح الخامس؛ ٣١.

المتربع على عرش مملكة الكلدانيين (فِي السَّنَةِ الأُولَى لِدَارِيُوسَ بْنِ أَحْشَوِيرُوشَ مِنْ نَسْلِ الْمَادِيِّينَ الَّذِي مُلِّكَ عَلَى مَمْلَكَةِ الْكَلْدَانِيِّينَ).[١٩٩]

الجينيالوجيا التاريخية للغات السامية

إن المقصود بمصطلح السامية الأم هو اللغة الأم التي كانت متداولة في عصور سحيقة قبل أن يتفرق أبناؤها ويتكلمون لغات متفرعة عن تلك الشجرة الواحدة أو تلك اللغة الأصلية، وهي اللغات المنسوبة إليها والمعروفة اصطلاحاً باسم اللغات السامية الشقيقة. وتمثل هذه اللغة الأم لغة مفترضة لا يمكن التحقق منها حتى الآن لعدم توافر نصوص لها بسبب عدم معرفة الكتابة وقت استخدامها، ولكن يمكن معرفة بعض موروثاتها اللغوية التي كانت تتسم بها في الخصائص العامة المشتركة بين لغاتها التي وجدت طريقها إلى التدوين.[٢٠٠] وكان لجميع الأمم السامية موطن واحد ومهد أصلي نشأت كلها كلها فيه ثم تفرعت عنه وانتشرت في أنحاء المعمورة، وتفرعت معهم لغتهم الأصلية وحملت أسماءهم المختلفة، وخضعت لمؤثرات بيئاتهم الجديدة التي استقروا فيها إضافة إلى احتكاكاتهم الحضارية بجيرانهم حتى اختلفت عن الأصل بجلاء كأن كلا منها لغة مستقلة. واختلفت أقوال الباحثين وتضاربت آراؤهم حول تحديد اللغة السامية التي هي أقرب صلة وأقوى شبهاً بأمها الأصلية من بين لغات الأمم السامية، ولم تكن معظم اختياراتهم التي دارت حول أربع لغات إلا بسبب تعصبات دينية وقومية، وهذه اللغات المرشحة هي: الأكَّادية (البابلية – الآشورية) والعبرية والآرامية والعربية.

وتؤكد الدراسات اللغوية المقارنة أن اللغة العربية هي أقرب بنات السامية لاشتمالها على عناصر لغوية قديمة للغاية بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم وبعيدة عن

---

[١٩٩] سفر دانيال، الأصحاح التاسع؛ ١.

[٢٠٠] للمزيد من التفاصيل عن الخصائص العامة المشتركة بين اللغات السامية في الأصوات والمفردات والصرف والنحو، انظر: كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، (القاهرة، ١٩٧٧)، ١٤- ١٥؛ ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٤-١٧؛ محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، ١٤١-١٥٣؛ حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ١٨-٢٤.

شتى التغيرات والتقلبات المختلفة التي طرأت على بقية أخواتها الساميات في البلدان العمرانية. وهذا يدل على أن اللغة العربية كانت موجودة في مهد اللغات السامية أو في ناحية قريبة منه، أو أن العناصر التي نزحت إلى بلاد العرب كانت من أقدم الأمم السامية.[٢٠١] ولكن ذلك ليس معناه عدم احتكاكها وتأثرها بجاراتها الشقيقة الجنوبية والشمالية قبل الإسلام، فالعرب على العموم كانوا متصلين باليمن اتصالاً متيناً بل كانوا خاضعين لنفوذه الروحاني برهة طويلة من التاريخ، ولذلك اقتبسوا أولى خطوط نقوشهم المبكرة في شمال الحجاز منذ القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي من المسند اليمني كما سيأتي ذكره لاحقاً. علاوة على أن اتصالهم باللغة والكتابة الآرامية عند الأنباط قد أثر تأثيراً لا يستهان به على الحضارة العربية القديمة وعلى تكوين المادة اللغوية في العربية الحجازية الفصحى من ناحية التمدّن والعمران، بالإضافة إلى التأثير

[٢٠١] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٦-٨، ١٦٢، ١٦٨؛ عامر سليمان، اللغة الاكدية، ٦٧-٦٨؛ يونس عبد مرزوق، لغتنا العربية وأخواتها الجزرية، مجلة جامعة كربلاء، جامعة كربلاء، مج ٣، ع ١١ (٢٠٠٥)، ١٦٢-١٨٤. وقد غالى البعض كثيراً في مكانة اللغة العربية إلى حد اعتبارها تمثل أصل اللغات السامية، انظر: فوزية على عواد القضاة، اللغة العربية أصل اللغات السامية، حوليات آداب عين شمس، مج ٣٨ (٢٠١٠)، ٢٣٥-٢٥٢. إلا أن المصدر الأول للغة العربية القديمة المعروفة بالكلاسيكية الحجازية والمتمثل في الآثار العربية المنقوشة شحيح للغاية، والذي كان يمكن عن طريقه الوصول إلى نتائج يقينية يتم الاستناد إليه في مسألة أحقية اللغة العربية لنيل هذه المكانة. فلم تكن الكتابة منتشرة في الحجاز بل كان لا يعرف القراءة والكتابة منهم إلا القليل النادر مما جعلهم لا يدونون أخبارهم العظيمة وروعة إنجازاتهم الفكرية. علاوة على أنه ليس من الممكن في كل الأحوال أن يهتدي الباحث إلى أصل اشتقاق الكلمة إذا اقتصر في بحثه على لغة سامية واحدة ويحكم بأنها هي الأصلية دون سواها. (انظر: ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ١٧٠، ٢١٧). وحول أثر اللغات السامية في اللغة العربية رغم كونها أقرب بنات السامية، انظر: عبد القادر المغربي، أثر اللغات السامية في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٨ (١٩٥٥)، ١٥٩-١٦٦. وانظر أيضاً: عبد الوهاب محمد عبد العالي، المشترك والدخيل من اللغات السامية في العربية، مجلة الساتل، كلية المعلمين مصراتة، ع ٢ (٢٠٠٧)، ٧١-١٠٠. وحول تأثير اللغة الآرامية في شقيقتها العربية وغيرها من اللغات الأخرى، انظر: مازن محمد حسين، اياد محمد حسين، اللغة الآرامية وأثرها في اللغتين العربية والفارسية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، مج ٨، ع ٣ (٢٠١٨)، ٢٦٣-٢٩٢.

الكبير للخط النبطي على الخط العربي قبل وبعد ظهور الإسلام. كما يوجد فيها عدد غير قليل من ألفاظ عبرية وفارسية وكذلك يونانية تسربت إليها بواسطة السريانية.(٢٠٢)

وعلى الرغم من إشكالية الموطن الأصلي للساميين الذي بذل العلماء والباحثون جهداً كبيراً في تحديده دون أن يتفقوا على حل له حتى الآن، بل اختلفت فيه آراؤهم اختلافاً عظيماً، إلا أن النظرية الداعية إلى كونه في شبه الجزيرة العربية سواء في وسطها أم في أطرافها، تبقى هي النظرية التي تلقى قبولاً واسعاً واستحساناً بالغاً لدى الكثير من الباحثين.(٢٠٣) وأصحاب هذه النظرية يفترضون أن الهجرات السامية الكبرى قد قد خرجت منها واندفعت في أزمنة متتالية ومختلفة بحيث كانت تفصل بينها مدد زمنية طويلة متفاوتة تُقدر على الأقل بألف سنة، وهذه الهجرات هي على التوالى: الهجرة الأولى للأكَّاديين الذين نزحوا إلى بلاد النهرين واستقروا فيها حوالي منتصف الألف الرابع قبل الميلاد أو بعده بقليل، والهجرة الثانية للأموريين والكنعانيين الذين وصلوا إلى بلاد النهرين والشام في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد حيث استقروا في تلك المناطق في الألف الثاني قبل الميلاد. علاوة على هجرة ثالثة للآراميين والعبريين الذين انتشروا في منطقتي بلاد النهرين والشام أيضاً في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.(٢٠٤) أما رابع وآخر هذه الهجرات فهي الهجرة العربية التي واكبت الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي.

وتعددت الآراء في تفسير الهجرات الثلاث الأولى النازحة من الجزيرة العربية صوب المناطق المتاخمة لها. فأصحاب الرأي الأول يرى أن هذه المنطقة كانت قبل الألف

---

(٢٠٢) قارن: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٣٧، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٠-١٧١.

(٢٠٣) حول نظريات وفرضيات الموطن الأصلي للساميين، انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٤-٥؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ٢٢٩-٢٣٩.

(٢٠٤) موسكاتى، الحضارات السامية القديمة، ١٩- ٢٤؛ أحمد ارحيم هبو، تاريخ الشرق القديم، ج١، ١٠٨. وراجع كذلك تقسيم فاضل عبد الواحد علي لتلك الهجرات وتسمياتها المختلفة مثل الهجرة الأكَّادية والهجرة الكنعانية والهجرة الآرامية والهجرة العربية. فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة، ٥٩.

العاشرة قبل الميلاد منطقة خضراء مأهولة بالسكان، ولكن ظروف الجفاف التي حلت بها دفعت بها نحو الإقفار التدريجي الذي ترتب عليه نضوب مواردها. وقد دفع ذلك بسكانها إلى أن ينزحوا منها بالتدريج كلما زحف الجفاف والقفر على هذه الموارد وذلك إلى المناطق الخصبة المتاخمة لها سعياً وراء موارد جديدة. وافترض أصحاب الرأي الثاني وجود عاملين بشريين أساسيين وراء تلك الهجرات الخارجية الكبيرة وهما تعاقب الضعف السياسي على إمارات شبه الجزيرة العربية من فترة لأخرى مما تسبب في عدم الاستقرار والانفلات الأمني والضعف والانهيار الاقتصادي. فضلاً عن تحول مسالك الطرق التجارية الرئيسية والذي أثر هو الآخر في عمليات الهجرة الكثيفة حيث نتج عنه أزمات اقتصادية كبيرة دفعت بالسكان للهجرة إلى أماكن غنية ومستقرة. أما أصحاب الفريق الثالث والأخير فقد جمعوا بين الرأيين السابقين واقترحوا من ناحيتهم أن تعاقب فترات الجفاف الشديدة على المنطقة قد أثر بصورة قوية على استقرار الإمارات مما أدى إلى ضعفها ونشوب الفتن والمنازعات فيما بينها، بالإضافة إلى انعكاس ذلك على حكامها الذين عجزوا عن رعاية مصالح أرضهم وشعوبهم والقيام بواجباتهم تجاههم.[٢٠٥]

واستناداً إلى تقسيم الفيلولوجيين للغات السامية نسبة إلى أماكن انتشارها وإن اختلفوا أحياناً في تفاصيل كل تقسيم، فهي تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين: مجموعة اللغات السامية الشرقية، ومجموعة اللغات السامية الغربية واللهجات المحمولة عليها. (شكل ١)

أولاً: مجموعة اللغات السامية الشرقية

تتفرع هذه المجموعة إلى فرعين لغويين وهما الأكَّادية والإيبلويّة:-

أ- **اللغة الأكَّادية:** سادت هذه اللغة بلهجتها القديمة إضافة إلى لهجتيها الرئيسيتين البابلية والآشورية في بلاد النهرين. واستُخدمت في تدوينها بلهجاتها المختلفة

---

[٢٠٥] انظر: موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ٥٢-٥٩: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ٢٤٠-٢٥٤؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ٨٤-٨٦، ٩٠-٩٢؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، ٢٢-٢٧؛ حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ٥-١٧.

الكتابة المسمارية منذ حوالي ٢٥٠٠ ق.م، وبذلك فإن نصوصها المسمارية هي أقدم نصوص اللغات السامية المدونة المعروفة حتى الآن. فضلاً عن أنها أقدم اللغات السامية على الإطلاق لتدوين السومريين الكثير من مفرداتها الدخيلة على لغتهم في نصوصهم المسمارية المؤرخة بالنصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد. وظلت اللغة الأكَّادية مستخدمة في العراق حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد.[٢٠٦]

ب- **اللغة الإيبلويّة:** هي لغة مملكة إيبلا (تل مرديخ جنوب غربي حلب الحالية) خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وتؤرخ بالقرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد استناداً إلى خبيئة سجلاتها المؤرشفة المدونة بالمسمارية والتي تم الكشف عنها في سبعينات القرن المنصرم. ويعتبرها بعض العلماء واحدة من اللهجات المحمولة على اللغة الأكَّادية نظراً لاحتوائها على عدد كبير من مفرداتها.[٢٠٧]

ثانياً: مجموعة اللغات السامية الغربية

تشترك لغات هذه المجموعة في عدة خصائص مبتكرة في التراكيب اللغوية والنظم الصوتية مما باعد بينها وبين لغات المجموعة السابقة.[٢٠٨] وقد تشعَّبت عنها عدة فروع ولهجات لغوية مختلفة وهي: اللغات السامية الوسطى ولهجاتها- اللغات الحبشية أو الأثيوبية ولهجاتها - اللغات العربية الجنوبية الحديثة.

---

[٢٠٦] انظر: عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٦٩، ٨٥؛ عيد مرعي، اللسان الأكادي، ٣٢-٤٠؛ J. J.Hackett, Semitic Languages. In: Concise Encyclopedia of Languages of the World, K. Brown, S. Ogilvie, (eds), (Oxford, 2009), 929, 930, A. D. Rubin, The Subgrouping of the Semitic Languages, LLC 2/1 (2008), 62-64.

[٢٠٧] Hackett, Semitic Languages , 930; Rubin, The Subgrouping of the Semitic Languages , 62-63; J. Huehnergard and N. Pat-El, Introduction to the Semitic Languages and their History. In: The Semitic Languages, J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 6.

[٢٠٨] Hackett, Semitic Languages , 930

(أ) **اللغات السامية الوسطى:** وهي متشعّبة إلى ثلاثة فروع: الأول هو فرع اللغات الشمالية الغربية (السورية – الفلسطينية) والفئات الفرعية الأربع المنبثقة منه (الأوجاريتية والكنعانية ولهجاتها والآرامية ولهجاتها، ولغات أخري)، وفرع ثان يضم اللغات العربية الجنوبية القديمة ولهجاتها (السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية)، وأخيراً فرع اللغات العربية الشمالية المكوّن من اللغة العربية (العربية القديمة والحجازية الكلاسيكية ولهجاتها الحديثة المحمولة عليها)، واللغات العربية الشمالية القديمة ولهجاتها (التَّيْماويّة والدادانية والدومِيَّة والصفوية والحِسْمَية والحساوية والثمودية).

١– اللغات الشمالية الغربية (السورية – الفلسطينية)[٢٠٩]

- **اللغة الأوجاريتية الأمورية:** هي إحدى اللهجات البائدة للغة السامية الأمورية والمحفوظة في النصوص المكتشفة في مدينة أوجاريت الواقعة على الساحل السوري الشمالي بالقرب من مدينة اللاذقية. وقد كتبت هذه النصوص بكتابة مسمارية محلية معروفة باسم الأبجدية الأوجاريتية والتي ترجع إلى أوخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد واستمرت حتى حوالي ١٢٠٠ ق.م عندما دمرتها شعوب البحر. ويرفض الكثير من العلماء الفيلولوجيين فكرة تحدر هذه اللغة من اللغة الكنعانية لافتقارها إلى بعض الخواص اللغوية والنظم الصوتية التي تتمتع بها الأخيرة.[٢١٠]

- **اللغة الكنعانية ولهجاتها:** انتشرت هذه اللغة في المنطقة التي تضم حالياً جنوبي لبنان وفلسطين والجزء الشمالي الغربي من الأردن. وأقدم الأدلة النصية عليها جاءت من

---

[٢٠٩] للمزيد من التفاصيل عن تاريخ وتطور وأماكن انتشار هذه اللغات وخصائصها اللغوية والمعجمية المتميزة بها ضمن مجموعة اللغات السامية الغربية، انظر: J. Groen, Northwest Semitic in the Second Millennium bce, (M.A. Thesis, Univ. of Leiden, 2015).

[٢١٠] Hackett, Semitic Languages , 932-933; J. Tropper and J. Paplo Vita, Ugaritic. In: The Semitic Languages. J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 482-485.

بعض النصوص الألفبائية المبعثرة منذ بدايات القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكذلك رسائل تل العمارنة في أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد. فقد تسربت إلى تلك الرسائل بعض المفردات الكنعانية المحلية المنقولة في قالب حروفه الأكَّادية التي كانت تمثل لغة المراسلات الدولية آنذاك، ويمكن من خلال هذه الألفاظ القليلة التمييز بين لهجات الكتبة الكنعانيين. واللهجات المحمولة على اللغة الكنعانية هي: الفينيقية والمؤابية والعبرية والعمونية والأدومية.(٢١١)

* **اللغة الفينيقية**: تفرعت منها عدة لهجات تكلمت بها الأقوام السامية التي انشأت مدنها الفينيقية على طول الشريط الساحلي السوري الفلسطيني الممتد من تل سوكاس السوري شمالاً حتى عكا الفلسطينية جنوباً، وكذلك تشعَّبت عنها أيضاً لهجات محمولة عليها تكلم بها فينيقيو المستوطنات الخارجية في جزر البحر المتوسط (قبرص وصقلية ومالطا وسردينيا) وسواحله الجنوبية خصوصاً اللهجة البونية القرطاجة في شمال غرب أفريقيا. وتؤكد نصوص هذه اللغة ولهجاتها العديدة على استخدامها منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وإن كان البعض يفضل تأريخ بدايات تدوينها بعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد تقريباً، بينما يرجع تاريخ تدوين اللهجة البونية إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وجميعها مكتوبة بالكتابة الفينيقية الألفبائية المكوَّنة من اثنين وعشرين حرفاً صامتاً. واستمرت اللغة الفينيقية متداولة الاستخدام حتى القرن الأول قبل الميلاد، بينما ظلت لهجتها البونية مستعملة حتى القرن الرابع الميلادي.(٢١٢)

---

(٢١١) Hackett, Semitic Languages , 933; Rubin, The Subgrouping of the Semitic Languages, 70-71.

(٢١٢) انظر: عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٧١، ٨٦. Hackett, Semitic Languages, 933 التاريخ المذكور أعلاه وفقاً لتدهور اللغة الفينيقية أمام غلبة اللغة الآرامية، ولكن هناك من يؤرخ نصوصها الفينيقية في الفترة ما بين حوالي القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي، ونصوصها البونية في الفترة ما بين حوالي القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الخامس الميلادي. انظر: Huehnergard and. Pat-El, Introduction to the Semitic Languages and their History, 5, 12.

* **اللغة العبرية:** هي اللغة التي أطلقت على عدد من اللهجات التي تكلمت بها الأقوام التي سكنت تقريباً المنطقة الواقعة بين نهر الأردن والساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وتنتمي جميعها إلى الفرع اللغوي الكنعاني. وتؤرخ بعض نصوص أسفار العهد القديم بالقرن الثاني عشر قبل الميلاد، في حين ترجع أقدم نصوصها النقشية المكتوبة بالخط العبري القديم المقتبس من الكتابة الفينيقية الألفبائية إلى القرن العاشر قبل الميلاد (لوحة تقويم جازر الجيرية). واللهجات القديمة الرئيسية هي العبرية التوراتية من حوالي ١٢٠٠ إلى ٦٠٠ ق.م (العبرية الكلاسيكية المكتوبة بها التوراة)، والعبرية الوسيطة من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي تقريباً والتي تتضمن: العبرية المشنوية (نسبة إلى المشنا التي تمثل مجموعة التشريعات المتضمنة الشريعة الشفهية، وتمزج هذه اللغة الشائعة والمستخدمة في الحديث اليومي لتأثرها باللسان الآرامي بين العبرية التوراتية ولغة العامة)، والعبرية القُمرانية (لغة مخطوطات كهوف قُمران المعروفة أيضاً بمخطوطات البحر الميت والمؤرخة بالقرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي). وتُعدّ اللغة العبرية اللغة الأساسية للعهد القديم، ولا تزال قيد الاستخدام حتى الآن بعد إحيائها من جديد في القرن التاسع عشر الميلادي والتي يطلق عليها اسم العبرية الحديثة.[٢١٣]

* **اللغات العمونية والأدومية والمؤابية:** سكنت القبائل العمونية والأدومية والمؤابية في الناحية الجنوبية من شرق الأردن منذ أواخر العصر البرونزي (القرن الثالث عشر قبل الميلاد)، وتمكنت من تأسيس ثلاث ممالك معاصرة لم تكن حدودها ثابتة وإنما كانت تتوسع وتتقلص حسب الظروف والأوضاع السياسية والعسكرية المتغيرة آنذاك. وتكلمت هذه الأقوام السامية الثلاثة بلهجات كنعانية واستخدمت

---

(٢١٣) Hackett, Semitic Languages, 933-934; A.D. Hornkohl, Pre-modern Hebrew, Biblical Hebrew. In: The Semitic Languages, J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 533-570.

في تدوين نصوصها خط الكتابة الفينيقية وحلت مكانه لاحقاً بالخط الآرامي، ونصوصها مؤرخة على النحو التالي: نص الملك المؤابي ميشع المؤرخ بالنصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد وهو أقدم النصوص المؤابية، وبضعة نصوص قصيرة عمونية إضافة إلى عدد من الأختام وجميعها يعود إلى فترة ما بين القرن التاسع والسادس قبل الميلاد. علاوة على عدد قليل جداً من النصوص الأدومية المنقوشة على شقافات وأختام والتي يرجع تاريخها إلى فترة ما بين القرن الثامن والسادس قبل الميلاد.[٢١٤]

- **اللغة الآرامية ولهجاتها:** هي لغة مجموعة كبيرة من الأقوام الآرامية التي هاجرت أصلاً من الجزيرة العربية وتنقلت في الجزيرة الفراتية وانتشرت في أنحاء بلاد الشام وأطراف بلاد الرافدين. وقد ورد ذكرها في النصوص المسمارية منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، غير أن أقدم النصوص الآرامية المكتوبة كلها بالأبجدية الآرامية المقتبسة من الفينيقية مؤرخة منذ القرن التاسع قبل الميلاد. ولا تزال بعض لهجاتها مستخدمة حتى الآن في عدد من قرى شمال العراق وسوريا وإيران حتى الوقت الحاضر بعد تعرضها لتأثيرات محلية معينة.[٢١٥] واللهجات المحمولة عليها هي:

* الآرامية القديمة وتؤرخ نقوشها الموثقة من أواسط القرن التاسع إلى القرن السادس قبل الميلاد.

* آرامية الدولة أو الآرامية الرسمية المستخدمة كلغة دولية خلال الإمبراطورية الفارسية الأخمينية من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد (متضمنة الآرامية التوراتية المبكرة للكاهن عزرا).

---

[٢١٤] S.B. Parker, Ammonite, Edomite, and Moabite. In: Beyond Babel: A Handbook for Biblical Hebrew and Related Languages, J. Kaltner and S. L. McKenzie (eds), Resources for Biblical Studies, 42, (Atlanta, 2002), 43-60.

[٢١٥] عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٧٣-٧٦، ٨٦. Rubin, The Subgrouping of the Semitic Languages, 71-73.

* الآرامية الوسيطة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي، وتضم مجموعة من اللهجات: الآرامية الفلسطينية (الآرامية التوراتية المتأخرة والآرامية القمرانية وآرامية الترجوم المبكرة)، والآرامية النبطية، والآرامية التدمرية، والآرامية الحضرية.

* الآرامية الغربية المتأخرة والحديثة وتضم عدد من اللهجات: الآرامية الجليلية اليهودية (من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر الميلادي)، والآرامية السامرية (من القرن الأول إلى القرن الثاني عشر الميلادي)، والآرامية الفلسطينية المسيحية (من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر الميلادي)، والآرامية الغربية الحديثة وأهمها الآن لهجة معلولة شمالي دمشق واللهجة الطورية (طور عبدين) جنوبي شرق تركيا.

* الآرامية الوسطى (الشمالية الغربية) الحديثة وأهمها حالياً اللهجة الآثورية إضافة إلى لهجة ملحسو الطورية والمحكية الآن في إيران والعراق وتركيا.

* الآرامية الشرقية المتأخرة والحديثة وتضم: الآرامية السريانية (من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الميلادي، والآرامية البابلية اليهودية (من القرن الثالث حتى القرن الحادي عشر الميلادي)، والآرامية المندعية أو المندائية القديمة (منذ القرن الثالث الميلادي). وأخيراً الآرامية الشمالية الشرقية الحديثة المستخدمة حالياً في عدة مدن كأرومية الواقعة في شمال غرب إيران والموصل في شمال العراق إضافة إلى بعض المناطق في جنوب شرق تركيا وشمال سوريا.[٢١٦]

وهناك بعض النقوش السامية الشمالية الغربية التي يصعب تحديد أصلها اللغوي عما إذا كانت أوجاريتية أو كنعانية أو آرامية. ومن هذه اللهجات لهجة نقش المتنبئ بلعام بن بعور من القرن الثامن قبل الميلاد والذي تم الكشف عنه في تل دير علا في

(٢١٦) Hackett, Semitic Languages, 934; Huehnergard and Pat-El, Introduction to the Semitic Languages and their History, 5-6; A. Gutman, Attributive Constructions in North-Eastern Neo-Aramaic, (Berlin, 2018), 5-6.

الأردن، والتي أثارت جدلاً كبيراً لتضمنها ميزات تجمع فيما يبدو بين اللهجات الآرامية واللهجات الكنعانية. ويصدق الأمر ذاته ولكن بدرجة أقل على لهجة أخرى من نفس الفترة استناداً إلى نقشين ملكيين تم العثور عليهما في شمأل (زنجرلي هيوك حالياً في جنوب شرق تركيا) التي كانت من المناطق الشمالية لسوريا الآرامية. وثمة اقتراح بأن هذه النقوش تمثل أشكالاً أخرى من السامية الشمالية الغربية والتي لم تستقل بنفسها عن الفرع الرئيسي مثلما استقلت تماماً وقتذاك اللغات الثلاث الرئيسية.(٢١٧)

٢- **اللغات العربية الجنوبية القديمة (الصيهدية):** كشفت الدراسات الفيلولوجية الأخيرة عن وجوب إدراج نقوش لغة نصوص الممالك والأقوام العربية الجنوبية ضمن مجموعة اللغات السامية الوسطى بدلاً من تصنيفها التقليدي المستقل تحت مسمى العربية الجنوبية. وتاريخ تدوين تلك النقوش المعروفة أيضاً باسم النقوش الصيهدية والمكتوبة بخط المسند الألفبائي المقتبس أغلب الظن من الأبجدية الخطية الكنعانية يرجع إلى فترة ما بين القرن العاشر قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي. ويتضمن هذا الاصطلاح العام عدة لهجات أفضلها توثيقاً اللهجة السبئية إضافة إلى ثلاث لهجات أخرى مثبتة في بضعة نقوش مكتشفة وهي: المعينية من القرن العاشر حتى القرن الثاني قبل الميلاد، والقتبانية من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي، والحضرمية من القرن السابع حتى القرن الثالث الميلادي.(٢١٨)

٣- **اللغات العربية الشمالية:** هي أحد فروع اللغات السامية الوسطى حيث سادت في وسط وشمالي الجزيرة العربية، والتي انقسمت إلى مجموعتين ضمت أولاهما اللغة العربية المشتملة على العربية القديمة / الباقية (الكلاسيكية وتمثلها العربية

---

(٢١٧) Hackett, Semitic Languages , 934; Rubin, The Subgrouping of the Semitic Languages, 73-74.

(٢١٨) Hackett, Semitic Languages , 931; A. Multhoff, Ancient South Arabian. In: The Semitic Languages, J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 321-341.

الحجازية الفصحى) واللهجات الحديثة المحمولة عليها، بينما تضمنت المجموعة الثانية اللغات العربية الشمالية القديمة المعروفة أيضاً بتسمية اللغات البائدة. وتشمل الأخيرة نقوش اللهجات المستخدمة قبل الإسلام والتي تؤرخ منذ القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي، والمكتوبة بخط مرتبط ارتباطاً وثيقاً بخط المسند. ومن هذه اللهجات: اللهجات الواحاتية في شمال الجزيرة العربية وتضم التَّيْماويّة (القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد)، والدادانية / اللحيانية (النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد)، والدوميّة (دومة الجندل حيث كشف عن ثلاثة نصوص بالقرب من سكاكا ومؤرخة بالنصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد). وكذلك اللهجة الصفويّة (من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي)، واللهجة الحِسْمَية (من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي)، واللهجة الثموديّة (تضم كل نقوش العربية الشمالية القديمة غير المصنّفة بخلاف كونها موجودة خارج البقعة الواحاتية). علاوة على اللهجة الحساويّة (الإحسائية) في شمالي شرق الجزيرة العربية والمكتوب بها بضع عشرات من النقوش الجنائزية المؤرخة بالنصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد.[٢١٩] أما العربية القديمة (الكلاسيكية) فهي اللغة العربية الفصحى التي تمثل اللهجة الحجازية المحكية في وسط وغربي الجزيرة العربية، وتؤرخ أقدم نقوشها بالقرن الرابع الميلادي (نقش النَّمارة المؤرخ بالعام ٣٢٨ م) والمكتوب بخط مقتبس من الخط النبطي حيث احتفظ بحروف أصواته الساكنة إضافة إلى بعض حروف أصوات المد الطويلة. وقد كُتب لهذه اللغة سعة الانتشار والخلود بفضل نزول القرآن بها والتراث الذي انبنى عليه والقواعد النحوية والصرفية التي وضعها النحويون القدامى في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. وكان من نتيجة انتشار اللغة العربية في كثير من بلدان آسيا وأفريقيا وأوربا أن ظهرت لهجات

---

(٢١٩) Hackett, Semitic Languages , 931-932; M.C.A Macdonald, Old Arabic (Epigraphic). In: Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics, K. Versteegh (edit), Vol. 4 (Leiden, 2007), 464–77.

متشعبة لم تكن شائعة إلا في المحادثات السائرة والمخاطبات العادية بين الأفراد في مختلف طبقات الشعوب التي تتكلم بالعربية. ولم يُدون شيء يذكر بهذه اللهجات في الأدب أو العلم في القرون السالفة لأن اللغة العربية المعيارية الحديثة (الفصحى الحديثة) هي التي تمثل لغة الكتابة والتأليف والإعلام والاتصالات الدولية.[٢٢٠]

(ب) اللغات الحبشية أو الأثيوبية (الجعزية والتجرينية والتجرية والأمهرية):

انتشرت اللغات السامية في الحبشة منذ فترة مبكرة من خلال هجرة بعض القبائل العربية الجنوبية عبر باب المندب إلى الحبشة على الساحل الأفريقي الشرقي، والتي يُحتمل أنها كانت في حوالي الألف الأول قبل الميلاد على أكثر تقدير. واللغة الحبشية الكلاسيكية (الجعزية) التي تمثل لغة أكسوم القديمة قد تم تدوينها في بداية القرن الرابع الميلادي، وظلت قيد الاستعمال كلغة تخاطب حتى القرن العاشر الميلادي حيث توقف استخدامها بالتزامن مع زوال الإمبراطورية الأكسومية، إلا أنها استمرت باعتبارها لغة الكنيسة الأثيوبية ولغة التأليف والتدوين لدى الطبقة المفكرة حتى الآونة الأخيرة. وترتبط بهذه اللغة ارتباطاً وثيقاً اللغتان التجرينية والتجرية، وهما من اللغات المحكية ليس فقط في شمال أثيوبيا بل في اريتريا أيضاً. أما اللغة السامية الأمهرية، لغة أثيوبيا الرسمية، فقد حلت مكان الجعزية وصارت من أفضل اللغات الأثيوبية الجنوبية المعروفة. وقد دُونت النصوص الجعزية في مرحلتها الأولى بخط المسند

---

(٢٢٠) Hackett, Semitic Languages , 932; D. Birnstiel, Classical Arabic. In: The Semitic Languages, J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 367-402. وحول نشأة اللغة العامية وعلاقاتها باللغة الفصيحة واللغات الأخرى كالعبرية والسريانية والقبطية (المصرية القديمة) والمالطية والبربرية، انظر: ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ٢١٨–٢٢٦.

السبئي والذي تطورت حروفه الهجائية لاحقاً إلى الأبجدية المقطعية الأثيوبية مع إضافة حروف مصوّتة.[٢٢١]

(ج) **اللغات العربية الجنوبية الحديثة:** بدأت عربية الشمال الحجازية الفصحى تبسط نفوذها على اللغات اليمنية القديمة تدريجياً بشكل كبير، وبذلك تضاءلت ولم يبق منها سوى النقوش والمخربشات التي خلفتها. وكان لاعتناق اليمنيين الإسلام أثر في تثبيت قدم هذه اللغة فيها، فانتشرت بصورة واسعة وواصلت القضاء على البقية الباقية من اللغات اليمنية. ولكن هذا الانتشار للعربية الحجازية الفصحى قد أُفلتت منه مناطق متفرقة نائية، ساعد انعزالها وانزواؤها على حمايتها، فظلت محتفظة بلهجاتها القديمة إلى العصر الحاضر في اليمن وسلطنة عمان حيث يتكلم بها قرابة ستون ألف شخص (عددهم آخذ بالتضاؤل). وأشهر تلك اللهجات: المهرية والشحرية (الجبالية لانتشار استخدامها في الجبال) والهبيوتية والحرسوسية والبطحرية السقطرية. وتفتقر هذه اللغات إلى التاريخ الأدبي نتيجة تدوينها مؤخراً فحسب، وكذلك لا تملك نظاماً للكتابة وكل مصادرها قائم على النسخ المنقولة عنها بالأبجدية اللاتينية أو العربية.[٢٢٢]

ديالكتيك الحياة والموت في اللغات السامية

تُعدّ الصيرورة اللغوية وفقاً للمفهوم الديالكتيكي الهيجلي من إحدى الظواهر الفكرية والحضارية الحية المتعلقة بجدلية الصراع المستمر بين الفكرة ونقيضها إذ تنطوي كل

---

[٢٢١] انظر: عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٧٩-٨٠، ٨٧-٨٨؛ آمنة صالح الزغبي، فقه اللغة العربية، دراسة تحليلية مقارنة (عمان، ٢٠١٥)، ٢٤٢-٢٤٥؛ Hackett, Semitic Languages , 930-931, Rubin, The Subgrouping of the Semitic Languages, 74.

[٢٢٢] انظر: سالم بن سهيل بن علي الشحري، اللغة الشحرية وعلاقتها بالعربية الفصحى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك (٢٠٠٧)، ٢٧-٣٤؛ Hackett, Semitic Languages , 931; Rubin, The Subgrouping of the Semitic Languages, 75-76.

فكرة وليدة على بذرة تحللها وفنائها. وظاهرة ثنائية الصراع اللغوي المتواصل على مر العصور حتمية لاشتمالها على صفتين متضادتين ضروريتين للتطور اللغوي الدائم. فكل لغة مولودة تنمو وترتقي على نقيضتها المحتضرة وبداخلها في الآن ذاته بذرة تحللها وتفسخها حينما يدب فيها الضعف وتدخل نفقها البرزخي ولا تقوى على الصمود أمام سلطان لغة فتية أخرى. وهكذا تتكرر هذه العملية الديناميكية مرات لا تنتهي على قاعدة التناقض الديالكتيكي لدفع حركة التاريخ نحو التقدم والتطور.[٢٢٣] فمن المسلم به أن احتكاك اللغات وصراعها داخلياً وخارجياً ضرورة تاريخية ولا توجد لغة حية متطورة في معزل عن ذلك الاحتكاك والصراع.[٢٢٤]

وتتكشف قاعدة التناقض الديالكتيكي للصيرورة اللغوية في العوامل المختلفة المُتسبّبة في الصراع بين اللغات مثل نزوح عناصر أجنبية على أثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة والتي تكون لغتها نقيضة للغة أهل البلد، فتشتبك اللغتان في صراع. علاوة على تجاور شعبين مختلفي اللغة، فيتبادلا المنافع ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادي والثقافي، فضلاً عن اشتباك شعبين مختلفي اللغة في حروب طويلة الأمد. ناهيك عن الأسباب الاقتصادية والدينية التي ينتج عنها تصارع الإرادات وصياغة الصراعات لغوياً، فتستعر الحروب اللغوية.[٢٢٥] وعندما لم يكن بمقدور إحدى اللغتين التغلب على الأخرى، فإنهما تعيشان معاً جنباً إلى جنب مثلما كان الحال مع اللغات العربية القديمة الشمالية

---

[٢٢٣] حول رؤية هيجل عن آلية حركة التاريخ من منظور منهجه الديالكتيكي بين الفكرة ونقيضها والجمع بينهما وصراع العقل للوصول إلى مرحلة الوعي الذاتي، وهي المرحلة التي تكون فيها حرة عندما تسيطر على العالم ، انظر: ج. ف. فريدريش هيجل، العقل في التاريخ، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام (بيروت، ٢٠٠٧).

[٢٢٤] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (القاهرة، ١٩٩٧)، ١٧١.

[٢٢٥] للمزيد من التفاصيل عن أسباب الصراع اللغوي ومظاهره ونتائجه سواء بين لهجات اللغة الواحدة المحلية أو الصراع بين اللغات المستقلة، انظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة (القاهرة، ٢٠٠٦)،١٧٩-١٨٤، ٢٢٩-٢٤٨؛ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ١٧١-١٧٧؛ مبارك تريكي، فصول في اللسانيات الاجتماعية (عمان، ٢٠٢٠)، ٩٣- ١٠٥.

واللغة الآرامية. فقد كان عرب الشمال يتصلون بأمم سوريا والعراق من أقدم الأزمنة التاريخية اتصالاً متنوع الأسباب، متأثرين بهم تأثراً ملموساً أدبياً وعلمياً والذي ترك آثاره في استخدامهم للآرامية في الكتابة والتفاهم مع الغير، مع الحفاظ على العربية للتفاهم المحلي. إلا أن اللهجات الآرامية في جنوب بادية الشام وشمالي غرب الجزيرة العربية لم تستمر طويلاً إذ تم محوها في القرن الرابع والخامس الميلاديين بسبب الاضمحلال الذي أصاب سوريا مما جعل أصحابها يخضعون أخيراً للغة العربية الفصحى (الحجازية) في العصور القريبة من ظهور الإسلام.[٢٢٦] وبالنظر إلى النفسية السامية التي قد تبغض الأقارب أكثر مما تبغض الأباعد[٢٢٧] إضافة إلى تاريخ الساميين الحافل بالصراعات والصدامات العسكرية الدموية، فقد كانت صراعاتهم اللغوية تنتهي في الغالب إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى. ومن هنا تبرز قاعدة التناقض الديالكتيكي للصيرورة اللغوية بجلاء أيضاً في الحالات التي تغلبت فيها لغة سامية على أخرى، مع ضرورة الأخذ في الحسبان مسألة الكم العددي والنوع الحضاري والثقافي لأصحاب كل لغة ومدى تحكمها في المصير اللغوي.[٢٢٨] فتصبح اللغة الفتية الغالبة هي لغة جميع السكان أصيلهم ودخيلهم كما حدث مع اللغة الآرامية وتغلبها على أخواتها الأكَّادية والعبرية والفينيقية.[٢٢٩] وحدث نفس الشيء أيضاً مع اللغة العربية الفصحى الفتية عندما اضمحلت اللغة الآرامية في نهاية القرن السابع الميلادي ولم تقدر على الصمود أمامها.

واللغة كائن حي لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره. كما أنها مرآة التطور التاريخي والحضاري

---

[٢٢٦] قارن: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية،١٦٢-١٦٣، ١٦٧-١٦٨، ٢٠٦؛ عامر حسين، اللغة الأكدية، ٦٧-٧٧.

[٢٢٧] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٠٥.

[٢٢٨] قارن حالات غلبة لغة على لغة أخرى: علي عبد الواحد، علم اللغة، ٢٣٠-٢٣٣.

[٢٢٩] آمنة صالح الزغبي، المرحلية اللغوية، ٤٠٢-٤٠٦.

للمجتمع، فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه وتندثر باندثاره.[٢٣٠] واتصفت اللغات السامية بكل هذه الخصائص الحية إذ انطلقت وهي نقية من الشوائب والمؤثرات الخارجية، وواكبت أهلها أيام انتقالهم من حالة البداوة إلى حالة المدنيّة والحضارة، وبلغت أوج نموها وعظمتها في عهود ازدهارهم الثقافي والفكري. ثم يحدث فيها الانقلاب الكبير وتصاب بالوهن والانحلال والتشبع بالألفاظ الأجنبية، وتصبح عرضة للتأثير والتبديل حينما يتدهور حال أهلها ويمسون رهينة الثقافات الأخرى. ومن ثم يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من نمو وارتقاء وتحلل وفناء من خلال مسايرة نشأتها وارتقائها لخطى أصحابها الذين يتكلمون بها، أما موتها فلا يتم بصورة فجائية وإنما يتدرج بصورة لا تكاد تكون ملموسة. ولذلك لا يكون اندثار اللغات بعد فناء أصحابها مباغتاً وسريعاً، لأن موتهم نفسه ليس مباغتاً أو سريعاً إلا في حالات محدودة سببها اعتداء خارجي على أهل لغة معينة ذات رقعة جغرافية محدودة.[٢٣١] واللغة السامية الوحيدة التي أصابها هذا المصير المفاجئ هي الأوجاريتية على أثر تدمير وإحراق شعوب البحر لمدينة أوجاريت السورية في حوالي عام ١٢٠٠ ق.م.[٢٣٢]

---

[٢٣٠] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه (القاهرة، ١٩٩٠)، ٩.

[٢٣١] آمنة الزغبي، المرحلية اللغوية، ٤٠٠.

[٢٣٢] Hackett, Semitic Languages , 933 وحول شعوب البحر وأسمائها وتاريخ وأسباب ونتائج غزواتها لبلدان الشرق الأدنى القديم وتدمير مدن الساحل السوري كأوجاريت وكركميش والالاخ وكذلك المدن الفينيقية في أواخر العصر البرونزي المتأخر، انظر: نزار مصطفى كحلة، غزوات شعوب البحر (دمشق، ٢٠١٧). وهناك من يؤرخ تدمير أوجاريت في الفترة ما بين ١١٩٥–١١٨٥ ق.م استناداً إلى المراسلات بين الملكين الأوجاريتي والقبرصي حول تحركات شعوب البحر وهجومها الوشيك على أوجاريت. انظر: M. Yon, The End of the Kingdom of Ugarit. In: The Crisis Years: The 12th Century B.C. From Beyond the Danube to the Tigris, W. A. Ward & M. S. Joukowsky (eds), (Dubuque, Iowa, 1992), 120. وهو التاريخ الذي لم يبعد عنه كثيراً إيريك كلاين إذ اقترح أن تدمير أوجاريت قد حدث ما بين ١١٩٠–١١٨٥ ق.م وفقاً للمراسلات السابقة إضافة إلى أدلة نصية أخرى تشير إلى حدوث كسوف شمسي، مقترحاً أن سنة ١١٧٧ ق.م هي السنة التي انهارت فيها حضارات الشرق الأدنى القديم باستثناء مصر في عهد ملكها رعمسيس الثالث. وقد شمل هذا الانهيار كل المدن السورية

كما يحدث بين اللغات أيضاً ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكار وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلبة والسيطرة، فالصراع اللغوي هو وحده الذي يقضي على لغة من اللغات أو لهجة من اللهجات. وإمكانية تحديد زمن هذا الصراع تحديداً تاماً مرهونة بالنظر إلى الظروف التي تحيط باللغة المقهورة، وكذلك مقدار ما فيها من حيوية وقوة مقاومة. ولذلك تختلف نتائج هذا الصراع بين اللغات باختلاف الأحوال، فتكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين وكان النزاع بينهما عنيفاً والمقاومة قوية من جانب اللغة المقهورة، بينما تقل مظاهره كلما قصرت مدة الصراع أو خفت وطأة النزاع أو كانت المقاومة ضعيفة من جانب اللغة المغلوبة. فالاحتكاك بين لغتين متجاورتين لا يحدث دائماً على وتيرة واحدة في كل الحالات نظراً لأن قوة اللغات ليست واحدة ومن ثم اختلف قدرتها على المقاومة.[٢٣٣] ويمكن إيضاح هذه الصورة من خلال ما حدث مع اللغتين الآرامية والعربية الحجازية الفصحى. فقد ساعدت الظروف الدولية منذ نهايات العصر البرونزي المتأخر (حوالي ١٥٥٠–١١٨٠ ق.م) وبدايات

والفينيقية على الساحل السوري والفلسطيني، بالإضافة إلى الإمبراطورية الحيثية في الأناضول التي كانت هي السبب في تدمير مملكة قبرص وليس شعوب البحر، إلا أنها ظلت باقية تحت نظام سياسي واقتصادي جديد حتى سنة ١٠٧٥ ق.م. ويرفض كلاين فكرة الانهيار المفاجئ وحصره في عامل واحد دون الأخذ في الحسبان العوامل السياسية والاقتصادية والمناخية والبيئية الأخرى المتراكمة عبر أربعة قرون والتي أدت إلى التفكيك التدريجي الحتمي. ويرى أن هذا الانهيار البطئ هو نتاج عاصفة عارمة سببتها مجموعة متكاملة من التغيرات الكارثية والتي تشمل سلسلة طويلة من الحروب الأهلية وصراعات القوى الكبرى المدمرة وتفشي الأوبئة والطواعين، واستشراء القحط والمجاعات نتيجة التغيرات المناخية، علاوة على وقوع زلازل في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وتقطع الطرق التجارية البحرية، واضطرار شعوب البحر في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى الهجرة في موجات متتابعة وشن عدة غزوات متتالية على المنطقة والتي دامت حوالي خمسين عاماً أو أكثر. انظر: E.H. Cline, 1177 B.C.: The Year Civilization Collapsed, (Princeton, New Jersey, 2014).

[٢٣٣] انظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ٢٢٩؛ علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، مج ٢، ع ١ (٢٠١٢)، ٣٦٢ – ٣٦٣.

العصر الحديدي الأول (حوالي ١١٨٠-١٠٠٠ ق.م) على انشغال القوى الإقليمية العظمى عن التغلغل والانتشار الآرامي في البلدان المتحضرة المجاورة مثل سوريا والعراق. وأبرز هذه الظروف الصراع المصري – الحيثي على الشمال السوري وتصدي البابليين والآشوريين لخطر التهديد الحيثي، ثم انكماش الإمبراطورية المصرية وسقوط الإمبراطورية الحيثية على يد شعوب البحر التي تمكنت أيضاً من احتلال العديد من مدن الساحل السوري والفلسطيني.[٢٣٤] وقويت شوكة الآراميين وانتشروا انتشاراً واسعاً في سوريا وشرق الأردن حتى بلغوا نهر الفرات في مطلع الألف الأول قبل الميلاد حيث تمركزوا في مواقع استراتيجية تتحكم في طرق المواصلات المؤدية إلى آشور وإلى المدن الفينيقية غرباً وإلى آسيا الصغرى شمالاً. وترتب على ذلك أن احتكروا التجارة العالمية عدة قرون، فراجت لغتهم رواجاً واسعاً أينما وجدوا وحيثما حلّوا في جميع هذه النواحي. وبحلول القرن الثامن قبل الميلاد ازدادت وتيرة انتشار لغتهم على أوسع نطاق دون أن يكون لهم قوة سياسية أو عسكرية تفرض استخدامها على المنطقة، بل تم ذلك بفضل التجارة والفتوحات الآشورية والبابلية إضافة إلى خطها الأبجدي البسيط المتطور من الأبجدية الفينيقية. واحتلت هذه اللغة مكان الصدارة في الشرق الأدنى القديم حيث صارت تقتحم معاقل الأكّادية وغيرها من اللغات المحلية في بلاد الشام كالعبرية والفينيقية، وتنافس وتصارع لغات الأقوام الأجنبية الغازية كالفارسية واليونانية إلى أن سادت المنطقة وغدت لغة لها، بل أصبحت لغة رسمية للإمبراطورية الفارسية الأخمينية.[٢٣٥]

---

[٢٣٤] حول الانتشار الآرامي على أثر التصدعات السياسية والعسكرية الكبري التي أصابت منطقة الشرق الأدنى القديم في أواخر عصر البرونز، انظر: نزار مصطفى كحلة، غزوات شعوب البحر، ٢٢-٢٥، ٤٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٤١. وعن الصراع الدولي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين الخامس عشر والثالث قبل الميلاد والذي كان أحد العوامل الهامة في الانتشار اللغوي والثقافي والعرقي الآرامي، انظر: وليد محمد فرحان، الصراع الدولي في الشرق الأدنى بين القرنين الخامس عشر والثالث قبل الميلاد، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع ١١ (١٩٧٩)، ٢١٢- ٢٣٨.

[٢٣٥] انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ٥٤١-٥٤٦، ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٩٦-٩٧، ١١٦ - ١١٧، ١٣٤-١٣٥؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٧٣؛ مازن محمد حسين، من

أما اللغة العربية الحجازية الفصحى فقد أخذت في القرون القريبة من ظهور الإسلام تتمتع بقوة وعزة واستقلال، فكانت تتدفق في جميع نواحي الجزيرة بقوة وفتوة وروح يملؤه النشاط حتى كوّنت من ناحية لنفسها أدباً جديداً وشعراً فتياً، واستطاعت من ناحية أخرى التهام بقية اللهجات الأخرى ودمجها بها تدريجياً. وفي ذلك الحين كانت هناك أسباب سياسية واجتماعية ودينية أدت إلى انحلال العصبية الأصلية في بلاد اليمن قبيل ظهور الإسلام، وكان من نتيجة هذا الإنحلال أن أصبحت قابلة للتأثير من هذه اللغة حيث تسربت إليها وتغلغل نفوذها في تلك المنطقة. فاللغات العربية الجنوبية في بلاد اليمن أخذت تتدهور وتتلاشى حتى كادت تفنى في القرن السادس الميلادي، وكان ذلك من جراء فقدان بلاد اليمن لحريتها واستقلالها السياسي حيث كانت تئن تحت حكم الأحباش تارة والفرس تارة أخرى. وبما أن اللغات تتبع الحضارة صعوداً وهبوطاً، فقد نتج عن هذا التدهور والانحطاط تضاؤل وتقلص اللهجات اليمنية وإفساح المجال أمام شقيقتها الحجازية. وكان هناك اتصال وثيق بين اليمن والحجاز حيث كانت قوافل اليمن في ذهابها وإيابها تمر على المراكز التجارية بالحجاز. وقضت الدعوة الإسلامية التي ظهرت في مظهر عربي قومي على بقايا اللهجات الجنوبية دون أن تلقى أي مقاومة.[٢٣٦]

لغات العراق القديم "اللغة الآرامية"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، ع ٣٨ (٢٠١٨)، ٧١١-٧٣٠.

[٢٣٦] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٦٨، ٢٠٥- ٢٠٦، ٢٣٠. لا شك أن المحادثة بالعربية الحجازية لم تكن عسيرة على بعض الطبقات من أهل اليمن في القرن السابع الميلادي بدليل قدوم وفود من المسلمين إلى اليمن لنشر الدعوة الإسلامية في عهد النبي والخلفاء الراشدين حيث وجدوا أمامهم آذاناً صاغية وقلوباً واعية لدعوتهم ولغتهم. (ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٠٥). ووردت في بعض كتب العرب ألفاظ قليلة من لغة أهل الجنوب كالذي جاء في بعض الأحاديث النبوية " لَيْسَ مِنْ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ" (ليس من البر الصيام في السفر). (ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٣٧). وربما كان الحديث إجابة عن سؤال أحد الحِمْيريين: أليس من البر الصيام في السفر؟ وهذه لغة لبعض أهل اليمن، يجعلون لام التعريف ميماً. ويحتمل أن يكون الرسول الكريم خاطب بِها أبي عاصم الأشعري وكان من أصحاب السقيفة، كذلك لأنها لغته، ويحتمل أن يكون الأشعري هذا نطق بِها على ما ألف من لغته، فحملها عنه الراوي عنه، وأداها باللّفظ الّذي سمعها بِه. (الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي

والنواحي التي يبدو فيها تأثر اللغة الغالبة باللغة المغلوبة تختلف هي الأخرى تبعاً لاختلاف الأحوال التي تكون عليها اللغتين في أثناء اشتباكهما، ويظهر هذا التأثير بأوضح صورة في النواحي التي تكون فيها اللغة المغلوبة متفوقة على اللغة الغالبة. فاللغة التي يتم لها الغلبة لا تخرج سليمة من هذا الصراع، بل إن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها في كثير من مظاهرها حيث ينال الألفاظ الأصيلة للغة الغالبة الكثير من التحريف في ألسنة المغلوبين. ويؤدي ذلك إلى إبعادها في أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى، ويبلغ بعدها أقصاه إذا كانت اللغة المغلوبة من فصيلة أخرى غير فصيلة اللغة الغالبة. كما أن الألفاظ الدخيلة التي تقتبسها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها أيضاً كثيراً من التحريف في أصواتها ودلالاتها وطريقة نطقها، فتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة. وتجدر الإشارة أن الغلبة لا تتم للغة من اللغات إلا بعد أمد طويل قد يصل أحيانا إلى أكثر من أربعة قرون.[٢٣٧] فقد كانت اللغة الجعزية الحبشية في بادئ أمرها لغة لبعض قبائل سامية قليلة العدد كانت تعيش وسط القبائل الأفريقية الحامية، ولكنها بعد مدة طويلة من الزمن لم ينقطع فيها النزاع بين العنصر السامي الراقي ونظيره الحامي المتخلف حضارياً إلا بعد أن اندمج أحدهما في الآخر وصاروا أمة واحدة ليست بسامية خالصة ولا حامية صرفة. وصار لهذه اللغة السيادة العامة في هذه الأمة بل أصبحت هي اللغة الوحيدة في جميع أرجاء هذه البلاد دون أن تفقد صبغتها السامية سوى أن نطقها – وكذلك اللهجات المحمولة عليها في أعقاب سقوطها كالتجرية والتجرينية والأرجوية – تحول عما كان عليه وصار مخالفاً لما هو معروف عند الساميين.[٢٣٨]

العسقلاني، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، الجزء الأول، التحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، (المدينة المنورة، ١٩٦٤)، ٢٠٥).

[٢٣٧] انظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ٢٣٢-٢٤٤؛ علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، ٣٦٣.

[٢٣٨] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٦١.

وثمة نموذج آخر يجسد هذه الظاهرة ولكنه مناقض للنموذج المذكور أعلاه ومشابه معه فقط في الاختلاف اللغوي وطول أمد الصراع والتشويه الذي أصاب اللغة الغالبة. فالصراع بين اللغتين السومرية الإلصاقية والأكَّادية السامية لم يكن صراعاً بين لغتين من عائلة لغوية واحدة إضافة إلى أن السومرين كانوا هم الأكثر رقياً وقدماً من الأكَّاديين، علاوة على خلو صراعهما اللغوي من دافع القومية أو العرقية. فقد بدأ الاحتكاك والصراع بين هاتين اللغتين وبدأت كل واحدة منهما تؤثر في الأخرى بمجرد أن حل الأكَّاديون في وسط العراق وجنوبه وعاشوا مع السومريين جنباً إلى جنب. وكان تأثير السومرية في الأكَّادية أكبر وأوضح لأنها كانت الأسبق في الاستعمال الرسمي والتدوين والتأليف والتعليم. ونظراً لتأسيس الدولة الأكَّادية وتزايد عدد المتكلمين بلغتها بتزايد قدوم الأقوام من الجهات الشمالية الغربية في مقابل الانحسار السياسي للسومريين وتناقص أعدادهم جراء اندماجهم مع الأقوام الأكَّادية، بدأت السومرية تنحسر تدريجياً، في حين ازداد انتشار الأكَّادية. ودخلت اللغتان في صراع لغوي عنيف انتهى أخيراً بغلبة الأكَّادية، إلا أنه لم يكن صراعاً قومياً أو عرقياً كما سبق ذكره، بالإضافة إلى أنه لا يعكس صراعاً سياسياً. ومع ذلك لم يكن الانتقال من السومرية إلى الأكَّادية كاملاً بل ظلت اللغة السومرية تُستعمل حتى بعد إبطالها بوصفها لغة تخاطب ومكاتبات رسمية ولكن على نطاق محدود.[٢٣٩] وعلى الرغم من انتصار الأكَّادية، إلا أنها شُوِّهت بعد أن امتزجت بعناصر كثيرة من السومرية المغلوبة. كما أن تأثر الأكَّاديين بثقافة وآداب السومريين واستعمالهم لخطهم المسماري المطابق أصلاً لأصوات لغتهم وكذلك اختلاطهم بهم، قد أدى إلى أنهم فقدوا النطق السامي السليم لكلماتهم السامية بمرور الزمن. علاوة على أن لغتهم قد أضاعت كثيراً من الألفاظ السامية وغابت عنها الأصوات الحلقية والمفخمة شأنها في ذلك شأن بقية اللغات السامية الأخرى. ومثل اللغة الأكَّادية في ذلك كمثل اللغة العربية الفصحى في بلاد المغرب بعد أن تغلب العرب على الأمازيغ البربر حيث أخذت هذه

---

[٢٣٩] انظر: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٣٤؛ علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، ٣٧١-٣٧٣.

اللغة تتغير شيئاً فشيئاً بسبب اختلاط العرب بهم، وأخذت تتأثر باللغة البربرية تأثراً ظاهراً حتى تكوّنت من النطق المشترك لهجة جديدة بعيدة عن اللهجة العربية الصرفة.[٢٤٠]

ويضع علماء اللغة لهذا الصراع مراحل حيث تظهر في كل مرحلة عوامل ضرورية تساعد بصورة منفردة أو مجتمعة على إنحلال اللغة المغلوبة وتؤدي إلى زوالها، وهي العوامل التي تعكس قوانين الصراع اللغوي القاضية بحتمية تحقيق هذه المراحل والمتمثلة في: أن تكون لغة الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغته وأقوى منه سلطاناً وأوسع نفوذاً، وأن تدوم غلبته وقوته مدة كافية، وأن تقيم بصفة دائمة جالية مُعتمد عليها من أفراده في بلاد الشعب المغلوب حيث تعمل على الامتزاج بأفراد هذا الشعب، وأن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين.[٢٤١]

والمرحلة الأولى من هذا الصراع تطغى فيها مفردات اللغة المنتصرة، وتحل محل اللغة المقهورة شيئاً فشيئاً وتكثر هذه الكلمات أو تقل تبعاً للمقاومة التي تبديها اللغة واللهجة المهزومة.[٢٤٢] وخير مثال على ذلك ما حدث في الصراع اللغوي العبري – الآرامي منذ القرن الثامن قبل الميلاد حيث تعاظم نفوذ اللغة الآرامية خلال مرحلتها المبكرة (الآرامية القديمة) بتعاظم نفوذ أهلها في فلسطين وأصبحت لغتهم تنافس اللغة العبرية بين أقوامها (العبرية التوراتية). وكان انتشار اليهود بعد السبي البابلي في نواحي الفرات من الأسباب القوية التي أدت إلى انتشار اللغة الآرامية بين الطبقات اليهودية (الآرامية التوراتية المبكرة للكاهن عزرا)، ثم رسخت قدمها بينهم حتى شعر علماء اليهود

---

[٢٤٠] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٣، ٣٩، ٤٢؛ علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، ٣٧٣. وحول تأثير السومرية على الأكَّادية صوتياً ونحوياً وصرفياً ومعجمياً، انظر: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٤٠–١٦٢؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ١١٤–١١٥.

[٢٤١] انظر: علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، ٣٧٩.

[٢٤٢] مشتاق عباس معن، المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن (بيروت، ٢٠٠٢)، ٦٧؛ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ١٧٤–١٧٥.

وأحبارهم بالخطر المحدق بلغتهم القومية. فنشطوا إلى مقاومة اللغة الآرامية مقاومة شديدة وعملوا بكل الوسائل الممكنة لدفع خطرها عن لغتهم، وتكللت مساعيهم بالنجاح بعد رجوع اليهود من السبي البابلي في عام ٥١٦ ق.م إبان حكم قورش الأخميني. وأخذ اليهود يكوِّنون مرة أخرى مُلكاً عبرياً كان قليل الأهمية في بادئ أمره، ثم نما وعظم حتى كان يشمل كل فلسطين حين دخلها الاسكندر المقدوني في سنة ٣٣٣ ق.م. وظل تقدم اللغة العبرية حتى بلغ مكانة مرموقة في عصر المكابيين (العبرية الوسيطة المستخدمة حتى القرن الخامس الميلادي) والذي انتهى بالفتح الروماني سنة ٣٧ ق.م. وأخذت اللغة الآرامية حينذاك تتغلب شيئاً فشيئاً على عقلية اليهود حتى عمت كل بلاد فلسطين وتكونت فيها لهجة آرامية جديدة (الآرامية التوراتية المتأخرة والآرامية القمرانية وآرامية الترجوم المبكرة) والتي صار لها من القوة والنفوذ، وبسطت سلطانها في جميع أقسام البلاد وأضحت أقوى من اللغة العبرية الأصلية. وقد كانت هذه اللهجة في مجموعها عبارة عن الآرامية والعبرية، وأخذت الكلمات الآرامية صبغة عبرية في الوضع والنطق. وفقدت العبرية أغلب مميزاتها القديمة وتغير أسلوبها وتشوه نطق كثير من ألفاظها، وحل استعمال كثير من الألفاظ الآرامية محل الألفاظ العبرية مما أضطر أحبار اليهود إلى أن يدونوا تراجم التوراة بالآرامية التي أضحت لغة البحث والمجادلة في شرائع التوراة وتفسيرها.[٢٤٣]

ولعل اللغات العربية القديمة الشمالية (البائدة)، وأشهرها التدمرية والدادانية/اللحيانية والثمودية والصفوية، تدخل هي الأخرى ضمن هذه المرحلة لانعدام الروح العربية والأسلوب العربي فيها وتأثرها الكبير بالآرامية قبل خضوعها التدريجي للعربية الحجازية الفصحى. ويكمن سبب تأثر هذه اللهجات بالآرامية في أن قبائلها كانت تسكن على مقربة من حدود المنطقة التي حل بها الآراميون، بالإضافة إلى أن الآرامية كانت لغة

---

[٢٤٣] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٢٥–١٢٦؛ علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، ٣٧٦–٣٧٧. Huehnergard and Pat-El, Introduction to the Semitic Languages and their History, 5-6, 12, 14.

الكتابة والثقافة والتفاهم في معظم أنحاء الشرق الأدنى القديم منذ أواسط الألف الأول قبل الميلاد فصاعداً. ويبدو أنه كان هناك لهجة نبطية آرامية ممزوجة بالعربية نتيجة اختلاطهم باللحيانيين، ولم يكن هذا المزيج مفهوماً عند العرب فأطلقوا عليه "الرطانة النبطية" حيث حملت من سمات اللغة الأم (الآرامية) كثيراً من السمات، غير أن العربية قد فرضت عليها كثيراً من السمات التي بدت معها كما لو أنها بداية لعروبتها. وفي القرن الثالث والرابع الميلاديين كانت اللهجات العربية الشمالية المشوبة بالآرامية قد أخذت تتلاشى وتندمج في العربية الفصحى إلى أن تلاشت بصورة كبيرة.[٢٤٤]

وفي المرحلة الثانية تتغير مخارج الأصوات ويقترب النطق بها من النطق بأصوات اللغة الجديدة شيئاً فشيئاً، حتى تصبح على صورة تطابق أو تقارب الصورة التي هي عليها في اللغة المنتصرة، فيتصرف المغلوب تصرف الغالب في النطق بالأصوات. وبذلك تتسرب أصوات اللغة واللهجة الغالبة إلى اللغة واللهجة المغلوبة في طريقة نطقها ونبرتها ومخارجها، فينطق أهل اللغة واللهجة المغلوبة ألفاظهم الأصيلة وكذلك الكلمات الدخيلة المنتقلة إلى لغتهم، متخذين نفس المخارج ونفس الطريقة التي يسير عليها النطق في اللغة واللهجة الغالبة. وهذه المرحلة تعد أخطر مراحل الصراع اللغوي حيث يزداد فيها انحلال اللغة واللهجة المغلوبة، ويشتد قربها من اللغة واللهجة الغالبة.[٢٤٥] ويبرز ذلك من خلال رسوخ الآرامية مكان الفينيقية التي حملت كثيراً من الملامح الصوتية التي تميز الآرامية،[٢٤٦] علاوة على رسوخها مكان العبرية في أواخر القرن الأول قبل الميلاد رغم

---

[٢٤٤] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٣٦-١٣٧ ١٧٨، ١٧٨، ١٨٧-١٨٩؛ آمنة الزغبي، المرحلية اللغوية، ٤٠٦-٤١٠؛ نهاد حسن حجي الشمري، نظرية التأثير الآرامي في اللهجات العربية البائدة، دراسة سامية مقارنة، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة واسط، ج ٣، ع ٣٢ (٢٠١٩)، ٢٩-٣٣.

[٢٤٥] مشتاق عباس معن، المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن، ٦٧-٦٨؛ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ١٧٥.

[٢٤٦] حول هذه التحولات الصوتية في الفينيقية نتيجة تأثرها بالآرامية، انظر: آمنة الزغبي، المرحلية اللغوية، ٤٠٣-٤٠٦.

مقاومتها الشديدة لها ومحاولات أحبار اليهود الرامية إلى بث كرهها في نفوس شعبهم. ولكن الغلبة في النهاية كان للآرامية التي أرغمت العبرية على فقدان أغلب خواصها القديمة، واضطر كثير من اليهود يحترمون الآرامية ويقدسونها كما يقدسون لغتهم الأصلية. وبقي سلطانها عليهم إلى نهاية القرن السابع الميلادي إذ أخذت تضمحل بعد ظهور الإسلام، وظهرت اللغة العربية الفصحى بلهجتها الحجازية بمظهر القاهر لأمم الشرق الأدنى.[٢٤٧]

وفي المرحلة الثالثة تفرض اللغة المنتصرة قواعدها وقوانينها اللغوية الخاصة بالجمل والتراكيب، وبهذا تزول معالم اللغة المقهورة، وحينئذٍ تبدأ اللغة المنتصرة في إحلال أخيلتها واستعاراتها ومعانيها المجازية محل الأخيلة والاستعارات والمعاني للغة القديمة التي تموت شيئاً فشيئاً.[٢٤٨] وأقرب مثال على ذلك هو اللغة الآرامية التي سادت على بقية أخواتها الساميات الأخريات كونها لغة التخاطب والحضارة والعمران عند جميع أمم الشرق الأدنى.[٢٤٩] فضلاً عن اللغة العربية الفصحى في البلاد التي يفتحها العرب حيث كانت تتغلب شيئاً فشيئاً حتى يتم لها الفوز على اللغة الأصلية للأمة المغلوبة كما حدث ذلك في مصر والعراق والشام والمغرب. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن انتشار اللغة العربية في مصر على أثر الفتح العربي قد تم بصعوبة وبطء؛ لأن اللغة المصرية بلهجتها القبطية (الأفرو-سامية) كانت تقاومها مقاومة عنيفة، إلا أنها لم تصمد طويلاً بل أخذت تنهزم أمامها تدريجياً وتدهورت شيئاً فشيئاً. وقد آل أمرها في نهاية المطاف إلى اقتصار استخدامها في الصلوات بجانب العربية من قبل الكهنة والشمامسة بعد أن حُصرت في الأديرة والكنائس. ولعل الصدمة القوية التي أصابت القبطية كانت في سنة

---

[٢٤٧] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية،٩٦-٩٧، ١٢٥-١٢٦؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٧٢-٧٣.

[٢٤٨] مشتاق عباس معن، المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن، ٦٨؛ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ١٧٥.

[٢٤٩] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٣٤-١٣٥؛ علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، ٣٧٥-٣٧٧.

٧٠٦م حين أبطل الوليد بن عبد الملك استعمالها في الدواوين المصرية حيث كانت محتفظة بمكانها في تلك الدواوين إلى ذلك التاريخ.(٢٥٠) وهكذا قضت قوانين الصراع اللغوي بتغليب كفة المتفوق الغالب مدعوماً بشدة بأسه وكثرة نفوذه وإيمانه بقومية وقداسة لغته أمام ضعف واستسلام كفة المغلوب الذي افتقر إلى كل هذه المقومات.(٢٥١) حتى أنه كان من المنتظر أن تترك القبطية آثاراً كثيرة في اللغة العربية العامية بمصر، ولكن هذا لم يظهر كثيراً لا في المادة اللغوية ولا في أنواع التحريف والتغيير التي تميز العامية عن اللغة الفصيحة. فعلى الرغم من احتوائها على كلمات قبطية تعود معظم أصولها إلى اللهجات المصرية القديمة (القديمة والوسيطة والحديثة)،(٢٥٢) إلا أن اللهجة العامية المصرية مرتبطة فيما يبدو ارتباطاً شديداً باللهجات العربية الأصلية التي جاءت بها القبائل العربية من الجزيرة العربية. وبذلك تكون قد حافظت على اللسان العربي الفصيح أكثر من أخواتها في بلاد العراق والشام والمغرب حيث كثرت العناصر الأعجمية.(٢٥٣)

ولم يكن الدين غائباً عن ساحة الصراع اللغوي بين اللغات السامية، ولكن حضوره كان شديداً لدى أصحاب العقلية التوحيدية تجاه العقليات الوثنية أو تجاه بعضهم البعض. فكما أشرنا آنفاً أن العبرانيين قد اعتقدوا بقداسة وقدم لغتهم، وعمدوا إلى إخراج الكنعانيين من العائلة اللغوية السامية رغم يقينهم التام بقوة الروابط اللغوية والعرقية التي تجمع بينهم. وغالباً ما احتقر أحبارهم جيرانهم الساميين كالآدوميين والمؤابيين إلى حد أن جاء

---

(٢٥٠) انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٢٠-٢٢١.

(٢٥١) قارن: مبارك تريكي، فصول في اللسانيات الاجتماعية، ٩٥-٩٨.

(٢٥٢) للمزيد من التفاصيل عن الكلمات المصرية القديمة في العامية المصرية والتي تسربت إليها عبر آخر مراحلها اللغوية (اللهجة القبطية واللهجات المحمولة عليها كالصعيدية والبحيرية والفيومية والأخميمية)، انظر: عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ٣٢-٤٥؛ عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ٣٤٢-٣٤٣.

(٢٥٣) قارن: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٢٠-٢٢٣؛ علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، ٣٧٩.

على لسان أحدهم: "أن أهل أدوم يستحقون التحقير إذ لا آداب لهم ولا كتابة."[٢٥٤] كما تعصب أحبارهم للغتهم أيضاً ضد اللغة الآرامية التي كرهوها وسعوا إلى بث كرهها في نفوس قومهم حتى نُقل عن بعضهم كلمات في ذلك مذكورة في التلمود: "استعملوا العبرية أو اليونانية واحذروا من الرطانة الآرامية"، وكذلك: "لا يحادث الإنسان أخاه بلغة آرام".[٢٥٥] ولما فشلوا في تحقيق مسعاهم وحلت الآرامية محل لغتهم ودونوا تراجم التوراة بها، أقروا بعظمتها وذكروا أن آدم عليه السلام كان يتحدث بها حسب ما جاء في التلمود البابلي.[٢٥٦] وعندما اعتنقت العناصر الآرامية الديانة المسيحية لم ترض لنفسها اسم آرام إذ كان هذا اللفظ في التوراة يمثل جماهير الآراميين الوثنيين، وعلى ذلك ادّعوا أنهم سريان أي آراميون اعتنقوا المسيحية، وأصبحت لغتهم أداة للتبشير المسيحي، متخذين خطاً كتابياً خاصاً بهم والمعروف باسم الاسترانجيلي.[٢٥٧] ولا يختلف موقف المصريين المسيحيين كثيراً عن موقف الآراميين المسيحيين إذ هجروا بحلول القرن الرابع الميلادي خطوطهم الوثنية القديمة (الهيروغليفي والهيراطيقي والديموطيقي)، واقتبسوا للغتهم خطاً جديداً وهو القبطي المقتبس من الأبجدية اليونانية التي نالت شرف كتابة التوراة السبعينية وليبشروا به عهدهم الجديد.

كما اشتدت الاختلافات اللغوية في اللغة الآرامية وبرزت بروزاً واضحاً بعد ظهور النزاع بين النساطرة الخاضعين للدولة الفارسية واليعاقبة الخاضعين لحكم الرومان بفعل أحبار الطائفتين عقب انقسام الكنيسة المسيحية في نهاية القرن الخامس الميلادي. وهذا الاختلاف بين الفرقتين المتصارعتين قد امتد أيضاً إلى الخط الاسترانجيلي السرياني الذي أخذ عند كل فرقة يتجه اتجاهاً مختلفاً، فعُرف الأول بالخط النسطوري (أو الكلداني)

---

[٢٥٤] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٠٤.

[٢٥٥] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٩٦.

[٢٥٦] سنهدرين، ص ٣٨ ب.

[٢٥٧] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٤٦؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٧٣، ٧٥.

وعرف الثاني باسم السرتو (أو الماروني أو اليعقوبي).[٢٥٨] كما كان للدين دوره في الصراع اللغوي في السامية الحبشية حيث تشبعت اللغة الجعزية عبر صراعها الطويل بروح الديانتين اليهودية والمسيحية، وتسرب إليها الكثير من الاقتراضات اللغوية العبرية والسريانية واليونانية. ورغم سقوطها أمام الأمهرية السامية – الحامية التي حلت مكانها على المستوى الرسمي، إلا أن استعمالها استمر فقط في مجال التأليف والأدب لارتباطها بالأحباش المسيحيين ولكونها لغة الدين والكنيسة. وكان انتشار الإسلام في منطقة أكسوم التاريخية سبباً في مقاومة اللغة الأمهرية والمسيحية مقاومة شديدة لم تستطع معها الأمهرية أن تجد لها مجالاً هناك حيث يتكلم المسلمون اللغتين التجرينية والهررية وهما من بنات اللغة الجعزية، في حين يتكلم أكثرية المسيحيين هناك باللغة التجرية المحمولة على الجعزية أيضاً.[٢٥٩]

وهكذا أثمر الصراع اللغوي بين اللغات السامية عن انتصار اللغة العربية الفصحى التي فرضت سلطانها على بقية أخواتها الساميات، وتمكنت من توحيد منطقة الشرق الأدني في وحدة لغوية واحدة والتي ما زالت تنعم بها للآن. وإذا افترضنا جدلاً صحة المفهوم التوراتي باعتبار اللغة العبرية هي الأقدم، فإنها بنفس المفهوم قد فقدت أقدميتها وهيبتها حينما أصابتها اللعنة السماوية التي أدت إلى البلبلة اللغوية والتشتت البشري. وعلى النقيض من ذلك كانت اللغة العربية الفصحى التي آثرت أن تحذو حذو كبرى أخواتها الساميات خصوصاً الأكَّادية والآرامية من خلال سعيها إلى الانطلاق نحو العالمية وإفساح الطريق أمام حركة الترجمة لتحقيق توحيد الجموع المشتتة لغوياً وثقافياً.

---

[٢٥٨] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٤٨؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٧٥، ٨٧.

[٢٥٩] انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٢٦٥–٢٦٦؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٧٩–٨٠؛ آمنة الزغبي، فقه اللغة، ٢٤٢–٢٤٣. وللمزيد من التفاصيل عن انتشار الإسلام وانحساره في الحبشة والأثر المتبادل بين العربية واللغات الحبشية والصراعات الدينية اللغوية بين الإسلام والمسيحية هناك، انظر: محمد حامي الدين عبد الصمد، انتشار الإسلام في الحبشة، آثاره وأبعاده، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة جنوب أفريقيا (٢٠١٥).

وفي ضوء ما سبق وكذلك المعطيات التاريخية والحضارية التي شهدتها المنطقة، يمكننا تحديد العوامل وراء صعود اللغة العربية وترجيح كفتها المستمر في صراعها اللغوي طويل الأمد على النحو التالي:-

- نشأتها في أقدم موطن للساميين واحتفاظها بعناصر لغوية موغلة في القدم ورثتها من اللغة السامية الأصلية.
- تمتعها بالاستقلالية والانعزال بفضل موقعها الجغرافي الذي حماها بصورة كبيرة من محاولات التشويه والتحريف التي تميزت بها أخواتها الساميات جراء تجاورها واحتكاكها الحضاري ومسيرتها الطويلة في التمدّن والحضارة.
- تشبعها بروح القوة والفتوة النشطة والمؤثرة بفضل بلوغها أوج ازدهارها في القرنين الخامس والسادس الميلاديين وإنشائها أدباً وشعراً راقياً.
- تماسك ووحدة عصبيتها القومية واللغوية مقابل تآكل وانحلال العصبيات اللغوية والقومية للأمم السامية المجاورة جراء الهزات السياسية والاقتصادية المتعاقبة.
- التحولات الكبرى في السياسة الإقليمية والدولية وانعكاساتها الاقتصادية والدينية قبل الإسلام وانشغال القوى العظمى المتصارعة عن التغلغل والانتشار العربي في أطراف المنطقة الشمالية، ما دعا إلى تنامي الشعور العربي بضرورة الوحدة.
- خلخلتها ومزجها للغات واللهجات السامية الواحدة تلو الأخرى إلى أن تمكنت من تقويضها والإحلال مكانها.
- سعيها الدؤوب نحو توسعة ردائها اللغوي خلال مراحل مزج ودمج وهضم بقية اللغات السامية الوسطى (الجنوبية والشمالية والآرامية) حتى صارت لغة واحدة مما يفسر اشتمالها على كثير من عناصرها المعجمية والصوتية، فضلاً عن بعض الألفاظ الدخيلة اليونانية واللاتينية والفارسية المتسربة إليها عبر هذه اللغات.
- مواكبتها للانتشار التجاري العربي الواسع نتيجة تحكم أصحابها الحجازيين في الطرق التجارية البرية الممتدة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها.

- نزول القرآن الكريم بها الذي حافظ على ديمومتها وصاغ هيكلها اللغوي نحوياً وصرفياً ومعجمياً وصوتياً.
- عروبة وقومية الدعوة الإسلامية التي محت بقايا اللهجات السامية الأخرى الموجودة.
- مسايرتها للفاتحين المسلمين في جميع البلاد التي انتشروا فيها وبسطوا سلطانهم عليها.
- مرونتها وانفتاحها وهيبتها القاهرة وما نتج عن ذلك من استجابتها للتغيرات والتبدلات الخارجية أثناء نمو عقل أهلها وتقدمهم في الحضارة والمدنية.

عالمية اللغات السامية (الأكَّادية والفينيقية والآرامية)

ناقش عالم اللغويات الإنجليزي أوستلر في أحد مؤلفاته[٢٦٠] مسألة فكرة سعي البشرية منذ فجر تاريخها إلى إيجاد لغة كونية في سبيل التواصل والتفاهم المشترك وتجاوز محنة ولعنة برج بابل، وهي اللغة التي يُطلق عليها اصطلاح Lingua Franca الدال على اللغة المشتركة المتداولة إلى جانب اللغة الأم. وارتبط هذا الاصطلاح أساساً في العصر الحديث باللغة الفرنسية حين أضحت لغة الدبلوماسية الأوروبية إبان ازدهار ملكيتها وإمبراطوريتها، ثم استمرت كذلك حتى الحرب العالمية الثانية بعد أن انكمشت زعامة فرنسا ونفوذها بزمن طويل. ويستنتج أوستلر دخول عدد من اللغات العالمية الآن، وعلى رأسها بالطبع اللغة الإنجليزية، إلى المرحلة المعروفة لغوياً بالبرزخية،[٢٦١] علاوة على انحسارها وسيرها ببطء نحو مصيرها المحتوم كما حدث مع نظيراتها على مدى التاريخ الإنساني والتي كان من أشهرها في العالم القديم: الأكَّادية والفينيقية والآرامية

---

(٢٦٠) N. Ostler, The Last Lingua Franca: English Until the Return of Babel, (New York, 2010).

(٢٦١) تُسمي آمنة الزغبي هذه المرحلة اللغوية بالمرحلية، وتعتقد أن اللغة العربية الفصحى تمر بها في العصر الحديث بفعل تآكل دورها الحضاري والمخاطر الإقليمية والخارجية التي تجابهها كإثارة النعرات القومية الإقليمية ضد كل ما يمت للعرب بصلة والعولمة وتخلفها عن مواكبتها للثورة المعلوماتية وضعفها أمام اللغات الأخرى خصوصاً الإنجليزية. انظر: آمنة الزغبي، المرحلية اللغوية، ٤١١-٤٢٠.

والسنسكريتية والكوينية الهلينستية (اليونانية القديمة) واللاتينية الرومانية. كما يناقش الأسباب الذي دفعته إلى هذا الاستنتاج وأهمها التقدم الهائل في الترجمة الآلية وشدة انعكاس ذلك على جدوى تعلم واستخدام لغة ثانية بحيث ستكون اللغة العالمية المهيمنة في المستقبل هي لغة التقنية المعلوماتية. بالإضافة إلى اقتصار مجال هذه اللغات على استعمالها كلغات اتصال مشتركة وليس كلغات أم مما يجعلها عرضة للانحسار والزوال أمام بواعث القومية والوطنية التي ستتحكم يوماً في هذا المصير المحتوم. ومن المحتم أن الأجيال القادمة سوف تنظر إلى اللغات العالمية الحالية كونها من عاديات حضارات الأمم القديمة وموروثات ماضيها المجيد.

ومما لا شك فيه أن ثمة علاقة وطيدة بين اللغة العالمية والترجمة إذ تكشف الترجمة عن التراتبية الاجتماعية اللغوية وتحدد صفات أقواها وأشدها تأثيراً كالتميز والتفرد والتفوق والهيمنة في عالم السياسة والاقتصاد. كما أن اللغة العالمية تفرض سيطرتها اللغوية والحضارية في هذا المجال الترجمي حيث لا تهدف فقط من خلاله إثبات مكانتها اللغوية، بل أيضاً نشر ثقافة أصحابها. ولذا تصير الترجمة الوسيلة التي يتم عن طريقها التأكيد على قوة مكانة اللغة الغالبة ونقل ثقافتها إلى غيرها من اللغات والثقافات الأخرى. ولكن ذلك لا يقلل من أهمية دور الترجمة في مسألة التلاقح والانفتاح الثقافي باعتبارها الجسر الوحيد الذي تعبر من خلاله الأفكار والثقافات التي تعمل على تضييق الفجوة الحضارية بين الشعوب.[٢٦٢]

وانطلاقاً من فكرة الصيرورة اللغوية وحيوية اللغات العالمية وارتباط الترجمة الوثيق بها باعتبارها نافذتها التي تشع من خلالها على اللغات الأخرى، فقد شهدت منطقة الشرق الأدنى في عصورها القديمة ثلاث لغات عالمية قبل أن تأخذ اللغة العربية موقع الصدارة وتحتل بامتياز هذه المكانة العالمية إبان سيادة الحضارة الإسلامية. وهذه اللغات العالمية

---

[٢٦٢] للمزيد من التفاصيل عن سمات تفوق اللغة العالمية ومجالات هيمنتها عبر الترجمة والتفسيرات المتنوعة حيال ذلك، انظر: P. Casanova, La langue mondiale, traduction et domination, (Paris, Seuil, 2015).

الثلاث هي بالترتيب: الأكَّادية والفينيقية والآرامية. وتجدر الإشارة إلى أن تلك اللغات اتسمت بهوية لغوية واحدة وهي السامية مما يؤكد على تفوق عقلية أصحابها الساميين خلافاً لما تروّج له بعض المدارس الاستشراقية، وأن اللغة السامية ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه من عالمية إلا بفضل تميزها وتفردها وهيبتها وانتشارها الواسع. فضلاً عن أنها خضعت لمبادئ القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية سواء وقت بزوغها واكتساحها أو وقت موتها واندثارها. ولكن رغم اندثارها وإعادة إحيائها من جديد، فإنها لم تكن شحيحة في عطائها ولم تنفث فقط روحها الخلاقة في حضارات أصحابها للكشف عن أصالتها وعراقتها، بل بثت الحياة أيضاً في لغات لم تكن معروفة من قبل وأسدت للإنسانية خدمة كبيرة في إعادة اكتشافها ثانيةً بعدما أدت نفس الدور المجيد لحجر رشيد. فلغتان من هاتين اللغات السامية العالمية الثلاث وهما الفينيقية والآرامية كانتا بمثابة حجر رشيد جديد في فك طلاسم لغات غير معروفة من قبل كاللوفية والليكية واللوبية، ولا يزال الأمل معقوداً عليهما في حل رموز اللغتين الإتروسكية والليدية، وهو ما سنناقشه بمزيدٍ من التفصيل لاحقاً في الفصل التالي.

إن تاريخ الأكَّاديين الساميين في بعض أجزاء القسم الجنوبي من العراق يرجع إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، لكنهم رغم ذلك لم يظهروا بوصفهم قوة سياسية مهيمنة على الوضع السياسي إلا في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد عندما أسس سرجون الأكَّادي أو كيان سياسي كبير للعراقيين عامة وللساميين خاصة وهو الدولة الأكَّادية. وذلك يعني أن اللغة الأكَّادية كانت مستخدمة على نطاق محدود كلغة تخاطب بين تلك الأقوام السامية قبل تبوّئها السلطة السياسية التي مهدت لها طريقها إلى التدوين والانتشار. فأصبحت لغة البلاد الرسمية بجانب السومرية، واسُتخدمت في التخاطب والمكاتبات الرسمية والشخصية وتدوين النصوص التاريخية. وظل استخدامها ينمو ويتسع خلال العصور التاريخية البابلية والآشورية اللاحقة إلى الحد الذي مكّنها من قهر كل لغات الأقوام الأجنبية الغازية سواء من العيلاميين أو الجوتيين أو الكاشيين أو الحيثيين أو الحوريين. علاوة على غلبتها للعناصر الأمورية السامية التي انتشرت في

أنحاء العراق وخارجها أثناء النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، وكان من أشهرها مملكة ماري الأمورية في منطقة الفرات الأوسط. وهي المملكة المعروفة جيداً من خلال المحفوظات الملكية التي يعود معظمها إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، والتي لهج سكانها باللهجة البابلية القديمة المشتقة من الأكَّادية. وكما ذكرنا آنفاً في الفصل الأول، فقد انتشرت اللغة الأكَّادية بخطها المسماري انتشاراً واسعاً ليس فقط داخل بلاد النهرين، ولكن أيضاً في عدد من البلدان والأقاليم المجاورة والبعيدة مثل بلاد عيلام في جنوب غربي إيران وكبادوكيا في شرقي الأناضول. كما استخدمت أيضاً في عدد من المدن والممالك السورية القديمة وبخاصة في تدوين المعاهدات والاتفاقيات والمراسلات الدولية في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد. وتقدم رسائل تل العمارنة أروع الأمثلة على انتشار استخدامها بخطها المسماري في بلدان الشرق الأدنى القديم حيث دُونت بهما تلك الرسائل التي أرسلها كبار ملوك الشرق القديم إلى الملك المصري أمنحوتب الثالث وابنه أمنحوتب الرابع أخناتون.[٢٦٣] وكان المترجمون الملكيون في البلاطات الملكية بما فيها البلاط المصري يقومون بترجمتها إلى لغتهم المحلية قبل عرضها على ملوكهم، ثم يجيبون عليها بالأكَّادية وخطها المسماري.[٢٦٤]

ولعل استخدام اللغة الأكَّادية في المراسلات الرسمية الدولية بين ملوك وحكام الشرق الأدنى القديم في ذلك التاريخ المبكر دليل قاطع على احتلالها مركزاً مرموقاً وبارزاً بين لغات الشرق الأدنى القديم على الرغم من عدم وجود قوة سياسية أو عسكرية تدعم انتشارها أو استخدامها لا في بلاد بابل ولا في بلاد آشور. فقد كانت بلاد بابل ترزخ آنذاك تحت نير الاحتلال الكاشي، بينما كانت بلاد آشور وقتذاك أضعف من أن تفرض لغتها (الأكَّادية بلهجتها الآشورية) على الأقطار الأخرى خارج حدودها الأصلية. ويشير ذلك إلى أنها كانت أشبه باللغة الدبلوماسية التي يتفاهم بواسطتها الحكام والملوك الذين

---

[٢٦٣] عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٩٣-١٠٤؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٣٤- ٣٥؛ عيد مرعي، اللسان الأكدي، ٣١-٣٣.

[٢٦٤] Bryce, Letters of the Great Kings, 56, 224-225, 226.

يتكلمون لغات محلية مختلفة بعضها عن بعض وكذلك يستخدمون أنظمة كتابية متباينة.[٢٦٥] ولكن هذا لا يجردها من أهمية القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية والحضارية وراء عظمة انتشارها وخطها المسماري في بداية انطلاقها نحو العالمية. ويبرز ذلك بجلاء خلال فترة المجد السياسي والتوسع الخارجي للدولتين الساميتين السرجونية والحمورابية حيث كانت الأكَّادية بخطها المسماري تساير أصحابها خطوة خطوة في جميع البلاد التي انتشروا فيها وبسطوا سلطانهم عليها. فالملوك الأكَّاديون والبابليون وكذلك الآشوريون قد بذلوا كل جهودهم من أجل المحافظة على طرق التجارة المؤدية إلى شمال غرب إيران وجنوب شرق الأناضول وسوريا، ولتحقيق هذا الهدف الاقتصادي قادوا العديد من الحملات لتأمين الطرق التجارية. كما تشير آلاف النصوص المسمارية المدونة باللغة الأكَّادية (اللهجة الآشورية القديمة) المكتشفة في إقليم كبادوكيا شرقي الأناضول إلى تأسيس مستوطنات تجارية آشورية ربما على غرار نظيراتها الأكَّادية وسط آسيا الصغرى، وكان ذلك خلال العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م). وتمثل مستوطنة كاروم كانيش (كول تبة الحالية) أهم وأوسع مراكزها، والتي كانت على هيئة دويلة مدينة تتوزع حواليها مراكز أخرى. واستمر نشاط هذه المستوطنات حتى زوال النفوذ السياسي الآشوري وظهور الحيثيين.[٢٦٦] بالإضافة إلى الحضور الحضاري السومري القوي وعظمة انتشاره في بعض المناطق المجاورة خصوصاً الجزء الشمالي من الإقليم السوري حيث انتشرت الكتابة المسمارية والثقافة السومرية. وهذا ما ساعد بالطبع على انتشار اللغة الأكَّادية هناك بعدما أصبحت اللغة الرسمية في بلاد النهرين خلال حكم الدولة الأكَّادية في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد. وما يبرهن على ذلك أرشيف إيبلا المؤرخ قبل تأسيس الدولة الأكَّادية حيث عُثر فيه على نصوص دينية وأدبية ذات

---

[٢٦٥] عامر سليمان، اللغة الأكدية، ١٠٣-١٠٤.

[٢٦٦] للمزيد من التفاصيل عن المراكز التجارية الآشورية بوسط آسيا الصغرى خلال العصر الآشوري القديم، انظر: محمد عبد اللطيف علي، المراكز التجارية الآشورية بوسط آسيا الصغرى في العصر الآشوري القديم (من أواسط القرن العشرين إلى أواسط القرن الثامن عشر ق.م)، (الإسكندرية، ١٩٨٤). وكذلك: L.L. Orlin, Assyrian Colonies in Cappadocia, (Paris, 1970)

صبغة سومرية ومكتوبة باللغتين السومرية والإيبلوية بالخط المسماري.[٢٦٧] وهكذا وجد الساميون العراقيون الأرض ممهدة داخل وخارج بلاد النهرين لتعزيز هذا التراث اللغوي والأدبي والتشريعي السومري من خلال حفظه وترجمته إلى لغتهم الأكَّادية السامية مما جعل منها لغة عالمية.

ولم تكن الغريمة اللغوية الرئيسية للغة الأكَّادية هي لغة إحدى الأقوام الأجنبية الغازية، بل كانت شقيقتها الآرامية السامية بخطها الأبجدي البسيط والتي كان انتشارها وتعاظم نفوذها في معظم أنحاء الشرق الأدنى القديم إيذاناً بزوال الأكَّادية وانحصار استخدامها. ويعود آخر نص أكَّادي تم العثور عليه إلى أواخر القرن الأول الميلادي (العام ٧٦ م)، ومنذ ذلك الحين دخلت في طي النسيان لمئات من السنين إلى أن تم الكشف عنها ثانية في العصر الحديث.[٢٦٨]

وعلى الرغم من أن اللغة الفينيقية هي ثاني اللغات العالمية السامية، إلا أنها تحتل المرتبة الأولى من بين اللغات العالمية المتداولة في حوض البحر المتوسط على مدى التاريخ الإنساني وهي حسب الترتيب: الفينيقية واليونانية واللاتينية والعربية، والفرنسية، وحالياً الإنجليزية.[٢٦٩] فقد اجتازت هذه اللغة مع أصحابها الفينيقيين الحدود القومية وسايرتهم خطوة بخطوة في جميع المناطق البحرية والبرية التي انتشروا فيها وبسطوا سلطانهم عليها، وساعدهم في تحقيق ذلك ذكاء وبراعة التجار الفينيقيين في كسب ود وصداقة السكان المحليين، وتدفق المهاجرين الفينيقيين بأعداد كبيرة وسرعة اندماجهم مع السكان الأصليين. فضلاً عن أنه نتج عن توسع وانتشار التجارة الفينيقية وأصحابها

---

[٢٦٧] عدنان البني، الكتابة المسمارية وإبلا، مجلة التراث العربي، ع ٤، (دمشق، ١٩٨١)، ٢٢-٣٠.

[٢٦٨] عامر حسين، اللغة الأكدية، ٩٩، ١٠٠؛ عيد مرعي، اللسان الأكدي، ٣٣.

[٢٦٩] انظر: .Ostler, The Last Lingua Franca, 128-130, 131 وحول المكانة اللغوية العالمية للفينيقية ولهجتها البونية (الفينيقية الغربية) خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، انظر: M.G , Amadasi Guzzo , Phoenician-Punic. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Ancient Near East, E.M. Meyers (edit), Vol 4, (Oxford, 1997), 317-318; C.R. Krahmalkov, Phoenician-Punic Dictionary, (Leuven, 2010), 10-11.

المهاجرين أن سادت لغتهم وطغت على لغة السكان الأصليين الذين استقبلوا مع بضائعهم لغتهم وثقافتهم، فتغذت البطون بالمنتجات وتغذت الألسن بالألفاظ على حد سواء.[٢٧٠] وهكذا تميز الفينيقيون عن غيرهم من الشعوب السامية الأخرى بالملاحة، وكانوا أول أمة بحرية مارست الملاحة في أعالي البحار مما ساعدهم على نشر ثقافتهم وخطهم الأبجدي الذي اقتبسه منهم اليونانيون لاحقاً وأدخلوا عليه بعض التعديلات لتلائم أصوات لغتهم. ومن هذا الخط اليوناني المُطوّر اقتبس الرومان حروفهم اللاتينية التي اشتقت منها أبجديات اللغات الأوربية المعاصرة، وكان ذلك من خلال الإتروسكيين الذين كانوا يمثلون همزة الوصل بينهم وبين اليونانيين. وانتشرت النصوص الفينيقية خارج بلاد الشام في أماكن كثيرة من العالم القديم حيث عثر عليها في آسيا الصغرى ومصر واليونان وشبه جزيرة إيبريا (إسبانيا) وقبرص وصقلية وشبه الجزيرة الإيطالية وسردينيا ومالطة ورودس وجزر الباليار وشمال أفريقيا حيث سادت لهجتها البونية واكتسحت غربي المتوسط.[٢٧١]

والعوامل التي دفعت الفينيقيين إلى التوسع في حوض البحر المتوسط لم تقتصر على عامل واحد وإنما شملت مجموعة متشابكة من العوامل السياسية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية. فالصراع السياسي والعسكري الذي كانت تخوضه الدول الكبرى المجاورة لمنطقة الساحل الفينيقي كالمصريين والحيثيين والآشوريين كان يهدف إلى الهيمنة واستغلال موارده الطبيعية. فقد حفلت المناطق الجبلية الساحلية بغابات متسعة من أشجار الأرز والصنوبر التي استغلها أهلها في ممارسة الملاحة البحرية على نطاق واسع، وضمنوا بها موارد تجارية ضخمة مع جيرانهم، إلا أن غناها النسبي هذا بمواردها الطبيعية جعلها مناطق إغراء لهم للسيطرة الاقتصادية والسياسية عليها. كما أن قلة

---

[٢٧٠] قارن: مبارك تريكي، فصول في اللسانيات الاجتماعية، ٩٨.

[٢٧١] J. A. Hackett, Phoenician. In: Concise Encyclopedia of Languages of the World, K. Brown, S. Ogilvie (eds), (Oxford, 2009), 854. وعن الكتابة واللغة البونية وانتشارهما، انظر: فاطمة لواتي، الآثار اللغوية الفينيقية والبونيقية، ٨٠–٨٩.

مساحة الأراضي الزراعية في تلك المنطقة وامتدادها الطويل على البحر المتوسط حيث ازدهرت موانئ طبيعية وأحواض لبناء السفن التجارية، كان له أثره في توجيه نشاط أهلها وجهة بحرية وتجارية وقيامهم بدور الوسيط التجاري بين بعض المناطق الداخلية في غرب آسيا وجزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط من ناحية، وبين سواحل أفريقيا الشمالية من ناحية أخرى.[٢٧٢] علاوة على نهجها السياسي السلبي الذي أدى إلى الانقسام الداخلي وكثرة النزاعات والتنافس على الزعامة وذلك من خلال عدم قدرتها على الوحدة واتباعها نظام دويلة المدينة.[٢٧٣] ناهيك عن تباين ولائها السياسي وتبعية سكانها للقوى العظمى آنذاك إذ كانت مناطقها الساحلية الغربية ومناطقها الجنوبية مع المصريين، في حين كانت مناطقها الشرقية والشمالية الشرقية في صف القوى السياسية في بلاد النهرين، ودانت بعض مناطقها الشمالية للهيمنة الحيثية.[٢٧٤] أضف إلى ذلك الصراعات الداخلية التي كانت سائدة بين الأموريين والآراميين والعبرانيين في منطقة سوريا الداخلية مما أثر سلباً على السكان وأدى إلى تزايدهم[٢٧٥] في الساحل الفينيقي بما لا يتناسب مع مساحته ومقدراته، ونجم عنه تفشي الاضطرابات الاجتماعية والسياسية[٢٧٦] وتمزيق شمل سكانه وإجبار بعضهم على الهجرة الخارجية.[٢٧٧]

---

[٢٧٢] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج ١، ١٧-١٨؛ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط (بيروت، ١٩٨٢)، ٤٢-٤٦، ٤٨.

[٢٧٣] محمد بيومي مهران، المغرب القديم (الإسكندرية، ١٩٩٠)، ١٦٣-١٦٤؛ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، ٥٠؛ محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ٢١٦-٢٢١.

[٢٧٤] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، ١٧-١٨؛ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، ٤٢-٤٥.

[٢٧٥] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القيدم، ج١، ١٨. محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ١٧٢؛ محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ٢١٦-٢١٧.

[٢٧٦] من هذه الاضطرابات السياسية التي كان لها أثر في الهجرة الخارجية الصراع السياسي الذي شب في مدينة صور في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد بين حزبين ينتميان إلى بيت حكم واحد. ويتكشف هذا الصراع من خلال الخلفية التاريخية التي تنطوي عليها أسطورة الملكة عليسة التي عانت من ظلم أخيها وشريكها في الحكم بجماليون الذي قتل زوجها الكاهن وطمع في الانفراد بالحكم مما دفعها للهرب مع

ويمكن تأريخ بداية المرحلة الأولى للتوسع الفينيقي في حوض البحر المتوسط بالقرن الثاني عشر قبل الميلاد[٢٧٨] عندما تغيرت الأوضاع السياسية في منطقتي بلاد اليونان والشرق الأدنى القديم عقب موجات غزو شعوب البحر المدمرة لدول وممالك ودويلات المنطقة الواقعة في آسيا الصغرى والساحل السوري الفلسطيني. فقد تمكن الغزاة من إسقاط البحرية الإيجية المسيطرة على تجارة البحر الإيجى، وكذلك تدمير الإمبراطورية الحيثية وتهديد الإمبراطورية المصرية التي بدأت في الاضمحلال والانكماش مما أدى إلى استقلال مدن الساحل الفينيقي وانطلاقها إلى إنماء حركة تجارتها البحرية الخارجية وتأسيس مدن فينيقية بزعامة صيدا وصور.[٢٧٩] وإذا كان الفينيقيون تمكنوا خلال مرحلتهم التوسعية الأولى من إقامة مدن ومحطات ومراكز تجارية وربطها بالمدينة الأم لغوياً وثقافياً واقتصادياً وروحياً، فإنهم نجحوا أيضاً بزعامة صور فقط خلال مرحلتهم الثانية الاستيطانية والمؤرخة بالقرن العاشر قبل الميلاد في تحويل محطاتهم ومدنهم ومراكزهم التجارية إلى مستوطنات. كما نجحوا أيضاً في توسيع نشاطهم الاستيطاني في غربي البحر المتوسط وكان من أهمها تأسيس مدينة قرطاجة عام ٨١٤ ق.م، واسمها الفينيقي هو "قرت حدشت" بمعنى "القرية (أي المدينة) الحديثة" تمييزاً لها عن المدينة القديمة أوتيكا (ومعناها عتيقة، أي القديمة، ويؤرخ تاريخ تأسيسها بالعام ١١٠١ ق.م).[٢٨٠]

أنصارها إلى شمال أفريقيا حيث أسست مدينة قرطاجة. محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، ٥٢؛ محمد بيومي مهران ١٨٢-١٨٣؛ فرانسوا ديكريه، قرطاجة، ٥٤-٦٠.

(٢٧٧) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، ٥٠-٥٢.

(٢٧٨) قارن: W.F. Albright, New Light on the Early of the Phoenician Colonization, BASOR, 82 (1941), 14-22; R. Carpenter, Phoenicians in West, AJA, 62 (1958), 35-53.

(٢٧٩) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، ٦٥-٦٧، ٨٢-٩٦؛ محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ١٧٣

(٢٨٠) E.O. Forrer, Karthago wurde erst 673-663 v. Chr. gegründet, in; Der Festschrift für Franz Dornseiff,(Leipzig, 1953), 85-93. وحول الآراء المتباينة حول تأريخ تأسيس قرطاجه

وانتهزت مدينة قرطاجة الفينيقية فرصة انحطاط المدن الفينيقية الأم وسقوطها تارة في يد الآشوريين وتارة أخرى في يد البابليين الكلدانيين لتتزعم العالم البوني (الفينيقي الغربي) والسيادة البحرية والسياسية في غربي البحر المتوسط. وبذلك صارت امبراطوريتها تمتد من خليج سرت بليبيا شرقاً حتى شواطئ المحيط الأطلنطي غرباً، كما ضمت إليها سواحل كل من أيبريا والباليار وسردينيا، وكذلك جنوب غربي صقلية. ولكن تعاظم نفوذها وازدهار اقتصادها كان من بين الأسباب الرئيسية التي جعلت كل من اليونانيين والرومان لا ينقمون على سكانها ويحاربونهم فقط، بل طالت نقمتهم وعداوتهم أيضاً كل الفينيقيين مما أدى إلى اضمحلالهم وانحسار نفوذهم التجاري واللغوي. فقد تبدلت أحوال الفينيقيين الشرقيين وأخذوا في الانحطاط شيئاً فشيئاً نتيجة تحالفهم مع الفرس الأخمينيين ضد اليونانيين الذين أخضعوهم طوال الفترة الممتدة بين ٣٣٣-٦٤ ق.م والتي تشمل حكم الإسكندر الأكبر وخلفائه السلوقيين.[٢٨١] ولم يقف سير الانحطاط فيهم بعد انقضاء ذلك العصر بإعلان القائد الروماني بومبي سوريا ولاية رومانية عام ٦٤ ق م، بل استمر الانحطاط فاشياً بينهم في العصر الروماني أيضاً. وكان أمر قرطاجة قد انتهى على يد الرومان الذين أقدموا على تدميرها وحرقها سنة ١٤٦ ق.م، ثم أجروا المحراث في أرضها حتى لا تنهض مرة أخرى.[٢٨٢] لكن الحضارة اليونانية والقوة الرومانية لم تستطع أن تقضي على لغتهم بل ظلت قوية وظاهرة، وكانت القبائل الآرامية خلال هذين العصرين الهلينستي والروماني قد زادت من قوة انتشارها في كل بلدان الشرق الأدنى القديم، وظل الفينيقيون يقاومون النفوذ الآرامي إلى حوالي القرن الأول الميلادي فابتلعهم نهائياً ذلك البحر المتلاطم.[٢٨٣] أما في الشمال الأفريقي فقد ظلت الفينيقية

وترجيح تاريخ ٨١٣/٨١٤ ق.م أو على الأقل في فترة قريبة منه بناءً على الأدلة الأثرية والتاريخية، انظر: أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة (تونس، ١٩٩٣)، ٩-٢٩.

[٢٨١] انظر: مفيد رائف العابد، سورية في عهد السلوقيين: من الإسكندر إلي بومبيوس (٣٣٣-٦٤ ق.م)، (دمشق، ١٩٩٣).

[٢٨٢] Carpenter, Phoenicians in the West, 35–53.

[٢٨٣] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٥٩.

بلهجتها البونية مستعملة حتى القرن الرابع الميلادي،[٢٨٤] ولم ينس السكان المنحدرون من أصل فينيقي أصولهم الأسيوية الفينيقية السامية بعد ستة قرون من دمار قرطاجة إذ ذكر القديس أوجسطين: "إذا سألنا فلاحينا عن أصولهم، أجابوا بالبونية: "شنعاني" (كنعاني)".[٢٨٥] كما لا يزال الطوارق يستخدمون في أمازيغيتهم حتى الآن تسمية "تيفيناغ" للدلالة على أبجديتهم والتي لا تمثل سوى الصيغة المتبربرة لكلمة فينيقي لاشتقاقها من التسمية اللاتينية "فونيق" أو "بونيق" التي أطلقها الرومان على الفينيقيين الغربيين، والتي جاء منها تسمية بونيقيين أو بونيين في المصادر الكلاسيكية. وبإطلاق الطوارق هذه التسمية على أبجديتهم البربرية، فإنهم في الحقيقة، ومن دون دراية ووعي منهم، يُسمّونها باسم من أُخذت عنهم هذه الحروف وهم الفينيقيون مما يؤكد على حقيقة اقتباسها من الأبجدية الفينيقية.[٢٨٦]

أما آخر اللغات العالمية السامية في تاريخ الشرق الأدنى القديم فهي الآرامية التي تقارب مكانتها اليوم مكانة اللغة الإنجليزية، والتي نافست بقية أخواتها الساميات بالمنطقة (الأكَّادية والفينيقية والعبرية) وحلت محلهن، وعجزت عن قهرها اللغتان اليونانية واللاتينية، إلا أنها تراجعت وانحسرت في نهاية المطاف أمام اللغة العربية التي تغلبت عليها في القرن السابع الميلادي. وظلت هذه اللغة محافظة على تفوقها وسيادتها طوال الفترة الممتدة بين ٦٠٠ ق.م حتى ٧٠٠ م حيث انتشرت بأبجديتها البسيطة آنذاك انتشاراً واسعاً لا نظير له من قبل، وامتد نطاق انتشارها غرباً في مصر والحبشة وشرقاً في آسيا الصغري وشبه القارة الهندية. والآرامية وأبجديتها البسيطة لا تمثل فقط الإرث الحضاري الرئيسي للآراميين الساميين والذي يفوق بكثير مجال نفوذهم السياسي، بل يتجاوز ذلك ليشمل معظم الإرث الفكري والثقافي والروحي المشترك للعالم القديم والحديث والذي قامت

---

[٢٨٤] Hackett, Semitic Languages , 933.

[٢٨٥] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين أحمد عزو، (دمشق، ١٩٩٦)، ١٧.

[٢٨٦] محمد المختار العرباوي، الكتابة البربرية اللوبية: التيفيناغ، ما حقيقتها؟ المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، ع ٥١ (٢٠٠٠)، ٩٢-١٠٢.

بإنجازه وتكوينه شعوب غير آرامية. فبالإضافة إلى اتخاذها لغة رسمية لولايات الإمبراطوريات المتعاقبة بالمنطقة: الآشورية الحديثة (منذ القرن الثامن قبل الميلاد) والبابلية الكلدانية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) والفارسية الأخمينية (٥٣٨-٣٣٣ ق.م)، فقد كانت الآرامية لغة التخاطب الأولى وكذلك لغة الكتابة الأدبية والتفاهم المشترك بين شعوب المنطقة خلال الفترة التكوينية للمسيحية واليهودية التلمودية حيث كُتبت وتُرجمت كافة مؤلفاتهم بالآرامية وبإيعاز منها. كما أن التقليد اليهودي اعتبرها اللغة التي تكلم بها آدم، وربما كانت اللغة الأم التي نطق بها المسيح والعديد من الحاخامات التلموديين، وكذلك المصلح الديني ماني، مؤسس المانوية، في القرن الثالث الميلادي.(٢٨٧) وكان الملك البوذي أسوكا، ثالث الملوك الموريين وموحد معظم الهند في ظل حكمه، قد اختارها في القرن الثالث قبل الميلاد ضمن ثلاث لغات، السنسكريتية والآرامية واليونانية، لكتابة ونشر مراسيمه ثلاثية اللغة إثر اعتناقه البوذية حيث حض فيها شعبه على العيش بسلام وممارسة الورع البوذي.(٢٨٨) علاوة على أنها أصبحت اللغة الروحية للكنيسة السريانية السورية والطائفة المندعية، وكذلك كانت لغة النبطيين وكل القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية. ولم يكن اختيار الآشوريين والبابليين ومن بعدهما الفرس الأخمينيين لهذه اللغة لتكون لغتهم الدولية الرسمية اختياراً عشوائياً، بل كان من منطلق طبيعي يكشف عن نظرتهم البرجماتية في تيسيير إدارة إمبراطورياتهم والتحكم في زمام أمورها نظراً لانتشارها الواسع وبساطة أبجديتها مقارنة بالكتابتين المسمارية السومرية والمسمارية العيلامية المعقدتين. وظلت اللغة الآرامية تحتل هذا المركز الهام إلى أن

---

(٢٨٧) Chul-hyun Bae, Aramaic as a Lingua Franca during the Persian Empire (538-333 B.C.E), Journal of Universal Language 5 (2004), 1-20.

(٢٨٨) J. Assmann, Translating Gods: Religion as a Factor of Cultural (Un)Translatability. In: Translatability of Cultures Figurations of the Space Between, S. Budick, W. Iser (eds.), (Stanford, 1996), 27.

نافستها اللغة العربية الفصحى وحلت محلها، إلا أنها لم تندثر تماماً إذ لا تزال مستخدمة حتى الوقت الحاضر في بعض المناطق المتفرقة الموجودة في سوريا والعراق وإيران.[٢٨٩]

الساميون وحفظ وترجمة التراث الإنساني

كانت الهجرة السامية الرابعة والأخيرة، وهي الهجرة العربية، في القرن السابع الميلادي انبعاثاً حضارياً للعقلية السامية في الترجمة وحفظ التراث إذ اتصفت هذه العقلية على مدى تاريخها بالانفتاح والامتزاج الحضاري وقبول الآخر وحفظ وترجمة التراث الإنساني منذ انتقالها من مرحلة البداوة المطبوعة بطابع الصحراء الخشن إلى مرحلة المدنية والحضارة المصبوغة بصبغة التمدّن والعمران الراقي. ونظراً لأن الحضارة السامية مولودة جميعاً من رحم واحد، فقد ورثت الحضارة العربية صفات وخصائص أسلافها من الساميين المتمدنين حيث نهجت نهجهم بحفظ وترجمة التراث الذي يمثل نتاج العقلية السامية منذ الألف الثالث قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي. وإذا كانت الحضارة العربية قامت بتكييف ما ورثته من تراث سامي قديم ممزوجاً بالتراث اليوناني بصورة مختلفة تتناسب ونسيجها العقلي والفكري، فالشعوب السامية القديمة قد فعلت نفس الشيء أيضاً إذ كانت تقوم بمواءمة وتعديل وتطوير ما كانت تقتبسه وترثه تبعاً لقانون النشوء والارتقاء الفكري والعقلي الدافع لحركة التاريخ وصيرورته. فلم تكتف العقلية السامية يوماً بنهج النقل والإعادة والتكرار الذي من شأنه أن يخلق عالماً من الجمود والثبات، بل كان لكل منها طابعه الخاص وبصمته البارزة فيما يقتبسه ويترجمه، وترتب على ذلك تعدد وتنوع ورسوخ مشاربها الفكرية والعلمية وانتشارها انتشاراً واسعاً. والجدير بالذكر أن المراكز الحضارية التي حافظت على التراث الشرقي القديم ومزجته مع التراث اليوناني والتي ارتكزت عليه حركة الترجمة المحمومة في الحضارة العربية السامية، هي في الأصل مراكز سامية شرقية محضة مثل الرُّها وحرَّان. وهكذا انبثقت كل الحضارات

---

[٢٨٩] Chul-hyun Bae, loc.cit.

السامية من ذات الينبوع العقلي السامي الواحد ونهلت من روحة الفياضة المتدفقة، وكان من بين ما تميزت به في مسيرتها الحضارية حفظ وترجمة التراث الإنساني.

وينبغي ألا ننسى أن مسألة حفظ وترجمة التراث مرهون باختراع الكتابة الذي لعب دوراً محورياً في الحضارات العالمية عامة والسامية خاصة نتيجة معرفتها المبكرة بها وأسبقيتها في ابتداع النظام الأبجدي على يد الأوجاريتيين والفينيقيين. ويمثل هذا النظام الأبجدي على الأرجح أصل جميع الأنظمة الأبجدية الألفبائية المستخدمة في العالم لتدوين اللغات الإنسانية القديمة والحديثة. ونجح الآراميون لاحقاً في تطوير الأبجدية الفينيقية وصار لها شكلاً مبسطاً مما ساعدها على اعتلاء مكان الصدارة في حفظ وترجمة التراث الشرقي على المستوى الثقافي العام والخاص. فالكتابة هي العامل الوحيد الذي يحقق عملية نسخ وحفظ وترجمة النصوص، وهي العملية الفكرية التي لا تحمل المعرفة المعيارية والتكوينية فحسب، بل تعمل أيضاً على تكوين ونقل الهوية الثقافية على امتداد الأجيال المتعاقبة، وكذلك تشكيل العمود الفقرى الممتد عبر التاريخ أو البنية الضامة للمجتمع. علاوة على أن الكتابة هي عامل فصل وربط في آن واحد بين عنصري الذاكرة الثقافية وهما: الجديد والقديم، والقدامة والحداثة؛ لأنها تحافظ على الماضي والحاضر معاً إذ تتيح الرجوع إلى النصوص والأفكار السالفة وتمهد السبيل للتغيير والتطوير والإبداع فيها. وبالإضافة إلى الكتابة، فإن التطور الفكري يتطلب عاملين جوهريين آخرين وهما الخطاب ومستوى محدد من الحرفية المهنية، إلا أن الكتابة وحدها كفيلة بتوفير هذين العاملين وتضمن استمرارية وجودهما، فضلاً عن كونها تمثل الوسيلة الحصرية التي تقوم بتيسير الوصول إليهما. وبينما يهدف الخطاب إلى إيجاد مرجعية خاصة بحيث تكون محل نقاش مستمر من قبل الأجيال المتعاقبة، فإن الحرفية المهنية تتمحور حول الكتبة والمثقفين المختصين بمباشرة المساجلات والمناقشات الفكرية حيال فاعلية وأهمية التراث المحفوظ وترجمته.[٢٩٠]

---

(٢٩٠) انظر: Assmann, From Akhenaten to Moses, 57-58, 85-86,

لقد أظهرت الدراسات اللغوية والحضارية ثلاثة أمور مهمة حول علاقة الساميين العراقيين (الأكَّاديون والبابليون والآشوريون) بالسومريين على الصعيدين اللغوي والثقافي. فمن ناحية كانت نظرتهم تجاه اللغة السومرية إيجابية بدليل تعايشها مع اللغة الأكَّادية جنباً إلى جنب طوال الألف الثالث قبل الميلاد باعتبارهما يمثلان لغتي تخاطب وتدوين أحياناً. وبالرغم من إبطال استعمال السومرية كلغة تخاطب وتدوين منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد، إلا أن الكتبة الساميين العراقيين ظلوا يواظبون على إتقانها وتعليمها لتلاميذهم ويستنسخون نصوصها جيلاً بعد جيل وحتى العصور الآشورية المتأخرة بعد أكثر من ألف وخمسمائة سنة من تاريخ توقف استعمالها.[٢٩١] فقد كانت اللغة السومرية تمثل لغة الدين والأدب والتعليم في كافة المدارس التعليمية البابلية والآشورية على حدٍ سواء، وبذلك كان ينبغي على الطلاب تعلم مفرداتها والإلمام بها عند دخول المدرسة، حتى أن معرفتها وإجادتها كانتا مبعث تفاخر الملوك بجانب تحدثهم بلغتهم الأكَّادية السامية.[٢٩٢] كما حافظ الكتبة على المؤلفات السومرية وترجموها إلى الأكَّادية حتى نهاية استخدام الكتابة المسمارية أواخر الألف الأول قبل الميلاد،[٢٩٣] فضلاً عن تخصيص كاتب للغة السومرية حمل اللقب الأكَّادي "طبشر شُمِير" أي كاتب اللغة السومرية.[٢٩٤] وقد عُثر على العديد من النصوص المدرسية الدينية المنسوخة عن نصوص سومرية سابقة لها، وكذلك النصوص المنسوخة من قبل الكتبة أنفسهم والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين أولهما نصوص تذكارية ملكية للعديد من الملوك السومريين، وقسم آخر يتضمن النصوص الأدبية كالملاحم والأساطير والأناشيد والصلوات.[٢٩٥]

---

[٢٩١] انظر: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٣، ١٩-٢٠، ٣٠، ١١٣-١١٦؛ عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٤١-٤٤، ٩٥-٩٦.

[٢٩٢] خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١١٥.

[٢٩٣] عامر عبد الله الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، (دمشق، ٢٠٠٥)، ٤٨.

[٢٩٤] عامر الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، ٩٣.

[٢٩٥] انظر: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٢٧.

ويتمثل الأمر الثاني في اتساع رقعة التدوين باللغة الأكَّادية نتيجة ظهور حركة واسعة في التدوين والتأليف والنقل والترجمة، وقد ترتب على ذلك ظهور الثنائية اللغوية (السومرية – الأكَّادية) بجانب المعاجم اللغوية لأول مرة في التاريخ الإنساني كما سيتضح لاحقاً. علاوة على أن هذه الصحوة الحضارية ساعدت اللغة الأكَّادية على الانطلاق صوب العالمية إذ تُرجمت بفضلها بعض الأعمال الأدبية السومرية إلى لغات أخرى كالحيثية والحورية. وأهم تلك الأعمال ملحمة كلكامش التي تؤرخ أقدم نسخها الأكَّادية بالعصر البابلي القديم في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، والتي انتشرت عدة نسخ منها في أنحاء واسعة من الشرق القديم ومنها جنوب تركيا وأوجاريت وفينيقيا وفلسطين وعيلام وربما أيضاً مصر. ويتضمن اللوح الحادي عشر من ألواح الملحمة الاثني عشر حادثة الطوفان التي اقتبسها المحررون التوراتيون وضمّنوها في الأصحاح الأول من سفر التكوين.[٢٩٦] علاوة على أن هذه اللغة العالمية وليدة هذا التطور اللغوي – الحضاري لم تحفظ التراث المشترك لقدماء الساميين العراقيين فحسب، بل حفظت أيضاً الكثير من التراث الشرقي القديم حيث نالت فضل ترجمة كافة الاتفاقيات السياسية والاقتصادية المبرمة بين شتى الأمم المختلفة في المنطقة. بالإضافة إلى رسائل تل العمارنة التي حظيت أيضاً بفضل ترجمتها لتحفظ للإنسانية تفاصيل الحياة السياسية والدبلوماسية لعالم الشرق القديم في أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

أما الأمر الثالث والأخير فهو حالة التناغم والانسجام التي سيطرت على عقلية الساميين العراقيين في طريقة التعامل مع التراث السومري وعدم اتخاذهم موقفاً معادياً منه، ويتكشف ذلك من خلال اهتمامهم به وحرصهم على الحفاظ عليه من الضياع والاندثار والإعلاء من شأنه. فقد كان مصدر فخرهم واعتزازهم، وأقبلوا على ترجمته بلغتهم الأكَّادية (البابلية – الآشورية)، وجعلوه الركيزة الأساسية التي أسسوا عليها تراثهم الثقافي المشترك. وكان من الطبيعي أن يطاله التعديل والتطوير دون المساس ببنيته

[٢٩٦] انظر: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١١٦–١٢١. وحول أثر التراث الأدبي العراقي القديم على العبرانيين، انظر: فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة (بغداد، ١٩٨٩)، ٢٣٩–٣٩١.

ومفاهيمه وبما يتناسب مع نسيجهم ونضجهم العقلي والفكري. وبذلك صار التراث الحضاري لبلاد النهرين تراثاً قومياً شاركت في إنتاجه أجيال كثيرة وانصهرت فيه العناصر السومرية والسامية،[٢٩٧] وكان يُنظر إليه نظرة مقدسة نتيجة الاعتقاد بأنه مشمول بالرعاية والعناية والحماية الإلهية التي ستصب لعنتها على كل من يتعامل معه بسوء سواء بالتحريف أو التزوير.[٢٩٨] فليس من المستغرب، إذن، أن يهتم الرافدينيون الساميون بجمع ونسخ تراثهم المشترك وحفظه في مكتبات كان يعمل فيها عدد غفير من الموظفين والكتبة والنساخين لترتيب ونسخ الألواح وفقاً لموضوعاتها، وإعداد فهارس لها تُسهّل الرجوع إليها. ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال في نينوى والذي قام بإرسال رسله وكتبته ونساخه إلى كافة الأقاليم والمقاطعات والمدن العراقية القديمة ليبحثوا له عن الكنوز المخفية من هذا التراث الغني وغيره من تراث الساميين في مختلف صنوف العلم والمعرفة لاكتنازها ووضعها في هذه المكتبة.[٢٩٩] فقد ورد في إحدى رسائله إلى شخص يدعى شادونو تتضمن ما يلي:" كلمة الملك إلى شادونو: أحوالي جيدة وأرجو أن تكون بخير، فعندما تتسلم هذه الرسالة، خذ معك هؤلاء الأشخاص الثلاثة (أسماؤهم مذكورة) وكذلك الأشخاص المتضلعين في بورسيا. ثم أبحث عن جميع الألواح الكتابية خصوصاً تلك الموجودة في بيوتهم وجميع تلك التي أودعت في معبد أيزيدا .... وأجمعوا لي الألواح الثمينة التي هي موجودة في مكتباتكم والتي لا توجد في بلاد آشور وأرسلوها لي. ولقد كتبت إلى الموظفين والمراقبين ولن يمتنع أي شخص عن إعطائكم أي لوح تريدونه. وعندما يقع نظرك على لوح أو مدونة أخرى، كُتب

---

[٢٩٧] N. Veldhuis, Guardians of Tradition: Early Dynastic Lexical Texts in Old Babylonian Copies. In Your Praise is Sweet: A Memorial Volume for Jeremy Black from Students, Colleagues and Friends, H. D. Baker, E. Robson, and G. Zólyomi (eds), (London, 2010), 379-400. وانظر أيضاً حول ترجمة الأكَّاديين للتراث السومري: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١١٦-١٢١.

[٢٩٨] قارن: جورج كونتينو، الحياة اليومية في بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي، برهان عبد التكريتي (بغداد، ١٩٨٦)، ٣٢١؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٠٦،١١٤.

[٢٩٩] عامر الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، ٤٠.

عليها أي نص مما لم يسبق أن كتبت لك عنه وتعتقد أنه مفيد، ليكون في مكتبة قصري، أبحث عنه، والتقطه وابعثه لي." ورد عليه أحد الكتبة المكلفين بتنفيذ المرسوم الملكي قائلاً: سنسير على تعليماتكم الموجهة إلينا بخصوص جمع الألواح المدونة باللغة السومرية"، بينما كتب إليه آخر قائلاً: حسب أوامركم سوف أجلب اللوح الكتابي الخاص بالملك حمورابي، علماً بان النسخة الأصلية لهذا اللوح كانت قد تلفت، لذلك كان الملك حمورابي قد أمر باستنساخ نسخة جديدة لها."[٣٠٠]

ولم تكن هذه المكتبات المخصصة لحفظ وترجمة التراث الإنساني قاصرة على الساميين العراقيين فقط، بل انتشرت بين كافة الشعوب السامية في المنطقة حيث عثر عليها أيضاً في ماري وإيبلا وأوجاريت. فقد اكتشف الأرشيف المسماري في مملكة ماري الأمورية (تل الحريري شمال غرب بلدة البوكمال على الحدود السورية- العراقية حالياً)، ووجدت فيه مجموعة ضخمة من الألواح تزيد عن ٢٠ ألف لوح كتابي مؤرخة بالألف الثاني قبل الميلاد. وضمت تلك الألواح وثائق متنوعة ما بين سياسية واقتصادية ودينية، وعمارة وفن وحرف، إلى غير ذلك من مظاهر الحياة اليومية في ماري والإقليم السوري بشكل خاص، وممالك الشرق الأدنى القديم بشكل عام.[٣٠١] وفيما يخص مكتبة إيبلا، فقد فقد بلغ مجموع الألواح المكتشفة منها نحو ١٧,٥٠٠ لوح كتابي والتي تُشكّل الأرشيف الملكي الإيبلوي (٢٤٠٠-٢٢٥٠ ق.م). وقد رُتبت على رفوف خشبية مثبتة في الجدران على دعائم أرضية وصُنفت حسب موضوعاتها، إلا أن كلاً من الرفوف والدعائم الخشبية قد تحولت إلى رماد نتيجة للنيران التي لحقت بالقصر الملكي عام ٢٢٥٠ ق.م على أثر تدمير المدينة آنذاك على يد مملكة ماري كما يرجح غالبية الباحثين. واشتملت محتوياتها

---

[٣٠٠] رياض عبد الرحمن الدوري، آشوربانيبال، مكتبته وثقافته، مجلة سومر، ج ١ / ٢ (بغداد، ١٩٨٧)، ٢٤٠.

[٣٠١] جمال ندا صالح السلماني، الوثائق المسمارية في مملكة ماري الأمورية ودورها في الكشف عن تطور المدنية في بلاد سورية القديمة إبان الألف الثاني قبل الميلاد، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، مج ١٠، ع ١ (٢٠٢٠)، ٤٧٩-٤٨٠.

على عدد كبير من النصوص الدبلوماسية والمعاجم اللغوية، وعدد لا بأس به من النصوص الأدبية والدينية، إلى جانب نصوص إدارية واقتصادية وقانونية.[٣٠٢]

أما أوجاريت فقد حفلت على الأقل بسبع عشرة مكتبة رسمية وشخصية لحفظ ونسخ وترجمة التراثين الأوجاريتي والعالمي، والتي تم اكتشافها في كل من الحي الملكي الرسمي غرب المدينة والحي السكني الذي يضم منازل كبار رجال الدولة من الموظفين والكهنة في الجهات الغربية والشرقية ووسط المدينة. علاوة على الحي الديني الأكروبول في الناحية الشمالية الشرقية والمكوَّنة من معبدين للإلهين بعل ودجن حيث عثر بينهما على منزل كبير الكهنة الشهير بمكتبته التي وفرت معظم النصوص الأوجاريتية الأدبية العظيمة كالأساطير والملاحم والأناشيد. وتؤرخ معظم هذه الوثائق المكتشفة بنهاية العصر البرونزي المتأخر (حوالي ١٢٣٠ – ١١٨٠ ق.م)، ويصل عددها إلى ما يزيد عن ألفي لوح كتابي كانت معظمها مودوعة في مجمع القصر الملكي الذي اشتمل وحده على ثمانية مكتبات عُثر بداخلها على قرابة ألف لوح كتابي. وقد احتوت هذه المكتبات الملكية على خمس مكتبات رئيسية (الغربية والشرقية والمركزية والجنوبية والجنوبية الغربية)، إضافة إلى ثلاث مكتبات صغيرة أخرى. واشتملت كل واحدة من تلك المكتبات على أكثر من غرفة كانت معظمها في الطوابق العلوية، وصُنفت نصوصها حسب موضوعاتها حيث تم حفظ معظم الوثائق الإدارية والتشريعية في المكتبات: الغربية (٧٣ وثيقة) والشرقية (١٩٧ وثيقة) والمركزية (٢٥٤ وثيقة) والجنوبية الغربية (١٦٢ وثيقة)، بينما احتفظت المكتبة الجنوبية (١٣٣ وثيقة) بالنصوص المختصة بعلاقات أوجاريت

---

[٣٠٢] انظر: علي أبو عساف، آثار الممالك القديمة في سورية (٨٥٠٠–٥٣٥ ق.م، (دمشق، ١٩٨٨)، ٢٥٤، ٢٧٥؛ عيد مرعي، إبلا تاريخ أقدم مملكة عامرة في سورية (دمشق، ١٩٩٩٦)، ١٢ –١٣، ١٥– ١٦، ٧١–٧٩، ١٤١–١٤٢؛ جباغ قابلو وعماد سمير، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين – سورية – مصر)، (دمشق، ٢٠٠٧–٢٠٠٨م)، ٢١٠–٢١٢، ٢١٩–٢٢٠. وللمزيد من التفاصيل عن التاريخ السياسي والحضاري لمملكة إيبلا وأرشيفها الملكي وتأريخه ولغته وأقسامه المختلفة، انظر: أحمد ارحيم هبو، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين، ٢٠٩–٢٣١.

الخارجية والدبلوماسية مع القوى الأجنبية خصوصاً الحيثيين. بالإضافة إلى ١٥٦ لوح كتابي من الصلصال والتي تم اكتشافها في البهو الخامس حيث كانت مجهزة للشوي قبل تدمير القصر، وعليها كتابات أوجاريتية إدارية مماثلة لنصوص المكتبة الجنوبية الغربية، وكذلك اثنتا عشرة خطاباً ربما كان أحدهم ترجمة أوجاريتية من خطاب مكتوب بالأكَّادية أرسله أحد الملوك الحيثيين لآخر ملك أوجاريتي وهو عمورابي. أما مكتبات كبار الموظفين والكهنة فكانت زاخرة بالنصوص الأدبية والدينية والمعجمية والمدرسية والإدارية والقانونية والعقود التجارية والحسابية والعلمية كالرياضيات والفلك.(٣٠٣)

وكما تنوعت خطوط كتابة هذه السجلات المؤرشفة بين الخطين المسماري المقطعي والأوجاريتي الأبجدي، فقد تنوعت أيضاً لغاتها بين الأوجاريتية المحلية والأكَّادية والحيثية والحورية والمصرية والقبرصية، وذلك يدل على وجود عدد غفير من الكتبة والنُسّاخ والمترجمين متعددي اللغات. علاوة على تنوعها في مواضيعها بين المعاجم اللغوية ثلاثية اللغة (الأكَّادية والسومرية والحورية)، والقوائم الإلهية ثنائية اللغة (أسماء الآلهة الأوجاريتية ونظيرتها الحورية)، وكذلك النصوص السياسية والاقتصادية والإدارية والأدبية والدينية. وقد عثر ضمن هذه الألواح على لوح غير مسبوق في التاريخ حيث يحمل حروفاً هجائية مرتبة ترتيباً ألفبائياً (ألف باء تاء .... إلخ) للأبجدية الأوجاريتية المكوَّنة من ٢٩ حرفاً. بالإضافة إلى ألواح تحمل الأبجدية الحورية والقبرصية المينوية وقوائم نحوية وأجزاء من الأعمال الأدبية الكلاسيكية العالمية كملحمة كلكامش وقصة الطوفان والتي تم استعمالها في مجال التعليم وفي أعمال الترجمة. ويُعدّ هذا التعدد والتنوع اللغوي والثقافي وفقاً للوثائق المكتشفة في تلك المكتبات خير شاهد على أصالة وعالمية التراث الثقافي لمدينة أوجاريت السامية التي كانت ذات يوم مركزاً مرموقاً للترجمة والثقافة والتعليم. فمن المحتم أنه كان يوجد في تلك المدينة الراقية مدارس تعليمية خاصة تضم أساتذة من المدنيين والكهنوت لتدريب تلامذتهم وتعليمهم أكثر من لغة أجنبية بجانب

---

(٣٠٣) O. Pedersén, Archives and Libraries in the Ancient Near East, 1500-300 B.C, (Maryland, 1998), 68-80.

لغتهم الأوجاريتية الأصلية. فضلاً عن أنها كانت أحد المعابر الرئيسية لترجمة ونسخ ونقل تراثها الأدبي إلى المناطق المجاورة بدليل وجود تشابه بينه وبين الأدب العبري.(٣٠٤)

وقد ورث الآراميون من أسلافهم الساميين التراث الأصيل لمنطقة الشرق الأدنى القديم حينما حان وقتهم وسادت لغتهم وثقافتهم على باقي اللغات والثقافات السامية الأخرى. وشاركوا في حفظه وترجمته إلى لغتهم وكذلك العمل على تطويره على أثر تأثرهم واحتكاكهم لاحقاً بالتراث اليوناني لينقلوه بعد ذلك إلى الحضارة العربية. فاللغة الآرامية قد ازدهرت وأنتجت ثمارها اليانعة في كافة المعارف الإنسانية المتنوعة وبذلك صارت مهيأة للترجمة منها وإليها في عدة مراكز رئيسية كان أهمها حرَّان والرُّها بفضل تاريخهما العريق. واكتسبت حرَّان أهمية كبيرة تجارياً ودينياً وسياسياً في تاريخ الشرق القديم الأدنى القديم منذ فجر التاريخ السومري لوقوعها على طرق التجارة الدولية القديمة الرابطة بين سوريا وبلاد النهرين من جهة، وبين بلاد النهرين والأناضول من جهة أخرى. فضلاً عن كونها مركزاً لعبادة الإله السامي سين، إله القمر، الذي شاعت عبادته في مناطق واسعة من المنطقة منذ الألف الثالث قبل الميلاد. يضاف إلى ذلك أنها كانت آخر عاصمة آشورية حينما لجأ إليها آشور أوباليط الثاني آخر ملك آشوري بعد سقوط نينوى في العام ٦١٨ ق.م، إلا أنها سقطت في أيدي البابليين في عام ٦١٠ ق.م. وتحولت في العصر الهلينستي (٣٢٣ –٣٠ ق.م) إلى مركز لنشاط ثقافي وديني كبير امتزجت فيه المعتقدات الدينية البابلية والآشورية القديمة مع الأفكار الفلسفية اليونانية، وهو الأمر الذي كان له بالغ التأثير في المسيحية حيث سادت فيها اللغة السريانية وأتقن سكانها اليونانية. واحتفظت بتراثها الغني ومكانتها الثقافية والعلمية على أثر فتح العرب المسلمين لها في سنة ٦٣٩ م إبان عهد ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب، واتخذها مروان بن محمد (٧٤٤ – ٧٥٠ م) عاصمة له في أواخر الدولة الأموية.

---

(٣٠٤) W.M. Schniedewind, J.O. Hunt, A Primer on Ugaritic, Language, Culture, and Literature, (Cambridge, 2007), 8-12; Pedersén, Archives and Libraries, 73-79.

وتمتعت بأهمية كبيرة في العصر العباسي وانتقلت إليها مدرسة الطب والفلسفة من الإسكندرية، وبرز منها علماء كبار قاموا بدور كبير في حركة الترجمة من السريانية واليونانية إلى العربية.[٣٠٥]

كما كانت مدينة الرُّها الآرامية (مدينة أورفا الحالية الواقعة شمال الحدود السورية مع تركيا) أحد المراكز التجارية الكبرى في الشرق الأدنى القديم،[٣٠٦] وأصبحت قبيل انتشار المسيحية ميداناً لكبار المفكرين الآراميين. وقد ساهم هؤلاء المفكرون الآراميون بالرُّها في الارتقاء بتراثهم ونقلوا منه وإليه الكثير من التراث اليوناني خاصة في الميدان الفلسفي خلال العصر الهلينستي مما كان له تأثيراته التكوينية على التراث الروحي العبري وظهور المسيحية التي وجدت فيها أرضاً صالحة لغرسها الجديد. وبعد أن كانت لهجة الرُّها الآرامية أداة للعلم الذي عرفت به هذه المدينة في العالم القديم، أضحت لغة الحضارة المسيحية بعد أن نالت شرف ترجمة الكتب المقدسة في القرن الثاني الميلادي، واستمر التدوين بها قروناً كثيرة بحيث يمكن أن تُعدّ من أغنى أخواتها في الانتاج العلمي والأدبي. وعادة ترجمة النصوص الدينية إلى اللغة الآرامية عادة قديمة تسبق ترجمة الكتب المقدسة المسيحية إذ تمت ترجمة التوراة باللغة الآرامية في فترة ما بعد السبي البابلي (ترجوميم بمعنى ترجمات وأقدمها ترجوم أونكلوس). ويرجع الفضل إلى هذه الترجمات التي كانت في بدايتها ترجمات شفوية في نشر التوراة بين جماهير اليهود المتكلمين بالآرامية بعد أن طغت على لغتهم العبرية، فضلاً عن نشر التوحيد الإسرائيلي بين الآراميين الوثنيين. وبالإضافة إلى تميز الآراميين السريان في الأعمال التي تحتوي على تراجم وتفاسير في كتب التوراة والأناجيل لكثير من كبار القسيسين والعلماء، فإنهم برعوا أيضاً في الكتابة والتأليف في الفلسفة والطب والعلوم والطبيعة والفلك والحساب

---

[٣٠٥] عيد مرعي، حرَّان في تاريخ الشرق القديم، مجلة مهد الحضارات، ع ١٣، ١٤، (دمشق، ٢٠١١)، ٧-١٢.

[٣٠٦] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢ (بغداد، ٢٠١١)، ٢٨١.

والكيمياء والجغرافيا، بالإضافة إلى المؤلفات التي تُرجمت من اليونانية إلى السريانية مما ترجم لاحقاً إلى العربية.[٣٠٧]

الساميون وتأليف المعاجم اللغوية

تؤكد البراهين التاريخية والحضارية على حقيقة أن المهاجرين الساميين لم يكونوا يوماً منعزلين في عوالمهم الجديدة التي حَلّوا فيها سواء في بلاد النهرين أو بلاد الشام أو شمال غرب أفريقيا أو شرقها، بل كانوا منفتحين على سكانها الأصليين وغيرهم من الأمم القديمة، واختلطوا بهم عرقياً ولغوياً وثقافياً، وأبدعوا حضارتهم الراقية حينما تقلدوا زمام الأمور ودانت لهم البلاد. وامتازت مناطقهم دون سواها من مناطق العالم القديم بأنها بوتقات انصهار لغوي وثقافي حيث تعددت وتنوعت اللغات والثقافات والأعراق، وانتشرت مؤسسات الترجمة على الصعيدين الرسمي والفردي للقيام بمهام نسخ ونقل وترجمة النصوص الكلاسيكية التراثية، وقدمت للإنسانية بواكير المعاجم اللغوية والنصوص متعددة اللغات. كما انتشر في مناطقهم أيضاً التراجمة والمترجمون المختصون بالعملية الترجمية والذين تباروا فيما بينهم في إجادة اللغات الأجنبية حتى أنهم كانوا يحملون في قرطاجة الفينيقية رمزاً لمهنتهم المرموقة على رؤوسهم المحلوقة عبارة عن وشم ببغاء بجناحين مطويين إشارة إلى اقتصار معرفة صاحبه المترجم على لغة أجنبية واحدة خلافاً لنظيره الموشوم بصورة الببغاء ذي الجناحين المفرودين دلالة على أنه من متعددي اللغات.[٣٠٨]

ولعل ابتكار المعاجم اللغوية من أبرز الإبداعات الحضارية الناجمة عن الانصهار اللغوي والثقافي والعرقي في المجتمعات السامية القديمة، وإحدى النتائج البديهية لظاهرة الاحتكاك والازدواج والتعدد اللغوي فيها. كما يُعدّ أيضاً من الابتكارات السامية الأصيلة

---

[٣٠٧] ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٢٦، ١٤٧–١٤٨؛ فؤاد عبد المطلب، الترجمة في الحضارات القديمة، ٥٥١، ٥٧٨ –٥٧٩.

[٣٠٨] H. Van Hoof, Histoire de la traduction en Occident, (Paris, 1991), 9.

والفريدة، فقد توصل إليه الساميون قبل اليونانيين القدماء وغيرهم من شعوب العالم القديم بما يقرب من ألفي سنة، ولذلك أصبح شاهداً على عبقرية عقليتهم وريادة حضارتهم في هذا الميدان. حتى أنه لم يتم العثور في مصر طوال تاريخها الفرعوني على معاجم لغوية سوى أجزاء من معاجم مكتشفة ضمن رسائل تل العمارنة (EA 347, EA 368) والتي كانت بإيعاز وتأثير سامي عراقي قديم. ويشهد على ذلك طريقة تقسيمها وتصنيف مفرداتها حيث قُسمت إلى ثلاثة أعمدة بحيث ضم العمود الأول المفردات المصرية وما يقابلها في اللغة الأكَّادية البابلية في العمود الثاني، بينما تتضمن العمود الثالث النطق الصوتي للمفردات الأكَّادية بالعلامات المصرية. وكان الهدف من ذلك هو تدريب الكتبة المصريين المبتدئين على تعلم الأكَّادية البابلية بخطها المسماري معجمياً وصوتياً حتي يصبحوا مؤهلين للانتقال إلى المرحلة التعليمية التالية التي تشمل الإطلاع على مختارات من التراث الأدبي السومري وقراءتها بالأكَّادية قبل التحاقهم لاحقاً إلى فئة الكتبة المترجمين في القصر الملكي.(٣٠٩) ولذا كانت هناك ضرورة لغوية مدفوعة بحاجة دبلوماسية اقتضت تأليف مثل هذا المعجم المصري – الأكَّادي المكتشف بين ألواح تل العمارنة إبان عصر انفتحت مصر خلاله على العالم الخارجي وتوثقت علاقاتها الدبلوماسية بجيرانها، ولكنها احتفظت في الوقت نفسه بوحدة هويتها اللغوية والعرقية بدليل انعدام وجود النصوص الثنائية ومتعددة اللغات حتى القرن السابع قبل الميلاد. فقد نتج عن احتفاظ المصريين القدماء بوحدة لغتهم وقوميتهم وثقافتهم أن غابت عن بلدهم ظاهرة الازدواج اللغوي والاختلاط العرقي والمترتبة عليهما إنشاء المعاجم اللغوية والنصوص متعددة اللغات لدى الأمم السامية.

وكان للازدواجية اللغوية في بلاد سومر وأكَّاد منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير أكبر الأثر في تأليف وتنظيم أنواع معينة من المعاجم ثنائية اللغة والتي

---

(٣٠٩) Sh. Izre'el, The Amarna Scholarly Tablets, (Groningen, 1997), 9-11, 27; A. Mandell, Scribalism and Diplomacy at the Crossroads of Cuneiform Culture: The Sociolinguistics of Canaano-Akkadian, (Ph. D. diss., Uni. of California, 2015), 36.

تمثل أقدم نوع من أنواع المعاجم المعروفة حتى الآن. فقد دفع الازدواج اللغوي الكتبة السومريين والأكَّاديين على حد سواء إلى تأليف قوائم أو جداول بالعلامات والمفردات السومرية، بل حتى المصطلحات الفنية والقانونية المستخدمة عادة في الوثائق اليومية والمراسلات، وكتابة ما يقابلها في اللغة الأكَّادية، فكانت بذلك أولى المحاولات المعروفة في تأليف المعاجم ثنائية اللغة. وتكشف هذه المعاجم عن الجهود الكبيرة التي بذلها العراقيون القدماء في تصنيفها وترتيبها واستنساخها على ألواح الطين التي أفادت الباحثين المحدثين كثيراً في فهم وتفسير ما غمض عليهم فهمه من مفردات هاتين اللغتين.[٣١٠] ولكن قبل إفادتها لهؤلاء الباحثين المحدثين في هذا الشأن، فإنها أفادت أيضاً أصحابها الذين ابتدعوا تأليفها لتحقيق الأهداف التعليمية واللغوية والثقافية المنشودة. فهذه المعاجم كانت من أهم الوسائل التعليمية المتبعة في المدارس العراقية لتمكين طُلاّبها من حفظ المفردات في كلتا اللغتين، والاستفادة منها بعد تخرجهم، وانتقالهم للعمل في مهنة الكتابة سواء في القطاع الحكومي أو الخاص، فضلاً عن إمكانية احتراف مهنة الترجمة من السومرية إلى الأكَّادية وبالعكس. فالترجمة من اللغة السومرية إلى اللغة الأكّادية كانت تتصدر المواد الدراسية مما كان يتحتم على الطالب دراسة اللغتين معاً.[٣١١]

وتشير الدراسات المختصة بتلك المعاجم اللغوية إلى وجود ثلاثة أنواع منها منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد حيث كان النوع الأول مخصصاً لتعليم المبتدئين من الكتبة والطلاب والمعنيين بشكل عام أساليب كتابة وقراءة الكتابة المسمارية المعقدة بعلاماتها الصورية والرمزية والمقطعية الصوتية مع بيان معانيها الرمزية المتعددة ودلالاتها الصوتية التي كان عددها يتناسب وعدد معاني العلامة. ونُظمت هذه العلامات

---

[٣١٠] عامر سليمان، المعاجم اللغوية من مظاهر أصالة حضارة وادي الرافدين، مجلة المجمع العلمي، ٢/٤٤ (بغداد، ١٩٩٧)، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٣؛ عدنان البني، المعجمية في الشرق العربي القديم، مجلة التراث العربي، ع ٧٧ (دمشق، ١٩٩٩)، ٩٨-١٠٠؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٠٤-١٠٧.

[٣١١] شيماء علي أحمد النعيمي، المناهج التعليمية في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الموصل (الموصل، ٢٠٠١)، ٥٧.

على شكل قوائم مطولة في عمودين، وكان يصل عددها أحياناً إلى أكثر من ألفي علامة بحيث كانت معانيها وقراءاتها المتعددة متضمنة في العمود الثاني الأيمن، وكانت العلامة المسمارية تتكرر في العمود الثاني الأيسر في حالة إبداء الرغبة في قراءة جديدة أو معنى جديد. كما كان يتم ترتيب العلامات استناداً إلى حركتها وحسب تسلسل معين لتلك الحركات وفقاً للمقطع المسماري الأول الذي تستهل به الألفاظ السومرية مثل: دِ – دَ – دُ / بِ – بَ– بُ / كِ – كَ – كُ .... وهلم جرّا.(٣١٢) وتم تبويب النوع الثاني على شكل مجموعات صغيرة أو كبيرة من العلامات المسمارية المتشابهة ومعانيها. وقد تطور هذا النوع وأصبحت القوائم فيه تضم العلامات مكتوبة الواحدة تحت الأخرى بشكل دقيق. وزودت في الجهة اليسرى من اللوح بقراءتها السومرية التي دونت بعلامات مقطعية صوتية بسيطة، بينما دونت في أسماء تلك العلامات باللغة الأكَّادية في الجهة اليمنى من اللوح، فأصبحت القوائم مؤلفة من ثلاثة أعمدة ضمت لفظ العلامة وشكلها ثم اسمها باللغة الأكَّادية.(٣١٣)

أما النوع الثالث المصطلح على تسميته باسم معاجم Ea، فقد اعتمد في تنظيم العلامات على المقطع الأول من العلامة، وكانت الغاية الأساسية منه هو تقديم القراءات الرئيسية للعلامات المسمارية باللغتين السومرية والأكَّادية. ثم اتسعت هذه المعاجم لتصبح مؤلفة من أربعين لوحاً أضافت إلى الأعمدة الثلاثة المذكورة سابقاً عموداً رابعاً في أقصى اليمين ضم الترجمة الأكَّادية لمعنى كل علامة سومرية رمزية، وغالباً ما ذُكرت عدة ترجمات أكَّادية للعلامة الرمزية الواحدة. وقد سميت هذه السلسلة من المعاجم aA-maqu حسب طريقة الكتبة القدماء في تسمية النصوص ذات الأهمية بأول عبارة ترد فيها. وفي فترة لاحقة نُظمت ثمانية ألواح سميت ea A = maqu ضمت علامات مقتبسة من السلسلة الأولى، كما قام الكتبة بتأليف موجز لهذه السلسلة تم تدوينه على لوحين فقط

---

(٣١٢) عامر سليمان، المعاجم اللغوية، ٣٤٢- ٣٤٣، ٣٤٤-٣٤٥. وانظر أيضاً: عدنان البني، المعجمية في الشرق العربي القديم، ٩٨.

(٣١٣) عامر سليمان، المعاجم اللغوية، ٣٤٥. وانظر أيضاً: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٠٧-١٠٨.

وضم العلامات الأكثر شيوعاً واستخداماً. ثم ظهرت سلسلة أخرى من هذه النوع إلا أنها أُعدت لتدريب الكتبة على مستوى عالٍ عُرفت إحداها باسم izi = ishatu ضمت ستة عشر لوحاً وسُميت الأخرى diri DIRI siaki = wartu التي تألفت من سبعة ألواح. كما وجدت سلسلة أخرى أُلّفت على الطريقة نفسها، إلا أنها أضافت عموداً آخر ضم توضيحات وتفسيرات أكَّادية بعضها اهتم بتصنيف السكان إلى موظفين وحرفيين وغيرهم. وقد ورد على لسان أحد الطلاب المتعلمين بشأن هذه السلسلة المعروفة باسم Lù.Šu:" قرأتها مراراً وتكراراً حتى كرهتها".[٣١٤] ونظراً لوجود أكثر من لهجة سومرية واحدة في الاستخدام، فقد نظمت بعض المعاجم موضحةً المفردة اللغوية بلهجة ايمي – سال eme-sal السومرية إلى جانب اللهجة السومرية الرئيسية، وأضيف إلى جانب ذلك المعنى باللغة الأكَّادية، وقد عرفت هذه السلسلة باسم dimir.dingir = ilu.[٣١٥]

واتجه الكتبة في العصر البابلي الوسيط نحو إعداد معاجم تضم علامات تمثل مفردات لغوية وإلى جانبها معانيها بكلتا اللغتين السومرية والأكَّادية، ومن هذه التآليف سلسلة تتألف من عشرة ألواح سُميت باسم an. Ta. Gàl = shaqû، وأخرى تتألف من ستة ألواح عُرفت باسم erim-hush = anantu. كما نُظمت سلسلة جديدة حسب المواضيع عُرفت باسم alan = lanu وأخرى باسم SIG4 ALAM = mahintu دونت على أكثر من ثلاثين لوحاً، وضمت مترادفات سومرية وأكَّادية واعتمدت في ترتيبها على الكلمات الأكَّادية حيث كُتبت فيها أسماء أعضاء جسم الإنسان والأفعال التي تشير إلى عمل كل عضو منها بترتيب يبدأ من الرأس وينتهي بالقدم. (شكل ٢) وقد ازدادت أعداد هذا النوع من المعاجم المرتبة حسب المواضيع وضمت مختلف أصناف الأسماء، وكانت

---

[٣١٤] شيماء النعيمي، المناهج التعليمية في العراق القديم، ٥٩.

[٣١٥] عامر سليمان، المعاجم اللغوية، ٣٤٥-٣٤٦، ٣٤٧.

الطريقة أن تضم كل سلسلة صنفاً معيناً من الأسماء كأسماء الأشجار أو النجوم أو الملابس أو غيرها. وقد زودت هذه المعاجم بالترجمات الأكَّادية.[٣١٦] (شكل ٣)

وتعد سلسلة "خَرّ خُبُلٌّ" Ḫarra ḫubullu أو "اور–را خُبُلٌ Urra= ḫubullu (أي دين أو قرض بفائدة)[٣١٧] من أشهر هذا النوع من التآليف ويرجع تاريخ تنظيمها إلى أواخر العصر البابلي القديم، وتتألف من أربعة وعشرين لوحاً ضمت المفردات السومرية مصنفة حسب المواضيع وإلى جانبها معانيها باللغة الأكَّادية. وقد ضمت أسماء الأشجار والمواد المعدنية والخشبية والجلدية والحجرية والآواني الفخارية والحيوانات سواء الأليفة أو البرية وأعضاء جسم الإنسان والحيوان والنباتات والأسماك والطيور، وكذلك أسماء أصناف الجعة والعسل والشعير ومواد غذائية أخرى. ويضم العمود الأول من هذه المعاجم العلامة الدالة متبوعة بالاسم باللغة السومرية وفي الجهة اليمنى ترجمة الكلمة باللغة الأكَّادية وأحياناً ترجمة الجزء المهم من الكلمة فقط. (شكل ٤)

كما يرجع إلى العصر البابلي القديم سلسلة أخرى على درجة كبيرة من الأهمية عُرفت بأول عبارة وردت فيها وهي سلسلة "آنَ إِتِّشُ" ana ittishu التي يمكن ترجمتها بالعربية "حين الطلب"، ويرجع تاريخ النسخ المكتشفة من هذه السلسلة إلى العصر الآشوري الحديث، إلا أن هناك دلائل لغوية تؤكد أن النسخ هي لنصوص من أواخر عهد حمورابي (١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م). والألواح المكتشفة منها هي أربعة فقط، ويُفترض أنها كانت مؤلفة من سبعة ألواح، كما يُعتقد أنها كانت تضم ألف وثمانمائة سطراً من الكتابة وفقاً للألواح والكِسْرات الباقية. وقد ضمت السلسلة معظم العبارات والصيغ القانونية والفنية والمفردات اللغوية السومرية التي كانت مستخدمة في العقود والوثائق على اختلافها وإلى جانبها ترجمتها باللغة الأكَّادية. كما ضمت عدداً من المواد القانونية سميت من قبل الباحثين بقوانين العائلة السومرية حيث إنها تخص حالات إنكار الأبوة

---

[٣١٦] عامر سليمان، المعاجم اللغوية، ٣٤٥–٣٤٦. وانظر أيضاً: شيماء النعيمي، المناهج التعليمية في العراق القديم، ٦١–٦٥؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٠٩–١١١.

[٣١٧] خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٠٧.

بالتبني والطلاق وعلاقة الزوجة بزوجها وفرار العبيد. (شكل ٥) ويبدو واضحاً أن الغاية الأساسية من تأليف هذه السلسلة هي تعليم المبتدئين دراسة إحدى اللغتين ومساعدة الكتبة في معرفة ما يقابل العبارات والمصطلحات السومرية في اللغة الأكَّادية.[٣١٨]

وتميزت النصوص المعجمية العراقية القديمة بخاصية تعدد المعاني للفظ الواحد حيث نُظمت المصطلحات والعبارات في ثلاثة أعمدة ضم العمود الأول الكلمة السومرية وما يقابلها في الأكَّادية من ألفاظ مترادفة في العمودين الآخرين. وكان ذلك يتم بطريقتين سواء بواسطة ذكر الكلمة السومرية مرة واحدة وما يقابلها من معانٍ أكَّادية مختلفة، أو تكرارها وإعطاء المعاني المتعددة لها في الأكَّادية. كما تميزت أيضاً بعدم اقتصارها على الترجمات اللفظية والاصطلاحية المتنوعة في كافة مناحي الحياة، بل اختص صنف منها بالجانب النحوي حيث تكونت مادته اللغوية من بعض القواعد النحوية باللغة السومرية وإلى جانبها ترجمتها باللغة الأكَّادية.[٣١٩] (شكل ٦) وانتفع الكتبة الآشوريون الساميون بأساليب المعاجم القديمة وزادوا مفرداتها ومترادفاتها الأجنبية نتيجة لاتساع صلات دولتهم بجيرانها، وابتدعوا نوعاً جديداً منها وهي المعاجم التاريخية المتعاصرة للملوك الآشوريين والبابليين. وتألفت هذه المعاجم من عمودين متجاورين حيث احتوى أولهما على أسماء الملوك الآشوريين وعددهم اثنان وثمانون اسماً وما يعاصرهم من الملوك البابليين البالغ عددهم ثمانية وتسعين اسماً في العمود الثاني. وابتدأت هذه المعاجم باسم ملك كان معروفاً لديهم وهو ايريشم ابن الملك ايلو شوما (مطلع الألف الثاني قبل الميلاد)، واختتمت باسم الملك آشور بانيبال، في حين بدأ العمود المقابل باسم الملك البابلي الثاني من ملوك الأسرة البابلية الأولى وهو سومو لئيل (١٨٨٠- ١٨٤٥ ق.م)، وانتهى بأخر الملوك البابليين وقت كتابة المعجم وهو قندلانو. وكان هناك أيضاً معاجم جغرافية شبيهة

---

[٣١٨] انظر: عامر سليمان، المعاجم اللغوية، ٣٤٧- ٣٤٨؛ شيماء النعيمي، المناهج التعليمية في العراق القديم، ٦٦.

[٣١٩] انظر: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٠٧-١١١.

بالمعاجم البلدانية، وقد تميزت في أواخر التاريخ الآشوري والبابلي عن نظيراتها القديمة بتفسير أسماء بعض الأقاليم والمدن.[٣٢٠]

وعلى صعيد آخر، كان هناك احتكاك حضاري مستمر من جانب الإيبلوّيين بجيرانهم السومريين واستخدموا كتابتهم المسمارية في تدوين لغتهم السامية إبان فترة ازدهار مملكتهم التي بسطت سلطانها على شمال سوريا ووطدت علاقاتها السياسية والاقتصادية ببلاد النهرين ومصر وقبرص خلال النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد. ومن البديهي أن ينعكس ذلك بالإيجاب على حياتهم الحضارية بما فيها تأليف معاجم أحادية اللغة على غرار المعاجم السومرية إضافة إلى المعاجم ثنائية اللغة إما بالسومرية – الإيبلوّية أو العكس.[٣٢١] ويبلغ مجموع المعاجم اللغوية الإيبلوّية حوالي ٣٨٣ معجماً منهم ٢٥٣ معجماً أحادية اللغة مكتوبة بعلامات مسمارية صورية ورمزية ومقطعية صوتية يصل عددها إلى حوالي ١٥٠٠ علامة مع بيان معانيها الرمزية المتعددة وقيمها الصوتية. بالإضافة إلى ١٣٠ معجماً ثنائية اللغة مؤلفة من حوالي ١٤٥٧ كلمة سومرية وإلى جانبها معانيها باللغة الإيبلوّية. وتكمن أهمية تلك المعاجم ثنائية اللغة في كونها مصدراً مهماً لمعرفة العديد من ميزات اللغة الإيبلوّية السامية، فضلاً عن أنها تُظهر احتفاظها بالعديد من خصائص اللغة السامية الأم خاصة ما يتعلق منها بالحروف الحلقية. كما أنها لم تكتف بترجمة الكلمة السومرية بكلمة واحدة إيبلوّية، وإنما أدرجت في بعض الأحيان عدداً من الألفاظ المترادفة مثلما فعل المعجميون الأكَّاديون لاحقاً. ويمكن تصنيفها إلى نوعين: الأول معاجم كبيرة مستطيلة الشكل والتي قام بتأليفها كتبة محترفون، والآخر عبارة عن معاجم مدرسية صغيرة ذات شكل بيضاوي

---

[٣٢٠] انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ١٦٩-١٧٠؛ عدنان البني، المعاجم في الشرق العربي القديم، ١٠٠؛ عامر الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين، ٨٦، ٨٧.

[٣٢١] أحمد محمد ديب شبابيبي، نظام الحكم والإدارة في مملكة إبلا في النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم التاريخ (جامعة دمشق، ٢٠١٥)، ٢، ٢١-٢٣، ٢٧-٢٩

وكانت مخصصة لتدريب الطلاب وتتميز رغم قلة مفرداتها بأنها تتضمن تهجئات صوتية لبعض الكلمات السومرية بهدف تعليم قراءتها على نحو صحيح.[٣٢٢] (شكل ٧)

والمفردات اللغوية في المعجم الإيبلوّي مرتبة وفقاً لمبدأ شبيه بما هو مستخدم حالياً حيث اعتمد الكتبة في الترتيب على المقطع المسماري الأول الذي تبدأ به الكلمات السومرية. وهكذا صُنف المعجم ضمن مجموعات، يبدأ أولها بمجموعة الكلمات التي تحمل في بدايتها المقطع nì، ثم الكلمات التي تبدأ بالمقطع ka الذي يتبعه بعد ذلك المقطع sag ... وهلم جرّا ليقارب عدد المجموعات ثلاث وتسعين مجموعة من الكلمات. ومن الملاحظ أن المعجميين الإيبلوّيين قد قاموا في نهاية كل مجموعة بإعادة كتابة المقطع الأول من كلمات المجموعة وذلك للدلالة على نهاية المجموعة. أما الطريقة التي استخدمت في ترتيب الكلمات فكانت وضع الكلمة السومرية في مربع (أي سطر) تليها الكلمة الإيبلوّية في السطر الثاني، إلا أن ثمة حالات كُتبت فيها الترجمة الإيبلوّية مباشرة بعد السومرية في نفس المربع أو السطر دون أي فاصل. وتختلف هذه الطريقة الأخيرة في الترتيب عن الطريقة المتبعة في المعاجم الأكَّادية ثنائية اللغة من العصر البابلي القديم حيث كانت تدرج الكلمات السومرية في عمود وتضاف إليها الكلمات الأكَّادية المترجمة في العمود الثاني كما سبق ذكره أعلاه.[٣٢٣]

وتزخر كافة المكتبات الأوجاريتية الملكية والشخصية بثروة لغوية من النصوص المعجمية متعددة اللغات: السومرية والأكَّادية والحورية بجانب اللغة الأوجاريتية المحلية،[٣٢٤] والتي تعكس التنوع اللغوي والثقافي والانفتاح الفكري الذي كان سائداً في

---

[٣٢٢] عماد سمير، معاجم إبلا وأصالة القاموس اللغوي الإيبلوي، مهد الحضارات، ع ٨، ٩ (دمشق، ٢٠٠٩)، ٤٢، ٤٣، ٤٦-٤٧. وانظر أيضاً: عدنان البني، المعجمية في الشرق العربي القديم، ١٠٠-١٠٦.

[٣٢٣] عماد سمير، معاجم إبلا، ٤٤-٤٥؛ أحمد شبابيبي، نظام الحكم والإدارة في مملكة إبلا، ٢٧-٢٩.

[٣٢٤] H. Van Hoof, Les dictionnaires polyglottes – esquisse historique, Meta: Journal des traducteurs 39/1 (1994), 213-214.

مملكة أوجاريت خلال النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. فقد كانت أوجاريت بوتقة انصهار عرقي وثقافي حيث ضمت تركيبتها السكانية العنصرين السامي والحوري، وعاشت فيها عدة جاليات أجنبية مختلفة كالحيثية والقبرصية والمصرية. واللغات الأجنبية الرئيسية الثلاث التي استخدمها الأوجاريتيون في معاجمهم اللغوية هي: السومرية باعتبارها لغة الأدب والثقافة الكلاسيكية، واللغة الأكَّادية بوصفها لغة عالمية، وأخيراً اللغة الحورية نظراً لوجود الحوريين الوافدين ضمن البنية السكانية الأوجاريتية. ولذلك كانت هذه المعاجم تُقسم إلى أربعة أعمدة متقابلة بالترتيب التالي: سومرية وأكَّادية وحورية وأوجاريتية. والأرجح أنه كان يوجد معاجم لغوية أخرى باللغات المصرية والحيثية والقبرصية بسبب العثور على نصوص مكتوبة بها ضمن مقتنيات المكتبات الأوجاريتية نتيجة العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت تربط أوجاريت بأصحاب تلك اللغات.

وكانت الغاية الرئيسية من تأليف تلك المعاجم الأوجاريتية هي ذات الغاية التي دفعت المعجميين في بلاد النهرين وإيبلا إلى التأليف المعجمي لإعداد وتدريب الطلاب المبتدئين من صغار الكتبة والمعنيين بشكل عام على تعلم وممارسة اللغات الأجنبية المستهدفة. والدليل على ذلك هو تنوع وتعدد النصوص المعجمية المكتشفة هناك والتي تشير إلى أنه كان يوجد على أقل تقدير مستويين تعليميين متدرجين في السهولة والصعوبة تبعاً للفئة العمرية على غرار المعاجم الأكَّادية والإيبلوّية. فالنصوص المعجمية الأولى وهي الأسهل والمخصصة لتعليم المبتدئين تضم المقاطع المسمارية التي يمكن كتابتها بالمفردات الأكَّادية وفقاً للمقطع المسماري الأول الذي تبدأ به الألفاظ السومرية حسب تسلسل: تُ/ تَ/ تِ، والتي كانت تتبعها قوائم عديدة متسلسلة من العلامات الرمزية والصوتية المسمارية وإلى جانبها ترجمتها الأكَّادية وما يقابلها في اللغتين الأوجاريتية والحورية. أما المستوى المتقدم والأكثر احترافية من تلك المعاجم فهو سلسلة Ḫarra ḫubullu المعروفة في بلاد النهرين خصوصاً النوعين المعروفين باسم Lu و Izi، بالإضافة إلى نوع ثالث هو Diri الذي يمثل أكثر الأنواع تعقيداً والمصدر الأساسي الذي يتم الاعتماد عليه في كتابة وقراءة النصوص ثنائية اللغة. وهذه السلسلة الضخمة

مؤلفة من قرابة خمسة عشر لوحاً كتابياً حيث احتوى اللوحان الأولان على مادة لغوية قضائية وإدارية، بينما شملت بقية الألواح قوائم مواضيعية تضم تعبيرات واصطلاحات فنية ثقافية.[٣٢٥] ولم تقتصر النصوص المعجمية الأوجاريتية على المعاجم اللغوية التعليمية في شتى المعارف والعلوم، وإنما اشتملت أيضاً على معاجم لاهوتية ثنائية اللغة (حورية – أوجاريتية). وحوت تلك المعاجم أسماء مجمع الآلهة الحورية المعبودة في أوجاريت وما يقابلها من آلهة أوجاريتية نتيجة تغلغل الديانة الحورية في الأراضي السورية وتناغمها مع معتقدات الأوجاريتين[٣٢٦] كما كان حال الديانات الوثنية في العالم القديم. بالإضافة إلى العثور في المكتبة الجنوبية بالقصر الملكي على معجم أبجدي يضم الأبجدية الأوجاريتية وأمام كل حرف منها العلامة المقطعية الأكَّادية التي تقابله لفظياً.[٣٢٧]

---

(٣٢٥) W.H. van Soldt, Babylonian Lexical, Religious and Literary Texts and Scribal Education at Ugarit and Its Implications for the Alphabetic Literary Texts. In, Ugarit. Ein ostmediterranes Kulturzentrum in Alten Orient, M. Dietrich & O. Loretz (eds), (Münster, 1995), 170-176.

(٣٢٦) انظر: محمود حمود، الديانة السورية القديمة خلال عصري البرونز الحديث والحديد ١٦٠٠ – ٣٣٣ ق٠م، (دمشق، ٢٠١٤)، ٤٨٩– ٤٩٢.

(٣٢٧) عدنان البني، المعجمية في الشرق العربي القديم، ١٠٣.

الفصل الثالث

الترجمة والمترجمون في المصادر الأثرية

الفصل الثالث
الترجمة والمترجمون في المصادر الأثرية

الترجمة والمترجمون في المصادر المصرية القديمة

حبى الله مصر حصانة طبيعية بين درعين واقيين تمثلهما الصحراء الشرقية والصحراء الغربية، والبحر المتوسط في الشمال الذي وقف حاجزاً بينها وبين الشعوب القاطنة جنوب أوروبا، ومجموعة من الصخور الكبيرة والجزر الصخرية المعروفة باسم الجنادل والتي تعترض مجرى نهر النيل في الجنوب. ودفعت هذه الحصانة الطبيعية علماء المصريات إلى رد لفظ مصر في الأصل إلى كلمة مصرية قديمة وهي كلمة "مِچر" ومعناها البلد المكنون أو المُحصّن. والإبدال بين حرف الچيم والشين والصاد قائم، فكلمة " چبع" في اللغة المصرية القديمة هي "صبع" في اللغة العربية، ومدينة "چعن" هي صان الحجر الآن، وكلمة "وچى" هي "وصى".... إلخ.[٣٢٨] وقد وفرت هذه الحدود الطبيعية للمصريين الأمن، وساعدتهم على الدفاع عن بلادهم، وصد المعتدين، وحافظت على وحدتهم القومية والثقافية خلافاً لبلاد النهرين التي نتج عن حدودها المفتوحة والمتداخلة مع المناطق المجاورة لها أن تسللت جموع كثيرة من المهاجرين خصوصاً الساميين منهم إلى داخل البلاد. كما أن العناصر الأجنبية والغزاة الأجانب الذين تمكنوا من التسلل إلى مصر وغزوها في أوقات ضعفها وشيخوختها المتأخرة قد تمصّروا بعد إخفاقهم في تغيير تركيبتها الديموجرافية أو اللغوية أو الثقافية بسبب قلة أعدادهم والتفوق الحضاري للمصريين عليهم. وينطبق ذلك على الغزاة الهكسوس(١٦٥٠- ١٥٥٠ ق.م) والليبيين وكذلك النوبيين الكوشيين (٧٤٤ – ٦٥٦ ق.م) والفرس الأخمينيين (٥٢٥ – ٤٠٤ ق.م / ٣٤٣ – ٣٣٢ ق.م). ولكن الليبيين (التمحو والليبو والمشوش) الذين جنحوا للسَّلْم قد نجح العديد منهم في الدخول إلى مصر والاستقرار في بعض مدنها الواقعة

---

[٣٢٨] للمزيد من التفاصيل عن أسماء مصر المختلفة وأصولها القديمة ومصادرها ودلالاتها اللغوية والحضارية بما فيها اسم مصر، انظر: عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ٣-١١.

ناحية الغرب، وانضم كثير منهم إلى الجيش المصري في الأسرة العشرين. وارتقوا حتى وصل منهم (المشوش) إلى أعلى المناصب القيادية مما مكّنهم بعد ذلك من تكوين ثلاث أسرات حاكمة من الثانية والعشرين حتى الرابعة والعشرين (٨٨٠ – ٧٢٠ ق.م)،[٣٢٩]

وعليه، فإن مصر القديمة لم تشهد طوال تاريخها الفرعوني الممتد عبر ثلاثة آلاف عام ظاهرة الازدواج اللغوي وما ترتب عليها من معاجم لغوية – باستثناء حالة رسائل تل العمارنة – أو شيوع نصوص ثنائية أو متعددة اللغات – باستثناء بعض الحالات القليلة المؤرخة بأواخر العصر المتأخر– كما كان الحال في كل من بلاد النهرين وبلاد الشام.[٣٣٠] كما خلت نصوص الدولتين القديمة والوسطى من تفاخر المصريين من معرفتهم أو فهمهم للغات أجنبية باستثناء حالتين تقريباً من الدولة الوسطى (حوالي ٢٠٥٥–١٦٥٠ ق.م) حيث تباهى أحد الموظفين الرسميين في لوحته المحفوظة في المتحف المصري (CG 20765) بقوله: "مترجم لغات كل البلدان الأجنبية". وقد يدل ذلك على عدم انتشار هذا النوع من المعرفة على نطاق واسع بين أوساط المصريين الذين لم يولونه جل اهتمامهم وتقديرهم، واعتبروا أن التحدث بلغة بلدهم والتشبُّع بثقافتها من صفات الأجنبي المتحضر حسب ما ورد في مصادرهم الأدبية من عصر الدولة الوسطى مثل قصة سنوهي.[٣٣١]

ولكن ليس معنى ذلك أنه كان هناك جمود في اللغة المصرية طوال التاريخ الفرعوني، بل إنها خضعت لعدة تغيرات كتابية ونحوية ومعجمية هامة والتي تعكس استجابتها لقانون التطور اللغوي الداخلي والمؤثرات السوسيو–سياسية على المستويين

---

[٣٢٩] W. Hölscher, Libyer und Ägypter (Hamburg, 1937), 32-34; J. Osing, Beziehungen zwischen Libyer und Ägypten, LÄ 3 (Wiesbaden, 1980), 1020-1023. وانظر أيضاً: جونتر فيتمان، مصر والأجانب في الألفية الأولى قبل الميلاد، ترجمة عبد الجواد مجاهد (القاهرة، ٢٠٠٩)، ٢٧–٣٢.

[٣٣٠] انظر: Assmann, Translating Gods, 29-30

[٣٣١] S. Uljas, Linguistic Consciousness. In: UCLA Encyclopaedia of Egyptology, J. Stauder-Porchet, A. Stauder & W. Wendrich (eds), (Los Angeles, 2013), 3.

اللغوي والكتابي. وكان بديهياً خلال هذه المدة الطويلة أن تتغير وظيفة التعلُّم وكذلك الصلة بين التخاطب والكتابة إذ تطورت الكتابة من لغة رسمية مختصة بالنصوص الدينية والملكية إلى لغة غير رسمية تقوم على تدوين النصوص الدنيوية والإدارية وصارت أقرب إلى اللغة المحكية. كما أن الانفتاح على الثقافات الأجنبية خلال عصر الإمبراطورية أو عن طريق إدماج العناصر الأجنبية من التجار والجنود المرتزقة إضافة إلى فترات الحكم الأجنبي، قد أفضت إلى استعارة عدد من المفردات الأجنبية وتطوير خطوط كتابية جديدة.[٣٣٢] فلم يعُد المصري بعد يحب البقاء في عقر داره، بل أخذ يجوب البلاد الأجنبية ويتعرّف على مجاهلها الطبوغرافية واللغوية والثقافية حتى أصبح كل نابغ في هذا الباب يُطلق عليه لفظ "ماهر"، وصار من علامات المعرفة والثقافة استعمال المتعلمين الماهرين الألفاظ الأجنبية السامية في أحاديثهم ومخاطباتهم. وخير دليل على ذلك بردية أنستاسي الأولى المؤرخة بعصر الرعامسة وفيها الكثير من الألفاظ الأجنبية المستعملة من قبل كاتبها الماهر ليميز نفسه عن نظيره الجاهل بها. وبإمكاننا أيضاً أن نلمس ذلك من خلال الاستعمال الرسمي للغة الأكَّادية السامية بين أروقة البلاط الملكي خلال عصر الدولة الحديثة لكونها لغة الدبلوماسية الدولية. علاوة على ظهور ظاهرة الاقتراض اللغوي من السامية إلى المصرية بدليل العثور على بعض نصوص التعاويذ السحرية المكتوبة بالخط الهيراطيقي والتي تشمل مفردات وتعبيرات سامية، وكذلك تضمين بعض كبار الموظفين لعدد غير قليل من الكلمات السامية في نصوصهم من باب الافتخار.[٣٣٣] غير أن التغيير الجذري على الصعيدين اللغوي والثقافي الذي حدث للمصريين خصوصاً طبقة الموظفين الكتبة، قد حدث إبان العصر الهلينستي (٣٢٣ – ٣١ ق.م) عندما تأغرقت مصر وامتزجت حضارتها مع الحضارة الهيلينية

---

[٣٣٢] حول التعرف على بعض التغيرات التي طرأت على اللغة المصرية القديمة وخطوط كتاباتها جراء تأثيرات داخلية وخارجية (٣٠٠٠ ق.م – ١٠٠٠ م)، انظر: O. ElAguizy & F. Haykal, Changes in Ancient Egyptian Language, in: Les Langues en Égypte, (Le Caire, 1996), 27-34. فيتمان، مصر والأجانب، ٣٧– ٣٩، ١١٨، ١٣٢، ١٥٣، ١٩٧.

[٣٣٣] Uljas, Linguistic Consciousness, 3.

نتيجة استمرار تدفق المهاجرين اليونانيين بأعداد كبيرة إلى مصر واندماجهم مع المصريين. بالإضافة إلى الإجراءات التي اتخذتها الأسرة البطلمية الحاكمة (٣٠٥ – ٣٠ ق.م) لتنفيذ مشروع الإسكندر الأكبر القاضي بعولمة مصر ومنطقة الشرق الأدنى القديم وصبغها بالصبغة الهيلينية.[٣٣٤]

وبالرغم من أن الحدود الطبيعية الآمنة قد وفرت الأمن والآمان للمصريين وحافظت على هويتهم اللغوية والعرقية والثقافية، إلا أنهم لم يتوانوا عن أداء واجبهم المقدس في الدفاع عنها وعن مصالحها أمام الهجرات البدوية التي لم تنقطع يوماً طوال تاريخها القديم. وكانوا يستعينون في حملاتهم التأديبية لصد المعتدين والمغيرين منذ عصر الدولة القديمة بالقبائل الموالية لهم من النوبة وليبيا مما اقتضى وجود مترجمين للتواصل والتفاهم معهم إضافة إلى معاونة القادة على التفاهم مع أهل المدن التي يفتحونها أو تُفتح لهم أبوابها من تلقاء نفسها. فقد حدث في عهد ثالث ملوك الأسرة السادسة، الملك ببي الأول، الذي حكم في النصف الثاني من القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، أن نزحت إلى فلسطين هجرات بدوية سماها المصريون باسم "عامو حريوشع" بمعنى بدو الرمال، أو القبليين الذين يعيشون على الرمال، ويحتمل أنها كانت فرعاً من الهجرات الأمورية التي انتشرت آنذاك على حدود الهلال الخصيب. وهددت هذه الهجرات سبل التجارة بين مصر وجيرانها، وحاولت أن تثير الاضطرابات وتعبر حدود مصر الشمالية الشرقية، الأمر الذي استدعى من فرعونها أن يكلف قائد الجيش المدعو وني بحماية تجارة مصر وحماية حدودها. فخرج على رأس خمس حملات، أربع عن طريق البر وخامسة عن طريق البر والبحر، محاصراً العدو بين فكي كماشة، وتكللت حملاته كلها بالنجاح على حد قوله. وذكر وني في نصوصه التي سجلها عن تلك الحملات بضع عبارات تكشف عن سياسة الحرب وتنظيم الجيوش في أيامه، علاوة على وجود المترجمين ضمن الوحدات

---

[٣٣٤] انظر: M. Vierros, Bilingualism in Hellenistic Egypt. In: Encyclopedia of Ancient Greek Language and linguistics, G.K. Giannakis (edit.), Vol. 1, A-f, (Leiden, 2014), 234-238.

العسكرية. فقد قص أن ملكه جنَّد تحت إمرته عشرات الآلاف الكثيرة من حاميات المدن وأهل الأقاليم الجنوبية والشمالية ومن جانبي الدلتا، فضلاً عن بعض أهل النوبة الموالين لمصر من قبائل إرثت ومچا وإيام وواوات وكاو، وبعض سكان الصحراوات الغربية من قبائل التمحو. كما أوفد معه طائفة من المترجمين وكبار الموظفين ورجال الدين الذين كانوا يثيرون حماس الجنود وتذكيرهم بآلاء الأرباب وضرورة الولاء للملك والرؤساء والحرص على تقاليد الدين.[٣٣٥] ويعبّر وني عن ذلك بقوله:" أرسلني جلالتي على رأس هذا الجيش حيث كان هناك النبلاء وحاملوا الختم الملكي وسمَّار القصر الوحيدين وشيوخ وعُمَد مدن الوجهين القبلي والبحري والسمَّار والمشرفون على المترجمين (إمي–را إعاو *jmy-rˁ iˁ3w*) وكبار كهنة الوجهين القبلي والبحري وزعماء الأقاليم على رأس قوات الوجهين القبلي والبحري، من القرى والمدن التي يحكمونها ومن النوبيين المنتمين إلى تلك البلدان الأجنبية."[٣٣٦]

والجدير بالذكر أن ثمة عامل آخر ساهم بدور كبير في الحفاظ على كيان اللغة المصرية طوال تاريخها الفرعوني وحث أصحابها على عدم ترجمة مفرداتها إلى اللغات الأخرى، ويتمثل هذا العامل في الاعتقاد المصري القديم بأن الترجمة تعمل على زوال قواها السحرية الكامنة في لغتهم المقدسة. وقد عبّر عن هذا الاعتقاد الراسخ في نفوس المصريين أصدق تعبير ما ورد في المتون الهيرميسية:" هيرميس ثلاثي العظمة (تريسماجستوس Trismegistus) يتكلم: في مقبل الزمان، ستصير تعاليمي أكثر غموضاً، عندما تترجم إلى اليونانية من لساننا المصري، حيث تشوه الترجمة كثيراً من معانيها. إن هذه التعاليم تبدو بسيطة واضحة في لغتنا الأم، حيث يردد صوت الكلمة المصرية معنى ما يُقصد بها. ولا بدّ من اتخاذ كافة الاحتياطات الممكنة حتى لا تفسد هذه النصوص المقدسة بالترجمة إلى اليونانية، التي هي لغة مغرورة، ضعيفة، متمظهرة، غير قادرة على احتواء القوة التي في كلماتي. إن اللغة اليونانية تنقصها قوة الإقناع،

---

[٣٣٥] عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ٣٨٤–٣٨٥.

[٣٣٦] W.K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, (London, 2003), 404; Urk I, 102:5.

والحكمة اليونانية لغو فارغ. لغتنا المصرية هي أكثر من مجرد كلمات، فإن مخارجها تفيض بالقوة."[٣٣٧]

وتستوقفنا هنا مسألة ربط الخيانة بالترجمة والمترجم كما قد يتراءى في التقليد المصري القديم، وهي تهمة أبدية تطاردهما معاً في بعض الثقافات الأخرى باعتبارهما خيانة. وهذا يتسق مع جدلية المقولة الإيطالية "traditore traduttore الترجمة خيانة / المترجم خائن" والمطروحة من منظور ثنائية الخيانة والأمانة على ساحة التنظير الترجمي. وتظهر الخيانة هنا في خيانة النصوص الأصلية وعدم الإخلاص لروحها، وتلاعب المترجم بها وإعادة إنتاجها بصورة لا تطابق ما كانت عليه في لغتها الأصلية بحيث تبدو كلاماً فارغاً لا معنى له. فالنصوص الأصلية مفعمة بروح الهوية الحضارية التي تعبر عنها اللغة الأم، ولا يمكن في ظن البعض نقلها إلى الآخر، وهو ما يعطيها قيمتها ومكانتها الرفيعة التي تنحط حينما تستضيفها لغة أخرى. وبالرغم من مصداقية هذا الأمر مع الترجمات الخائنة التي عمَدَ مترجموها إلى التحريف والتشويه خلافاً للترجمات الأمينة المتسمة بالصدق والأمانة والسلاسة مما يساهم في تجديد شباب النصوص المترجمة وتلاقح الثقافات الإنسانية ونشوء حضارات جديدة.[٣٣٨]

وأغلب الظن أن موقف المصريين من الترجمة باعتبارها خيانة للغتهم ناتج عن قداستهم للغتهم وشدة اعتزازهم بها وحرصهم على المحافظة علي كيانها، إلا أن هذا لم يمنع من تفاعلهم الثقافي مع أمم وشعوب العالم القديم التي تسابقت إلى ترجمة تراثهم الغني ونهلت الكثير من ينبوعه الفياض. فكل الشواهد المادية والفكرية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على انتقال العديد من انجازاتهم الحضارية العريقة إلى الحضارات الأخرى

---

[٣٣٧] تيموثي فريك، بيتر غاندي، متون هرمس، حكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة عمر الفاروق عمر (القاهرة، ٢٠٠٢)، ٣١-٣٢. Assmann, Translating Gods, 30-31.

[٣٣٨] انظر: برمان، الترجمة والحرف، ١٢، ١٣-١٦، ٥١، ٦٣، ١٠١-١٠٣، ١٠٦؛ سوزان باسنت، دراسات الترجمة، ٢٤.

والتي كانت أحد العوامل والركائز الرئيسية في نشوئها وتكوينها[٣٣٩] إلى درجة جعلت هيرودوت يقول:" إن المصريين متدينون إلى أقصى حد، أكثر من أي أمة في العالم ... لقد جاءت أسماء كل الآلهة من مصر .... فقد عُرفت كل الآلهة في مصر منذ الأزل."[٣٤٠] بالإضافة إلى تصريح أحد حكام مدينة جُبيل الفينيقية الذي عاش قبل هيرودوت بقرابة ستمائة عام حيث اعترف صراحة فيه بالأسبقية الحضارية لمصر والدور الحضاري لديانتها كونها ناقلة للحضارة إذ يقول:" أسس آمون كل البلدان بعد أن أسس أولاً أرض مصر حيث لم تأت من هناك فقط المهارة إلى البلد الذي أنا فيه، بل جاءت من هناك أيضاً المعرفة إلى المكان الذي أوجد به."[٣٤١] وتجذّرت هذه الصورة الزاهية عن مصر في أذهان وعقول سكان بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة على مدى قرون عديدة بدليل ما ورد في الأصحاح السابع من أعمال الرسل بأن موسى عليه السلام كان متفقهاً في حكمة المصريين.[٣٤٢] ويتفق ذلك مع ما أكدته غالبية المصادر الكلاسيكية التي اعتبرت مصر أصل جميع الأمم والأديان، وأن كل فلسفات ومعارف العالم قد استقت أصولها من كتبها المقدسة المترجمة.[٣٤٣]

---

[٣٣٩] P. Harper, A. Oliver, N.Scott and Ch. Lilyquis, Origin and Influence. Cultural Contacts : Egypt, The Ancient Near East, and the Classical World, The Metropolitan Museum of Art Bulletin, New York 29 (1970-1971), 318-326 وانظر بشأن الآراء حول تعلم أساطين الفلسفة اليونانية طاليس وفيثاغورث وأفلاطون من علوم المصريين القدماء التي كانت تزخر بها معابدهم ومكتباتهم، والتي سلبها ونهبها اليونانيون إثر دخول الإسكندر الأكبر إلى مصر وترجموها ونسبوها إلى أنفسهم: جورج جي. إم. جيمس، التراث المسروق، الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة، ترجمة شوقي جلال (القاهرة، ١٩٩٦)؛ عفاف فوزي نصر، الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية، (القاهرة، ٢٠١٥).

[٣٤٠] تيموثي فريك، بيتر غاندي، متون هرمس، ٢٥.

[٣٤١] Simpson, The Literature of Ancient Egypt, 141.

[٣٤٢] "فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ" (أعمال الرسل، الأصحاح السابع، الآية ٢٢).

[٣٤٣] Assmann, From Akhenaten to Moses, 104.

على أية حال، يبدو أن مخاوف الحكيم المصري القديم هيرميس ثلاثي العظمة كانت في محلها وصدقت نبوءته حينما تعاقبت العصور وحان الوقت الذي استشرت فيه حمَّى الأسرار المصرية والمجتمعات السرية في أوربا إبان القرن الثامن عشر الميلادي بناءً على ترجمات مغلوطة لمتون مصرية قديمة في المصادر اليونانية واللاتينية الكلاسيكية بما فيها المتون الهيرميسية. فقد كان الاعتقاد السائد في أوربا آنذاك أن ثمة ازدواجية دينية في مصر القديمة أولاهما باطنية توحيدية أو واحدِّية خاصة بالكهنوت والنخبة العارفة على عكس الأخرى التي تمثلها الديانة الرسمية العلنية المتماهية مع أفكار العوام المنقادين وراء طاعة ورهبة وأوهام حكامهم. ونتج عن ذلك قيام المصريين بأمرين للحيلولة دون امتزاج كلتا العقيدتين المتعارضتين وللحفاظ على سرية وطقوس لاهوتهم الباطني، فقد اخترعوا من ناحية نوعين من الكتابة إحداهما أيقونية مُطلسمة وهي الهيروغليفية التي كرسوها لنقل المعارف الباطنية والعلوم الإلهية ومنها الهيرميسيات المشتملة على الأسرار الكونية وحكمة آدم (عليه السلام) في زمن ما قبل الطوفان والتي اختزنها هيرميس ثلاثي العظمة في أحد المخابئ السرية. وعلى النقيض من ذلك كانت الكتابة الأخرى المتمثلة في الديموطيقية التي كانت جلية ومقروءة وشائعة الاستعمال بين عامة الناس. ومن جهة أخرى قاموا بتطوير شكلين معماريين كان أحدهما تحت الأرض للديانة الباطنية، بينما كان الآخر فوق الأرض للديانة العلنية الرسمية. وقد تبنت كثير من الحركات والجمعيات السرية في أوربا هذه الأفكار إذ كانت الربوبية دين التنوير، وكان يُعتقد أن تاريخها يرجع إلى اللاهوت الباطني للأسرار المصرية. وكان من بين هؤلاء الماسونيين والروزكروشيين (الصليبيون الورديون) وإلوميناتيين (المتنورون)، ووجدت صدى لها أيضاً في الأعمال الموسيقية (الناي السحري لموتسارت) والأدبية ("الصورة المحجوبة في سايس" لشيلر والعديد من القصائد والروايات الأخرى المتعلقة بطقوس القبول)، والفلسفية (كتاب "الأسرار العبرية" لكارل ليونهارد راينهولد، وكتاب "حجاب إيزيس" للمؤرخ الفلسفي والمفكر الفرنسي الكبير بيير هادو). حتى أن البعض ذهب إلى أن النبي موسى عليه السلام تعلم كل شيء عن الدين الحقيقي في الأسرار المصرية،

وأن الدين الذي أعطاه للعبرانيين ليس سوى نسخة شائعة للربوبية الباطنية المصرية. ولكن الترجمات العلمية الحديثة للكتابات والنصوص المصرية القديمة على أثر اكتشاف حجر رشيد وفك طلاسم اللغة المصرية القديمة قد أثبتت خطأ هذه الرؤى والأطروحات المبنية على ترجمات خاطئة وأفكار مغلوطة عن الحضارة المصرية القديمة كما تنبأ هيرميس ثلاثي العظمة في النص المذكور أعلاه. واتضح أن الهيروغليفية ليست تَّعمّية بل كتابة عادية مستخدمة للنقوش الحجرية، وأن الأبنية السفلية ليست سوى مقابر في العمارة الجنائزية المصرية القديمة.(٣٤٤)

وعلى صعيد آخر، فقد ساعد الموقع الجغرافي الفريد لمصر على كل من اتصالها بالعالم المجاور والتبادل التجاري، فهي في ملتقى القارتين الكبيرتين الآسيوية والأفريقية، ومنفذ حوض النيل الذي يمتد حتى أواسط أفريقيا، وتواجه قارة أوروبا في الشمال. كما تطل أيضاً على بحرين مهمين هما البحر الأحمر والبحر المتوسط حيث قام المصريون عبرهما بالعديد من الرحلات إلى كل من الساحل السوري وبلاد بونت (ربما عند بوغاز باب المندب على الجانبين الآسيوي والأفريقي) والتي سجلوها على آثارهم المادية وفي نصوصهم الأدبية. فعلى سبيل المثال تشير قصة الملاح الغريق من عصر الدولة الوسطى إلى رحلة بحرية تجارية عبر البحر الأحمر خلافاً لقصة ونآمون (حوالي ١٠٠٠ ق.م) حيث يقص فيها رحلته التجارية إلى الساحل الفينيقي، في حين تصور المناظر المصورة على جدران المعبد الجنائزي للملكة حتشبسوت (١٤٨١-١٤٧٢ ق.م) رحلة بونت الشهيرة بقصد التجارة في البحر الأحمر. وثمة ملاح مصري اسمه خنوم حوتب عاش في عصر الأسرة السادسة (٢٣٤٥-٢١٨١ ق.م) والذي يتفاخر برحلاته التجارية مع اثنين من رؤسائه إلى الساحل الفينيقي وساحل بونت والتي بلغ عددها إحدى عشرة مرة.(٣٤٥) وكان بديهياً أن تنشأ الترجمة التبادلية Mutual translation(٣٤٦) في ظل

---

(٣٤٤) انظر: Assmann, From Akhenaten to Moses, 95-112.

(٣٤٥) G.P. Gilbert, Ancient Egyptian Sea Power and the Origin of Maritime Forces, (Australia, 2008), 77; Urk, I, 140-141.

اتساع شبكة اتصالات مصر التجارية منذ تاريخها المبكر بجيرانها في بلاد الشام وبلاد النهرين وبونت وجزر البحر الإيجي التي أطلقوا على سكانها تسمية "الحاونبو"، وسعيها الدؤوب إلى تلبية احتياجاتها الاقتصادية وفتح أسواق تجارية لها أفريقياً وأسيوياً وأوربياً.

وقد لعب ميناء مدينة جُبيل الفينيقية (أو كبني كما سماها المصريون وبيبلوس كما سماها اليونانيون وهي حالياً في لبنان) دوراً هاماً في التجارة الخارجية المصرية حيث كان يتم عبره تصدير ورق البردي المصري إلى كافة أنحاء العالم القديم. ولذلك فإن الكلمة اليونانية "بيبلوس Biblos" المحتمل ظهورها في أوروبا في وقت يرجع إلى حوالي عام ١٠٠٠ ق.م، قد أُدخلت في اللغة اليونانية بمدلول كلمة "بابيروس papyrus" بمعنى "ورق paper". ويعد ظهور هذه الكلمة في اللغة اليونانية قبل سنة ٥٠٠ ق.م بعدة قرون دليلاً على وقت بداية دخول الورق في أوروبا، كما يعتبر اسمه غير اليوناني — يعني اسمه الأجنبي الذي اشتقَّت منه كلمة "bible" (لفائف البردي) ومعناها "التوراة" – دليلاً قاطعاً على أن ميناء مدينة جُبيل/ بيبلوس الفينيقية الواقع على ساحل سوريا الشمالي كان هو المصدر المباشر لأول ورق استعمل في أوروبا.[٣٤٧] فضلاً عن أن مصر كانت تستورد من خلاله كل ما تحتاج إليه من الأخشاب خصوصاً خشب الأرز ومعادن النحاس والرصاص والفضة والخيول والمنتجات مثل الزيوت والنبيذ والعسل والمصنوعات مثل العجلات الحربية والأواني الفضية والأحجار شبه الكريمة مثل اللازورد. وربما يبرر ذلك وجود جالية مصرية كبيرة هناك منذ عصر الأسرة الرابعة (حوالي ٢٦١٣-٢٤٩٤

[٣٤٦] يميز أسمان بين ثلاثة أنماط من الترجمة الثقافية وهي: الترجمة التوفيقية أو الترجمة إلى لغة وثقافة ثالثة ومثالاً على ذلك النصوص المعجمية الإلهية المترجمة التي ترد أصول أسماء وصفات الآلهة إلى مصدر كوني واحد، والترجمة الاستيعابية / التنافسية أو الترجمة إلى لغة وثقافة سائدة ومثالاً على ذلك قول هيرودوت بنسبة الآلهة اليونانية إلى مصر، وأخيراً الترجمة التبادلية في إطار شبكة التبادلات الاقتصادية والثقافية مثلما هو موجود في المصادر الاقتصادية البابلية . انظر: Assmann, Translating Gods, 34-36.

[٣٤٧] جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن (القاهرة، ١٩٥٦)، ٤١٧.

ق.م) على أقل تقدير[٣٤٨] حيث كان يوجد بينهم حتماً مترجمون يعملون على تسيير وتيسير الأمور الاقتصادية والمعيشية لأفراد هذه الجالية، وكذلك التنسيق مع المبعوثين التجاريين الموفدين إلى هناك لإبرام الاتفاقيات التجارية. وبطبيعة الحال كان من بين تلك الاتفاقيات المبرمة توريد خشب الأرز إلى مصر في عهد أول فراعنة الأسرة الرابعة، سنفرو، والمشحونة على متن أربعين سفينة حسب ما جاء في حجر بالرمو. علاوة على أن ثاني فراعنة الأسرة الخامسة، ساحورع (حوالي ٢٤٨٧-٢٤٧٥ ق.م)، قد قام بنفسه وحاشيته باستقبال السفن البحرية الكبيرة والمحمّلة بالسلع والبضائع حين عودتها من إحدى البعثات التجارية إلى الساحل الفينيقي وفقاً للمنظر المنحوت في معبد الشمس الذي شيده في أبو صير.[٣٤٩] ويلاحظ وجود عدد من السوريين الملتحين ضمن أفراد طاقم البحارة المصريين وجميعهم يرفعون أيديهم تبجيلاً للملك، ويحتمل أنهم بحارة سوريون قد شاركوا نظرائهم المصريين في العمل على المراكب التجارية البحرية المصرية لتسهيل عمليات الإبحار والتجارة والترجمة التبادلية بين الجانبين، أو أنهم عبارة عن مجموعة من الحرفيين السوريين الذين قدموا إلى مصر.[٣٥٠] وكان من الشخصيات البارزة في تلك البعثة المصرية شخصية المترجم الذي كان يقوم بينهم مقام السفير،[٣٥١] وهو الشخص الذي يتوسطهم في المنظر والمكتوب فوق صورته اللقب الذي كان يحمله وهو"إعاو *iʿ3w* " بمعنى "المترجم". (شكل ٨) ولذا أقترح أن صورة هذا المترجم المصري هي أقدم صورة لمترجم في التاريخ الإنساني وليس صورة المترجم الأكّادي كما هو متداول في المؤلفات العلمية الأجنبية والذي سنأتي على ذكره لاحقاً.

---

[٣٤٨] عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ٣٣٤. وانظر أيضاً: فيتمان، الأجانب في مصر، ٩٧-٩٨.

[٣٤٩] Gilbert, Ancient Egyptian Sea Power, 28, 33, 85.

[٣٥٠] Gilbert, Ancient Egyptian Sea Power, 145, n. 88; S. Vinson, Seafaring. In: UCLA Encyclopaedia of Egyptology, J. Stauder-Porchet, A. Stauder & W. Wendrich (eds), (Los Angeles, 2009), 3.

[٣٥١] عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ٣٧١.

وسجلت الآثار المصرية ظاهرة تقلد كبار حكام أسوان خلال عصر الأسرة السادسة (مثل إيري، حرخوف، مخو، سابني، و ببي نخت .... إلخ) اللقب المشار إليه سابقاً في نص قائد الجيش وني وهو لقب "المشرف على المترجمين/ إمي-را إعاو *jmy-rꜥ ỉꜥꜣw* " وفقاً لنقوش مقابرهم الصخرية في قبة الهوا غرب أسوان. وجاء ذلك نتيجة دورهم الحيوي في تأمين سبل التجارة وقيادة البعثات والرحلات الاستكشافية التجارية التي كان يرسلها ملوك هذه الأسرة إلى أفريقيا بهدف فتح أسواق للتبادل التجاري في مناطقها المأهولة.[٣٥٢] ويُعدّ رئيس المترجمين حرخوف (شكل ٩) من أشهر هؤلاء الحكام والرحالة المستكشفين التجاريين نحو الجنوب حيث قام بأربع رحلات سلك خلالها طريقين: طريقاً يوازي النهر والدروب القريبة منه، وطريقاً يصل بين الواحات عبر الصحراء الغربية. وتوضح ترجمة حياته المدونة على جدران مقبرته محاولاته المتكررة في الكشف عن طرق جديدة نحو الجنوب بقصد الاستكشاف التجاري، ومساعيه الحميدة لتسوية النزاعات الناشبة بين بعض القبائل الأفريقية المتناحرة والتي ما كانت لتتم لولا وجود مترجمين يجيدون لغات تلك القبائل. فضلاً عن مداومته على إرسال التقارير إلى بلاط مولاه لإخباره بخط سير رحلاته ونتائجها التي كانت مبعث افتخاره إذ يقول:" الحقيقة أنه لم يتسنَّ قط لأي سمير ومشرف على مترجمين القيام بذلك ممن وفدوا إلى بلاد يام من قبل".[٣٥٣] كما تفاخر رؤساء مترجمين آخرين من كبار حكام أسوان بالنشاط الاستكشافي في مجاهل أفريقيا المجهولة رغم الأخطار التي كانت تحدق بهم وأودت بحياة بعضهم، وكان على ذويهم ورفقائهم تنفيذ الأوامر الملكية والمغامرة لإحضار جثامينهم من تلك النواحي القاصية إلى موطنهم حتى يُكفَّنوا وتُجرى لهم كافة الطقوس والمراسم الجنازية

---

(٣٥٢) C. Falbo, Going back to Ancient Egypt: Were the Princes of Elephantine Really 'Overseers of Dragomans'?, The Interpreters' Newsletter 21 (2016), 109-114; Assmann, Translating Gods, 28.

(٣٥٣) Urk I, 125; 7-8. وللمزيد من التفاصيل عن حكام أسوان ورحلاتهم الاستكشافية التجارية نحو الجنوب، انظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج ١٠، (القاهرة، ١٩٩٤)، ٢٣-٤٦؛ عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ٣٨٨-٣٩٠. وانظر أيضاً: J. Roy, The Politics of Trade, Egypt and Lower Nubia in the 4^{th} Millennium BC, (Leiden, Boston, 2011), 245-284.

اللائقة. ومن بين هؤلاء رئيس المترجمين ببي نخت، الُمكنَّى باسم حقايب، الذي هبَّ لإحضار جثمان رفيق له من كبار الضباط البحريين وأحد رؤساء المترجمين (*jmy-rˁ iˁ3w*) وهو عنعنخت الذي قتله البدو الأسيويون (عامو حريو–شع) خلال رحلته إلى بونت عبر البحر الأحمر.(٣٥٤) فضلاً عن رئيس المترجمين سابني الذي عُهد إليه إحضار جثمان أبيه مخو الذي قتلته إحدى القبائل الأفريقية أثناء رحلته الاستكشافية، وبالفعل نجح في تنفيذ مهمته وتأدية واجبه الأخلاقي تجاه أبيه، وقال متفاخراً بأنه قام بذلك بنفسه بدلاً من إرسال" أي دليل صحراء أو مترجم أو نوبي" إلى المنطقة الخطرة.(٣٥٥)

وبالرغم من تعدد وتضارب الآراء والمناقشات حول دقة ترجمة اللقب *jmy-rˁ iˁ3w* سواء بمعنى "المشرف على القوافل"، أو "المشرف على المرتزقة"، أو المشرف على المستكشفين"، إلا أن غالبية الدراسات تميل إلى صحة ترجمته بمعنى "المشرف على المترجمين".(٣٥٦) ومن المحتمل أن هؤلاء المترجمين كانوا في الأصل من النوبيين المُتمصِّرين سواء الجنود منهم بخاصة الملتحقين بالحملات الاستكشافية التجارية، أو

---

(٣٥٤) BAR I, §360; Urk I, 134:13-17.

(٣٥٥) A. Hermann, Interpreting in Antiquity. In: The Interpreting Studies Reader, F. Pochhacker, M. Shlesinger (eds), (London, 2002), 16.

(٣٥٦) انظر ترجمة سيمبسون " المشرف على المتحدثين باللغة الأجنبية: Simpson, The Literature of Ancient Egypt, 404، وقارن ديلوين جونز الذي يترجمه "المشرف على المرتزقة الأجانب/ النوبيين المتمصرين": D. Jones, An Index of Ancient Egyptian Titles, Epithets and Phrases of the Old Kingdom, (Oxford, 2000), 73-76: 327-333. وانظر أيضاً دونالد ردفورد الذي يترجمها "مُرتَدو النقبة" ويرى أن المعنيين بتسمية *iˁ3w* هم عبارة عن وحدات شبه عسكرية تم استخدامها كقوات دعم أو ربما في جهاز الشرطة مثل المجاي في الدولة الحديثة: D.B. Redford, From Slave to Pharaoh: The Black Experience of Ancient Egypt, (Balitimore and London, 2004), 20. وهذا ما كان اكهارد ايشلر قد ذهب إليه من قبل إذ أطلق عليهم " قوات الدعم Hilfstruppen"، مفترضاً أنهم لم يكونوا "قوات شبه عسكرية" فحسب، بل ربما أيضاً عمال مناجم. E. Eichler, Untersuchungen zum Expeditionswesen des ägyptischen Alten Reiches. Edited by Friedrich Junge and Wolfhart Westendorf, Göttinger Orientforschungen IV. Reihe: Ägypten. (Wiesbaden, 1993),197.

غيرهم من أصحاب المهن الأخرى. ولكن من المؤكد أن مجاله الوظيفي قد توسع لاحقاً ليشمل المترجمين المصريين بدليل المترجم المصري المرموق الذي كان ضمن كبار المبعوثين إلى الساحل الفينيقي وفقاً للمنظر المصور في معبد ساحورع والمذكور أعلاه. وما يدل على إمكانية ارتباط الأصل اللغوي بالنوبيين هو أن الجذر الاشتقاقي لكلمة "إعاو *iꜥꜣw*" الدالة على الثرثرة واللغو ربما يكون من قبيل المحاكاة الصوتية من المصريين لأصوت النوبيين – وغيرهم من الأجانب عموماً– حينما كانوا يستمعون إليهم وهم يتحدثون بلغتهم، ظناً منهم أنهم يثرثرون بكلام غير مفهوم. فقد ورد في أحد النصوص عبارة "نحسي إعاو *nḥsy iꜥꜣw*" ومعناها "نوبي ثرثار".(٣٥٧) وبما أنها كلمة أصيلة نشأت نتيجة محاكاة صوتية، فقد استعملت ذات الكلمة للمفرد والجمع معاً للدلالة على المفرد أو على الجمع على حسب السياق، وهي المرحلة اللغوية الأوليّة المعروفة بمرحلة تعميم الدلالة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المصريين قد وثّقوا علاقاتهم بأهل النوبة منذ فجر التاريخ وازدادت علاقاتهم بها باستمرار نتيجة لاعتبارات كثيرة، أهمها: اعتبار المصريين منطقة النوبة السفلى الممتدة جنوبي أسوان جزءاً متمماً لحدودهم الجنوبية، ورغبتهم في تأمين الحياة عندهم والحد من شغب قبائلها غير المستقرة التي كثيراً ما دعاها الفقر إلى الاعتداء على مراكز الحدود وقوافل التجارة. بالإضافة إلى عملهم على استغلال محاجرها الممتازة كمحاجر الديوريت التي بدأ استخدامها منذ عصر الأسرة الرابعة على أقل تقدير، وربما كذلك استغلال مناجم الذهب في مناطقها الشرقية. ناهيك عن رغبتهم في فتح أسواق للتبادل التجاري في مناطقها المسكونة، ثم رغبتهم في اتخاذها سبيلاً ووسيطاً للاتصال بأراضي السودان الغنية بمنتجاتها الطبيعية ونباتاتها وحيواناتها.

---

(٣٥٧) للمزيد من معاني ودلالات هذا اللقب وأهم المناقشات العديدة التي دارت حولها، انظر: A. H. Gardiner, The Egyptian Word for 'Dragoman', PSBA 37 (1915), 117-125.; L.D. Bell, Interpreters and Egyptianized Nubians in Ancient Egyptian Foreign Policy: Aspects of the History of Egypt and Nubia, (Ph. D. Diss., Univ. of Pennsylvania, 1976); D. Vischak, Community and Identity in Ancient Egypt: The Old Kingdom Cemetery at Qubbet el-Hawa, (New York, 2015), 25-27; Falbo, Were the Princes of Elephantine Really 'Overseers of Dragomans'?, The Interpreters' Newsletter 21 (2016), 109-114; Uljas, Linguistic Consciousness, 2-3.

وقد ظهرت هذه الصلات والرغبات خلال عصر الأسرة السادسة على هيئة بعثات استكشافية ورحلات تجارية وحملات تأديبية.[٣٥٨]

ومن ثم يتضح أن هؤلاء المُشار إليهم بتسمية (إعاو *iꜥꜣw*) في نصوص كبار حكام أسوان خلال عصر الأسرة السادسة هم نوبيون مُتمصِّرون لغة وثقافة، وكذلك ممن جمعوا بين الدم المصري والدم النوبي وعرفوا اللهجات النوبية والسودانية وتفاهموا بها مع أهلها أثناء عملهم كتراجمة تحت قيادة مصرية من كبار رجال الدولة ليس في الحملات الاستكشافية والتأديبية فحسب، بل أيضاً في بعثات التعدين والتحجير والقطاعات الإدارية بالدولة.[٣٥٩] فقد اقتضت الحاجة اللغوية إلى وجود هؤلاء سواء في الجيش المصري[٣٦٠] أو الرحلات الاستكشافية التجارية أو بعثات التعدين والتحجير[٣٦١] حيث قاموا بدور الوسطاء اللغويين بين القادة المصريين وبين ذويهم النوبيين الذين لم يكونوا يعرفون اللغة المصرية. كما مارسوا نفس الدور مع أهاليهم المقيمين في بلاد النوبة ونواحيها حتى شمالي الخرطوم أثناء مشاركتهم في الرحلات الاستكشافية التجارية المتجهة إلى قلب مجاهل أفريقيا. والأرجح أن كلمة " إعاو *iꜥꜣw* " التي عبرت في اللغة المصرية القديمة عن معنى المترجم وعملية الترجمة قد تطور شكلها الكتابي والصوتي في نصوص الدولة الحديثة المتعلقة بالمترجمين المصريين إلى "اعع *ꜣꜥꜥ* [hieroglyphs] " بمعني "يثرثر، يتكلم لغة أجنبية"، أي مترجم، والتي دلت أيضاً على معنى "أجنبي".[٣٦٢] وهذا يبرهن من ناحية على صحة ترجمة الاصطلاح الأصلي بالتراجمة منذ بداية ظهوره للمرة الأولى في

---

[٣٥٨] عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ٣٨٨.

[٣٥٩] M.J. Adams, The Title xntjw-S in the Old Kingdom, (M.A. Thesis, Univ. of Pennsylvania, 2003), 25, 51, 74.

[٣٦٠] R.O. Faulkner, Egyptian Military Orgnization, JEA 39 (1953), 32-36.

[٣٦١] Hermann, Interpreting in Antiquity, 16; M. Chrobak, For a Tin Ingot: The Archaeology of Oral Interpretation, A Journal of Literary Translation Special Issue (2013), 93.

[٣٦٢] L.H. Lesko, A Dictionary of Late Egyptian, I, (B.C. Scribe Publications, 2004), 2; Wb I, 3.

نصوص الأسرتين الخامسة والسادسة. ومن ناحية أخرى ربما يعزز ذلك أيضاً حقيقة ارتباط أصله الاشتقاقي بالثرثرة النوبية والتي طالت لاحقاً جميع اللغات الأجنبية باعتبارها في نظر المصريين لغو غير مفهوم على غرار نظرة اليونانيين للغرباء ولغاتهم (بارباروس barbaros). وهناك اصطلاح آخر من عصر الدولة الوسطى يدل على المترجم وهو "وحع مدوت *wḥꜥ mdwt*" بمعنى "مترجم اللغات، مفسر اللغات، فَهِيم اللغات"، وهو الاصطلاح المدون في لوحة المتحف المصري (CG 20765) المذكورة أعلاه حيث جاء فيها على لسان صاحبها: "وحع مدوت خاسوت نبت *wḥꜥ mdwt ḫ3swt nbt* [hieroglyphs]" أي "مترجم لغات كل البلدان الأجنبية".(٣٦٣) وهذا الاصطلاح النادر ربما يمثل فذلكة مقصودة من صاحبها ليبرهن على شطارته ونباهته وحنكته في إتقان اللغات الأجنبية لأن المقطع الأول منه وهو "وحع *wḥꜥ*" يتضمن كل هذه المعاني.(٣٦٤)

وبالإضافة إلى الحالة السابقة التي تفاخر فيها صاحبها ببراعته في إتقان اللغات الأجنبية، فإنه يتوفر لدينا أيضاً حالة أخرى من نفس العصر وهي لمثقف مصري أشار إلى إجادته الكتابة بخطي الحاونبو، وهو الاسم المصري لسكان جزر الحوض الشرقي من البحر المتوسط. ويدفع هذا إلى أن العلاقات التجارية الدولية بين مصر وكريت وغيرها من جزر بحر إيجه لم تخل من أثر في الحياة الثقافية للجانبين. كما يدل أيضاً إلى إمكانية وجود جاليات إيجية تجارية في المدن المصرية الكبيرة والموانئ المتصلة بها في الشام، واتصال المصريين بها ومعرفتهم بكتابات ولغات أهلها. ولذا يُفترض أنه كان هناك مترجمون مصريون في البلاط الفرعوني يقومون على قراءة الرسائل الإيجية التي ترد إلى مصر ويردون عليها بلغة أهلها.(٣٦٥) ويبدو أن خطي الكتابة الكريتية اللتين أتقنهما المثقف المصري كانا متعلقين بالكتابة التصويرية (الهيروغليفية A والهيروغليفية

---

(٣٦٣) S. Kubisch, Lebensbilder der 2. Zwischenzeit Inschriften der 13.-17. Dynastie, (Berlin und New York, 2008), 306-309, Abb.31 und Taf. 10d.

(٣٦٤) انظر: Lesko, A Dictionary, 123-124; Wb I, 348.

(٣٦٥) انظر: عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، ٢٦٨.

B الكريتيتان) المستعملة منذ العصر الوسيط المينوي الأول والثاني المتزامن مع عصر الدولة الوسطى. ففي العصر الوسيط المينوي الأول (حوالي ٢١٠٠ – ١٩٠٠ ق.م) تم استعمال الكتابة التصويرية A، بينما استعملت في العصر الوسيط المينوي الثاني (حوالي ١٩٠٠–١٧٠٠ ق.م) الكتابة التصويرية B التي استمر أثرها على ما يبدو إلى نهاية هذا العصر في حوالي ١٥٥٠ ق.م قبل أن تظهر إلى جانبها أشكال كتابية خطية وتحل محلها نهائياً منذ عام ١٥٥٠ ق.م. وهي الأشكال الكتابية الخطية المؤرخة بالعصر الوسيط المينوي الثالث (حوالي١٧٠٠–١٥٥٠ ق.م) حينما استعملت الكتابة الخطية أ Linear A في الفترة ما بين ١٧٠٠–١٤٥٠ ق.م تقريباً، والكتابة الخطية ب Linear B في الفترة ما بين ١٤٥٠ – ١٢٠٠٠ ق.م تقريباً. وبالرغم من أن أصل الكتابة التصويرية الكريتية ما يزال غامضاً، ولكن هناك من يرى تأثرها بشكل قوي بالكتابة الهيروغليفية المصرية المحتمل اقتباسها منها نظراً للتشابه في بعض العلامات والاحتفاظ بالمخصصات Determinatives في نهاية مفرداتها[٣٦٦] خلافاً للكتابة المسمارية.[٣٦٧] ولكن ليس هذا معناه عدم تأثرها بالكتابة المسمارية السومرية خصوصاً وأنها كانت مستعملة على نطاق واسع في منطقة الساحل السوري المتصل تجارياً وثقافياً بقبرص والعالم الإيجي منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد استناداً إلى الأرشيف الإيبلوّي.

أما في الدولة الحديثة المعروفة أيضاً بعصر الإمبراطور المصرية (حوالي ١٥٥٠– ١٠٦٩ ق.م)، فلم تهتم مصر كثيراً بتمصير الولايات السورية والفلسطينية الخاضعة تحت نفوذها وسيادتها زهاء خمسة قرون. واكتفت بالتبعية السياسية والإدارية من خلال نشر حاميات عسكرية من فرق الجيش تساعد النواب المصريين الممثلين عن البلاط الفرعوني

---

[٣٦٦] انظر: يوهانس فريدرش، تاريخ الكتابة، ١٠٢–١٠٩. وانظر أيضاً الجزء الخاص بالكتابة الخطية الثانية (الصفحات: ٧٦–١٠٣)، وكذلك الجزء الموسوم بعنوان الكتابة الخطية الأولى (الصفحات: ١٨٢– ١٩٩) من ترجمة محمد عبد الغني في كتاب اللغات المفقودة: لغز كتابات العالم المطلسمة، لمؤلفه أندرو روبنسون، (الإسكندرية، ٢٠٠٣).

[٣٦٧] عامر سليمان، اللغة الأكدية، ٦٤.

لرعاية الشئون المصرية، ويكونوا همزة الوصل بين الملك والحكام المحليين التابعين له ومراقبتهم والتأكد من إخلاصهم وولائهم. كما انتهجت مصر منذ عهد تحتمس الثالث (١٤٧٩-١٤٢٥ ق.م) سياسة تربية أطفال هؤلاء الحكام التابعين مع أولياء العهد بالقصور الملكية، وهي السياسة التي كانت ذات ثلاثة وجوه سياسية وثقافية وسيكولوجية: فهم عبارة عن رهائن لدى الملك المصري يمكن استغلالهم ضد أية ثورة أو تمرد يقوم به آباؤهم، كما أنهم بتربيتهم في مصر كانوا يتعلمون اللغة المصرية ويتشبعون بثقافة أهلها ويُكوِّنون علاقات مع الأمراء المصريين وكبار رجال الدولة يكون من شأنها توطيد روابط الصداقة بينهم بما يضمن في المستقبل تعزيز وتقوية علاقاتهم على أساس التفاهم والتعاون المشترك. وبالتالي، سيكون هؤلاء الأمراء خير سفير للغة والثقافة المصرية والإخلاص للمصريين عقب رجوعهم وجلوسهم على عروش آبائهم حتى أنه تواجد هناك عدد من الأمراء الذين احتفظوا بولائهم. ناهيك عن إتاحة الفرصة لرؤية معالم القوة المصرية التي تتضاءل أمامها قوتهم المحلية وتعميق هذا الشعور داخلهم.(٣٦٨)

ولكن عدم انشغال مصر بتمصير ولاياتها في بلاد الشام ليس معناه غيابها على ساحتها الحضارية حيث تأثرت تلك المنطقة بإرثها الأخلاقي والروحي وارتبطت به ارتباطاً عميقاً من خلال الإطلاع عليه وترجمته واقتباس الكثير منه خصوصاً مناطقها الساحلية الغربية ومناطقها الجنوبية. فقد كانت هذه المناطق هي الأكثر تفاعلاً وتجاوباً مع المصريين منذ بداية العصور التاريخية خلافاً لمناطقها الشرقية والشمالية الشرقية الأكثر تجاوباً مع حضارات بلاد النهرين. وتبرهن الأدلة الأثرية المادية واللغوية على أن إرث الإنسانية الأخلاقي والروحي مشتق من ماضٍ إنساني واسع المدى أقدم بدرجة عظيمة من ماضي العبرانيين، وأن هذا الإرث لم ينحدر إلى الإنسانية منهم، بل جاء من

---

(٣٦٨) انظر: J. K. Hoffmeier, Aspects of Egyptian Foreign Policy in the 18th Dynasty in Western Asia and Nubia. In: Egypt, Israel and the Ancient Mediterranean World: Studies in Honor of D. B. Redford, by G. N. Knoppers and A. Hirsch (eds), Probleme der Ägyptologie 20 (Leiden and Boston, 2004), 125-126; D. Panagiotopoulos; Foreigners in Egypt in the Time of Hatshepsut and Thutmose III, in: Thutmose III, A New Biography, E.H. Cline and D. O'Connor (eds), (Michigan, 2006), 399-400.

المصريين عن طريق الفينيقيين الكنعانيين.[٣٦٩] فالتقدم الحضاري في الممالك والإمارات الفينيقية الكنعانية المحيطة بفلسطين كان أقدم بعدة آلاف من السنين من التقدم العبراني، وأصبح جلياً الآن أن التقدم الاجتماعي والأخلاقي والروحي الناضج الذي حققه المصريون الذي يعد أقدم من التقدم العبراني بثلاثة آلاف سنة، قد ساهم مساهمة فعلية في النصوص الأدبية العبرية للتوراة. فقد بدأ المصريون يبسطون سيطرتهم على الساحل الفينيقي قبل أن يطأ العبرانيون فلسطين بأكثر من ألفي سنة حيث اقتحمت الجيوش المصرية فلسطين في النصف الثاني من القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بقيادة القائد وني لصد الهجرات البدوية الآمورية. ولما فتح الفراعنة المصريون آسيا الغربية ووصلوا في فتحهم إلى نهر الفرات خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد، بقيت فلسطين مستعمرة في أيديهم حوالي خمسة قرون. والواقع أنهم حكموا فلسطين مدة قرنين بعد دخول العبرانيين فيها، وبذلك بلغت المدنية الكنعانية مرتبة سامية في القرون التي احتلتها فيها مصر، فلما غزاها العبرانيون كانت قد اصطبغت مراراً وتكراراً بالعناصر المصرية. وكان من نتائج ذلك أن العبرانيين حينما دخلوا فلسطين صاروا على اتصال مباشر بتلك الحضارة الفينيقية الكنعانية الممزوجة بالعناصر المصرية، فضلاً عن اكتساب المدنية الكنعانية عناصر ثقافية كثيرة من صنع الفينيقيين أنفسهم نتيجة مرورها في تجارب اجتماعية طويلة. ولذلك كان من المحتم أن يتأثر العبرانيون في فلسطين كل التأثر في أفكارهم وكتاباتهم بآداب تلك الأمة العريقة التي قبضت على زمام فلسطين ووضعتها تحت سيطرتها الثقافية والسياسية مدة طويلة.

---

[٣٦٩] أفرد اللاهوتي وعالم المصريات برستد فصلاً كاملاً عن هذا الموضوع بعنوان: مصادر إرثنا الخلقي، في كتابه: فجر الضمير، ٣٦١-٤١٤. وكان برستد أول من أماط اللثام عن أوجه الشبه المثيرة بين الأنشودة الأخناتونية والمزمور ١٠٤ في أطروحته للدكتوراة ببرلين عام ١٨٩٥ بعنوان: أنشودة الشمس تحت حكم أمنحوتب الرابع المهرطق"، دراسة مقارنة بين الأنشودة الكبرى والمزمور ١٠٤ De Hymnis in Solem sub Rege Amenophide IV conceptis," comparing the Great Hymn and Psalm 104
للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع والآراء المختلفة حول التوحيد الأخناتوني، انظر: Assmann, From Akhenaten to Moses, 61-78.

ومن المُسلَّم به أن الأنشودة التوحيدية الأخناتونية قد انتشرت في آسيا الغربية قبل ظهور المزامير العبرية بزمن طويل، فقد انتهى أمنحوتب الرابع أخناتون من تأليفها قبل منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وقد وجدت أرضاً خصبة لانتشارها بين الفينيقيين وغيرهم في الأراضي السورية الفلسطينية حيث حدث فيها بالضرورة عدة تغيرات بعد ترجمتها عبر مراحل زمنية مختلفة إلى بعض اللهجات السامية من اللغات واللهجات المحلية كالفينيقية أو الآرامية وكذلك العبرية. على أنه بفحص محتويات الفقرات المشابهة لها من المزمور ١٠٤ المذكور أدناه، يتكشف بجلاء الشبه المدهش بين الصورتين ليس فقط من ناحية مضمون أنشودة أخناتون، بل أيضاً في تتابع الأفكار وترتيبها الظاهري حيث بقي ذلك في النسخة الآسيوية كما كان في أنشودة أخناتون. ولا يمكن بحال أن تكون تلك المشابهات من قبيل الصدفة، بل إنها بالعكس دليل على وجود جزء كبير من تلك الأنشودة منشوراً بشكل معدل في المزامير العبرانية. كما كان لها بالغ التأثير في تكوين النظرة الإلهية العالمية التوحيدية لدي العبرانيين إذ صار يهوه وحده في نظرهم إلهاً عالمياً ومسيطراً على العالم وسائر الأمم. وفيما يلي موازنة بين ما ورد في نشيد أخناتون والمزمور ١٠٤ التوراتي:[٣٧٠]

- الأنشودة الأخناتونية: "ما أكثر تعدُّد أعمالك، إنها على الناس خافية، يا أيها الإله الأحد. خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان، وجميع ما على الأرض، مما يمشي على رجليه، وما في عليين مما يطير بأجنحته."
- المزمور ١٠٤؛ ٢٤: "مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلآنَةٌ الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ."

---

[٣٧٠] برستد، فجر الضمير، ٣٠٤، ٣٩٣-٣٩٦.

ومن الثابت أيضاً أن الفصول الثلاثين المؤلفة لتعاليم وحِكم أمينموبي (آمون إم وبت)[٣٧١] والمحفوظة في المتحف البريطاني (B.M. 10474)، كانت ذائعة في المناطق الفينيقية الكنعانية حيث تُرجمت نسخة منها إلى العبرية وقرأها العبرانيون قبل أن يُكتب أي شيء من التوارة التي ضمت قسماً كبيراً وهاماً منها لاحقاً. فعلماء المصريات يُجمعون الآن على تأريخ تأليف تلك التعاليم المصرية بعصر الدولة الحديثة (نهاية الأسرة الثامنة عشر وبداية الأسرة التاسعة عشرة، أي في بدايات القرن الثالث عشر قبل الميلاد) بالرغم من أن المخطوطات البردية المستنسخة ترجع إلى الأسرة الحادية والعشرين (القرن العاشر قبل الميلاد).[٣٧٢] وأغلب الظن أن النسخة المترجمة في فلسطين الكنعانية كانت تحمل عنوان "ثلاثون فصلاً في الحكمة" والذي تم اختصاره إلى "ثلاثون" المشار إليه في الترجمة التوراتية ضمن الجزء الموسوم بعنوان "كلمات الحكماء". وقد استقى صاحب هذه التعاليم كثير من حكم ومأثورات أسلافه من الحكماء والمصلحين الاجتماعيين المصريين منذ الألف الثاني قبل الميلاد الذين كرّسوا جهادهم المقدس في سبيل العدالة الاجتماعية والسمو الأخلاقي ويقظة الضمير والشعور بالرقابة الإلهية والإيمان بالقدر والاتكال على المشيئة الإلهية. فجميع علماء الكتاب المقدس الذين يُعتد بآرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون بأن محتويات الجزء الذي يؤلِّف نحو فصل ونصف فصل من "كتاب الأمثال" قد أُخُذ معظمه بالنص عن تعاليم هذا الحكيم المصري المُشبَع بروح أسلافه العظام؛ أي إن النسخة العبرية هي تقريباً ترجمة حرفية عن الأصل المصري الموغل في القدم. فضلاً عن أن هذا الأصل المصري يصحح الكثير من الكلمات والعبارات التي نقلها المترجم العبري وأخطأ في ترجمتها المترجمون للرواية المنقحة من كتاب العهد القديم التي أقر بها الملك جيمس ملك إنجلترا عام ١٦١١م. وهكذا وجدت

---

[٣٧١] حول الاقتباسات المترجمة من تعاليم أمينموبي في العهد القديم، انظر: برستد، فجر الضمير، ٣٩٦–٤٠٧. وانظر أيضاً: J.R. Black, The Instruction of Amenemope: A Critical Edition and Commentary, (Ph. D. Diss., Univ. of Wisconsin-Madison, 2002), 249-396.

[٣٧٢] Black, The Instruction of Amenemope, 237-243; Simpson, Literature of Ancient Egypt, 223.

تعاليم الحكيم المصري سبيلها في كتاب العهد القديم وشاعت في عدة مواضع منه حيث أصبحت مصدراً لتلك الأفكار والمبادئ والمشاعر الأخلاقية. وفيما يلي بعض الأجزاء القليلة من تعاليم وحِكم أمينموبي وترجمتها في سفر الأمثال:

- أمينموبي ٣؛ ٧-١٠: "أَمِلْ أذنيك لتسمع أقوالي، واعكف قلبك على فهمها؛ لأنه شيء مفيد إذا وضعتها في قلبك. ولكن الويل لمن يتعداها."
- سفر الأمثال ٢٢؛١٧-١٨: "أَمِلْ أُذْنَكَ وَاسْمَعْ كَلاَمَ الْحُكَمَاءِ، وَوَجِّهْ قَلْبَكَ إِلَى مَعْرِفَتِي، لأَنَّهُ حَسَنٌ إِنْ حَفِظْتَهَا فِي جَوْفِكَ، إِنْ تَتَثَبَّتْ جَمِيعاً عَلَى شَفَتَيْكَ."
- أمينموبي ٩؛ ٥- ٨: "الفقر في يد الرب خير من الغنى في الهُرْيُ (البيت الكبير الممتلئ بالطعام). وأرغفة تنالها بقلب فرح خير من ثروة تحرزها في تعاسة."
- سفر الأمثال ١٥؛ ١٦-١٧: "اَلْقَلِيلُ مَعَ مَخَافَةِ الرَّبِّ، خَيْرٌ مِنْ كَنْزٍ عَظِيمٍ مَعَ هَمٍّ. أَكْلَةٌ مِنَ الْبُقُولِ حَيْثُ تَكُونُ الْمَحَبَّةُ، خَيْرٌ مِنْ ثَوْرٍ مَعْلُوفٍ وَمَعَهُ بُغْضَةٌ."

ونظراً لأن مراعاة السلوك اللائق في مصر من جانب شباب الموظفين كان ضرورياً لمن كان يريد مستقبلاً ناجحاً، فقد أكدت نصائح أمينموبي على ما ورد في نصائح الحكيم بتاح حوتب الذي نصح بها ابنه في القرن السابع والعشرين قبل الميلاد. وهذه النصائح فيما يختص بالسلوك في حضرة كبار المسؤولين تتفق مع الحياة المصرية القديمة أكثر بكثير مما تتفق مع الحياة العبرية، ورغم ذلك لم يتردد المترجم التوراتي في توصية قومه المعاصرين له باتباع آداب اللياقة المصرية الرسمية، ومن تلك النصائح:

- أمينموبي ٢٣؛١٣-١٨: "لا تأكل الخبز في حضرة رجل عظيم. ولا تَعْرض فمك في حضرته. وإذا أشبعت نفسك من طعام محرم. فإن ذلك ليس إلا لذة ريقك. وانظر فقط (وأنت على المائدة) إلى الوعاء الذي أمامك وكن مكتفياً بما فيه."
- سفر الأمثال ٢٣؛ ١-٣: "إِذَا جلَسْتَ تأكُلُ معَ الأسيادِ، فَتَأَمَّلْ مَا هُوَ أَمَامَكَ تَأَمُّلاً. وَضَعْ سِكِّيناً لِحَنْجَرَتِكَ إِنْ كُنْتَ شَرِهاً. لاَ تَشْتَهِ أَطَايِبَهُ لأَنَّهَا خُبْزُ أَكَاذِيبَ."

وعلى صعيد آخر، فإن عدم انشغال مصر بمسألة نشر لغتها خارج حدودها ليس معناه انعدام معرفتها وانتشارها بين جيرانها القريبين والبعيدين بدليل الإشارات الواردة في المصادر الأدبية المصرية[٣٧٣] والكتابات الهيروغليفية المكتوبة على بعض الألواح الأوجاريتية، علاوة على المترجمين الذين كانوا يتقنونها ويجيدون الكتابة بخطها الهيروغليفي في البلاطات الملكية البابلية والآشورية والحيثية. وتذكر إحدى القصص المصرية الشهيرة وهي قصة ونآمون أنه أثناء رحلته البحرية إلى بعض المدن الساحلية في بلاد الشام كان يتفاهم مباشرة مع الأمراء والموظفين تدليلاً على شيوع لغته المصرية هناك عقب القرون الطويلة التي ارتبطت مع مصر فيها خلال الدولة الحديثة. كما يحكي أنه تحدث مع الملكة القبرصية حاتيبا (حاطيبا) عبر مترجم شفوي يجيد اللغة المصرية هناك إذ يقول: " ألقيت عليها التحية وقلت لهؤلاء الذين كانوا معها:" ألا يوجد بينكم من يفهم اللغة المصرية (سچمي مدت كمت *sḏmy mdt kmt*)؟" وقال شخص منهم:" أنا أفهمها (چد.تو.ى سچمي *ḏd. tw.i sḏmy*)!" وقلت له:" حسناً، أخبر سيدتي أن ..."[٣٧٤]

واللافت للنظر هنا أمران أولهما استعمال الفعل "يفهم" للتعبير عن الترجمة على اعتبار أن الفهم شرط ضروري لممارسة الترجمة. فالترجمة شكل من أشكال التفكير، وأن عملية النقل من لغة أصل أو مصدر إلى ما يقابله أو يعادله في لغة هدف لا يتم بطريقة آلية وإنما بفهم المترجم الذي يقوم لاحقاً بتأويل ما فهمه. ولذا يقتضي فعل الترجمة فهم وإدراك معاني الكلام أو النص المراد ترجمته، أي تفكيك رموزه ونقل دلالاتها إلى لغة أخرى. وقد دفعت فكرة اقتران الترجمة بالفهم المفكر والناقد الأدبي المعروف چورج شتاينر إلى القول

---

[٣٧٣] على سبيل المثال قصة سنوهي وقصة ونآمون. Uljas, Linguistic Consciousness, 3 وبالإضافة إلى ذلك، انظر أيضاً بشأن الآثار المصرية المنقوشة باللغة المصرية والمكتشفة في المناطق الفينيقية الآسيوية أو منطقة البحر المتوسط: فيتمان، الأجانب في مصر، ٩١، ٩٢- ٩٥، ٩٧-١٠٠.

[٣٧٤] J.M. Galán, Four Journeys in Ancient Egyptian Literature, (Göttingen, 2005), 153; A.H. Gardiner, Late-Egyptian Stories, (Brussels, 1932), 75; 4-6.

"أن نفهم معناه أن نُترجِم".[٣٧٥] أما الأمر الثاني فهو الاسم السامي للملكة القبرصية حاطيبا(*ḥ3tib3*) والذي يعني "جامعة الحطب، كسّارة الحطب"[٣٧٦] أو "حمّالة الحطب"، وهو أمر ليس بغريب نظراً لإمكانية خضوع قبرص للسيطرة الفينيقية في تلك الفترة المبكرة على أثر انتشارهم الاستيطاني التجاري.[٣٧٧] ولو لم يكن هذا الاسم المذكور للملكة الفينيقية القبرصية اسمها الشخصي، فمن المفترض أنه عبارة عن كُنية دينية نتيجة دورها في طقوس قرابين النار والتكفير الشائعة لدى الساميين، والتي تتطلب منها بحكم سلطتها الكهنوتية تقديم الحطب رمزياً لإيقاد النار في الُمحرّقات المقدسة.[٣٧٨] وتذكرنا هذه الكنية (حمّالة الحطب) بامرأة أبي لهب في القرآن الكريم، وهي أروى بنت حرب ابن أمية أخت أبي سفيان بن حرب، والتي كانت من سادات نساء قريش.[٣٧٩]

وتؤكد المصادر المصرية القديمة خلال عصر الدولة الحديثة على أهمية الدور السياسي والدبلوماسي والعسكري الذي كان يقوم به المترجمون الملكيون في الداخل والخارج حيث اختصت طائفة منهم بترجمة الرسائل الأجنبية التي ترد إلى الملوك والرد عليها بلغة أهلها. وبينما تقلد البعض منهم أرقى المناصب الدبلوماسية ومثّلوا ملوكهم وبلدهم في الخارج، فقد شارك آخرون في الحملات العسكرية بجوار فراعنتهم. ولعل من أشهر مترجمي الرسائل الملكية هم المترجمون المنتسبون إلى الأرشيف الملكي العمارني في عهد الملك أمنحوتب الرابع أخناتون. ويحوي هذا الأرشيف مئات الرسائل الدبلوماسية

---

[٣٧٥] انظر : برمان، الترجمة والحرف، ١٧.

[٣٧٦] T. Schneider, Asiatische Personennamen in ägyptischen Quellen des Neuen Reiches, (Freiburg, Göttingen, 1992), 173:367.

[٣٧٧] فيتمان، الأجانب في مصر، ٩٠-٩١.

[٣٧٨] انظر : روبرتسن سميث، محاضراتي في ديانة الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب (القاهرة، ١٩٩٧)، ٢٨٧-٤١٥.

[٣٧٩] انظر ملاحظة فيتمان في حاشية كتابه المترجم (رقم ٢٨) حيث يشير فيها إلى حمالة الحطب في القرآن الكريم: فيتمان، الأجانب في مصر، ٣٠٨.

الأجنبية المكتوبة باللغة الدبلوماسية الدولية الأكَّادية بخطها المسماري والتي كان هؤلاء المترجمون مختصين بترجمتها إلى اللغة المصرية قبل عرضها على الفرعون، ثم يردون عليها بنفس اللغة. وتكشف بعض الألواح المدرسية المكتشفة في تل العمارنة عن أحد جوانب طرق تعلم الكتبة المصريين للغات الأجنبية خصوصاً اللغة الأكَّادية إذ كان الكاتب يبدأ بتعلم مفرداتها بجانب الرموز المقطعية المسمارية من خلال قوائم معجمية تضم كلمات أكَّادية وما يقابلها في المصرية، وقوائم أخرى مكتوبة بالعلامات المسمارية وتهجئتها بالطريقة الصوتية. ثم ينتقل إلى مرحلة تالية يقرأ الكاتب فيها أهم الأعمال الأدبية المدونة بالأكَّادية، وهو ما يفسر العثور على ألواح أخرى منقوشة بنصوص أسطورية وملحمية رافدينية.[٣٨٠]

ومن المحتم أن المترجم والمبعوث الملكي المدعو خاني الذي يرد اسمه بكثرة في رسائل تل العمارنة كان من بين الذين اجتازوا بنجاح هذه المراحل التعليمية قبل دخوله معترك الترجمة والدبلوماسية وتصقله الخبرات العملية والحياتية حتى نال شهرة كبيرة بفضل مهاراته اللغوية وحنكته الدبلوماسية. وتبرز مهاراته اللغوية خلال مرافقته للرسول الملكي المدعو ماني في إحدى المهام الدبلوماسية إلى الدولة الميتانية حيث أثنى ملكها توشراتا على تميز أدائهما في رسالة بعث بها إلى أمنحوتب الرابع أخناتون إذ يقول:" ماني، رسول أخي، وخاني مترجم أخي، اللذان كرّمتهما كالآلهة. لقد أغدقت عليهما هدايا كثيرة وعاملتهما بكل حفاوة؛ لأن تقريرهما كان ممتازاً. في كل شيء عنهما، لم أر قط رجال بمثل هذا المظهر. فلتحمهم آلهتي وآلهة أخي".[٣٨١] كما تشهد حادثة الدوخامنسو (تصحيف حيثي للقب المصري تاحمت نسوت بمعنى الزوجة الملكية) على حنكته الدبلوماسية في المفاوضات التي أجراها باسم ملكته عنخس ان آمون مع الملك الحيثي شوبيليوليوما الأول (حوالي ١٣٤٤-١٣٢٢ ق.م)، وقدرته على تهدئته وامتصاص

---

(٣٨٠) Tarawneh, Amarna Letters, 272, 273, 276.

(٣٨١) انظر: Tarawneh, Amarna Letters, 275-276; Meier, The Messenger in the Ancient Semitic World, 164-165; R.H. Wilkinson, Pharaoh's Land and Beyond Ancient Egypt and Its Neighbors, (Oxford, 2017), 12, 85.

غضبه. فقد استشاط هذا الملك غضباً من الطريقة التي خاطبته به في رسالتها وتوبيخها له على شكوكه في صدق نواياها بشأن مطالبتها بالزواج من أحد أبنائه وتنصيبه ملكاً على مصر خلفاً لزوجها المتوفى الملك توت عنخ آمون. وثمة تطابق بين نص رسالة الملكة الأرملة التي عُثر على بعض أجزائها وبين الوثائق الحيثية الرسمية التي سجلت تفاصيل هذه الحادثة وتداعياتها الكارثية على الجانب الحيثي (مقتل الأمير الحيثي المرشح للزواج من الأرملة الملكية المصرية، وتفشي وباء الطاعون بين الحيثيين حاصداً الكثير من أرواحهم إثر انتقاله إليهم من الجنود المأسورين في الحملة الانتقامية على شمال سوريا)، مما يدل على أمانة النقل والترجمة من لغة أصل إلى لغة هدف.[٣٨٢] وبالرغم من أن تلك الحادثة كانت سبباً في تجدد اشتعال الحرب بين الطرفين المصري والحيثي والتي استعرت أوارها خلال حكم الملك رعمسيس الثاني، إلا أنها خدمت في نهاية المطاف عقب إبرام معاهدة السلام وبدء مرحلة جديدة من التفاهم والصداقة، وهي المعاهدة التي أشرف على ترجمتها وصياغتها باللغتين المصرية والأكَّادية هيئة من كبار المترجمين الملكيين في البلاط الرعامسي.

وكان بعض هؤلاء التراجمة المثقفين يرافقون ملوكهم في الحملات العسكرية نظراً لانخراطهم في السلك العسكري البحري والبري قبل تقاعدهم وتقلدهم أرقى الوظائف المدنية والكهنوتية مثل أنحورمس الذي شغل عدة مناصب هامة في عهد الملكين رعمسيس الثاني وابنه مرنبتاح. وكان من بين تلك الوظائف البارزة التي تقلدها بجانب عمله كمترجم هي كبير كهنة الإله أنحور ورئيس الكهنوت الطيبي والكاتب الملكي والمشرف على المخازن.[٣٨٣] وهذا ما عبّر عنه في ترجمة حياته المدونة على جدران مقبرته في نجع المشايخ بالقرب من أبيدوس حينما يقول:" الكاتب الملكي وكاتب قوات

---

[٣٨٢] لمزيد من التفاصيل حول ظروف وتداعيات هذه الحادثة ومصادرها النصية، والدور الدبلوماسي الذي قام به خاني مع الملك الحيثي واختلاف الآراء حول تعريف صاحبة الرسالة بالملكة عنخس ان آمون والأسباب الداعية إلى مطابقتها بها، انظر: Bryce, Letters of the Great Kings, 178-188

[٣٨٣] R.G. Morkot, Economic and Cultural Between Kush and Egypt, (Ph.D. diss., Univ. of College London, 1993), 59- 60.

النخبة لرب الأرضين، وكبير الكهنة الرائيين للإله رع في ثينيس، والكاهن الأعلى للإله أنحور ... كنت محبوباً من سيده (الحوري) ومفيداً لمعبوده دون أن يتراخى قلبي عن أن أكون فعّالاً لأجل الـ كا الخاصة بهما ... وكنت يقظاً على السفينة بدون نُعَاس، وكان باستطاعة البحارة النائمين الاتكال عليّ، وكنت شجاعاً في البر دون أن يصيبني إعياء ... وكنت كاتب جحافل الجنود والفرسان التي لا تحصى ولا تعد، ومترجماً (اعع/اعاو *iꜥ3w ḫ3ꜥꜥ*) لكل بلد أجنبي في حضور سيدها."[٣٨٤] (شكل ١٠)

كما حفلت مقابر النبلاء بتل العمارنة بصور المترجمين ضمن مناظر استقبال الوفود والبعثات الأجنبية في البلاط الفرعوني التي وفدت إلى مصر لأغراض سياسية ودبلوماسية مختلفة وهي: تمثيل ملوكهم وبلدانهم في المشاركة في الاحتفالات الرسمية، أو نقل الرسائل الملكية المتضمنة مشاعر الود والصداقة بين ملوكهم والملك المصري، أو تقديم الجزية دلالة على ولاء وتبعية الحكام التابعين للسيادة المصرية، أو تقديم الهدايا لتوطيد أواصر الصداقة والتعاون المشترك، أو طلب العون والمساعدة العسكرية والاقتصادية. كما تسلط هذه المناظر الضوء على الواجبات الوظيفية الرئيسية لكبار موظفي القصر الملكي والتي كانت تتطلب منهم استقبال المبعوثين والسفراء الأجانب والاستماع إليهم سواء بالاتصال المباشر معهم أو عن طريق المترجمين المرافقين لهم أو مترجمي البلاط الفرعوني وذلك قبل السماح لهم بالمثول بين يدي الفرعون. وكان يتم أحياناً الاكتفاء بالاستماع إليهم، ثم يقومون بنقل رسائلهم إلى الفرعون قبل أن يُطلعوهم على رده عليهم. وربما يمكن تمييز أشكال المترجمين المصريين في تلك المناظر عن طريق صورهم المزدوجة حيث كان يتم تصوير أحدهم مرتين بنفس المنظر كأنه شخصين لا شخص واحد جرياً على مبدأ الازدواجية في الفكر المصري القديم. والهدف من ذلك هو التعبير عن دورهم المزدوج بين الطرفين المصري والأجنبي بما يتفق مع وظيفتهم اللغوية الثنائية التي تفرض على صاحبها التعامل مع جهتين مختلفتين ونقل

---

(٣٨٤) E. Frood, Biographical Texts from Ramessid Egypt, (Atlanta, 2007), 107; fig. 6, 108-109.

الكلام من وإلى كل جهة بحسب لغتها.[٣٨٥] (شكل ١١) أما إذا كان المنظر لا يعبر عن حوار تبادلي بين الوفد الأجنبي والملك، فقد كان يتم الاكتفاء بتصوير المترجم الملكي مرة واحد وهو يترجم لفرعونه ما يقوله المبعوثون الأجانب كما هو مصور في مقبرة الحاجب الملكي توتو حيث يخاطب المترجم فرعونه قائلاً:" تقول البلدان الأجنبية المُحمّلة بجزاهم:" فليحيا رع ونفر خبرو رع (أخناتون)، نحن رعيتك لأبد الآبدين." (شكل ١٢)

ومن المناظر الأخرى التي تصور مترجماً مصرياً المنظر الذي يعتقد البعض خطأً أنه يمثل أقدم صور المترجمين المصريين، وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء محفوظة حالياً في متاحف ليدن وڤيينا وبرلين بعدما كانت تزين أحد جدران مقبرة حورمحب بسقارة خلال تقلده منصب الوزير وقيادة الجيش المصري قبل تبوئه عرش البلاد. والمنظر يشير إلى زيارة مبعوثين أجانب قَدِموا إلى مصر من إحدى المناطق الخاضعة لنفوذها طلباً للنجدة والمساعدة وحمايتهم من المغيرين، وقد عبّروا عن معاناتهم ومناشداتهم واستعطافاتهم للملك المصري توت عنخ آمون (حوالي ١٣٢٤-١٣٢٥ ق.م) بعبارات ترجمها المترجم الشفوي إلى الوزير حورمحب الذي قام بدوره بعرض فحواها على فرعونه إذ يقول له:" لا يملكون شيئاً ليعتاشوا عليه .. أراضيهم تتضور جوعاً ويعيشون كالحيوانات في البراري." ومن الملاحظ تصوير الوزير حورمحب تصويراً مزدوجاً نظراً لازدواجيه دوره الوظيفي الذي كان يستلزم منه استقبال الوفود الأجنبية والتحقق من طلباتهم والتماساتهم وعرضها لاحقاً على فرعونه. أما صورة الملك توت عنخ آمون فقد تم حجبها واكتفى الفنان بالتعبير عن وجوده ضمنياً بخطاب الوزير الموجه إليه، وانحناءة مرافقيه من كبار رجال

---

(٣٨٥) J.M. Galán Allué, Aspectos de la diplomacia del Antiguo Egipto. Hasta CA 1320 A.C. Sefarad: Revista de Estudios Hebraicos, Sefardíes y de Oriente Próximo, 55 (1995), 105-126.

الدولة في الصف العلوي من المنظر تمجيداً وتبجيلاً له، وانبطاح المبعوثين الأجانب على الأرض خضوعاً له واستعطافاً لقبول مناشداتهم.(٣٨٦) (شكل ١٣)

والجدير بالذكر أن حورمحب وكذلك توتو كانا من كبار الموظفين العمارنيين الذين تقلدوا أيضاً منصب المتحدث الرسمي الملكي الذي كان يعهد الملك إلى صاحبه إدارة الأمور السياسية وتنفيذ الأوامر الملكية داخل وخارج البلاد. ولذا وقع على عاتقهما مسؤولية استقبال الرسل والسفراء والمبعوثين الأجانب والفصل في أمورهم قبل عرضها أو الإذن لأصحابها للمثول أمام الفرعون بدليل ما قاله توتو على جدران مقبرته بالعمارنة: " كنت الفم الأعلى للبلاد قاطبة .... وبخصوص المبعوثين من كل البلاد الأجنبية، فقد أعلنت كلماتهم للقصر الملكي؛ لأني كنت مع الملك كل يوم، وكنت أخرج إليهم بوصفي الرسول الملكي وبحوزتي أوامر جلالته".(٣٨٧)

ومن الإشارات الدالة على الترجمة والمترجمين في العصر المتأخر ما ورد في كتاب هيرودوت الثاني عن مصر حيث ذكر أن أول ملوك الأسرة السادسة والعشرين الصاوية، بسماتيك الأول، قد أوصى بتكوين طائفة من التراجمة لتيسير التواصل والتفاهم بين الوافدين اليونانيين وهيئات الجيش والبلاط والإدارة إضافة إلى أغراض التجارة والزيارة، وكان نواتها عدد مختار من الصبية المصريين النابهين. وكان من البديهي أن يوصي ذلك الملك بمثل هذا الأمر نتيجة استعانته بالمرتزقة اليونانيين في الجيش المصري واتخاذه منهم حرساً خاصاً وحاميات للحدود، فضلاً عن زيادة توافد التجار اليونانيين الذين عملوا لحسابهم في مصر، ووسطاء تجاريين بينها وبين بلادهم.(٣٨٨) ولا نعلم مدى صدق رواية المؤرخ اليوناني ديودور الصقلي حول هذا الملك بأنه ذهب إلى أبعد من ذلك

---

(٣٨٦) I. Kurz, Das Dolmetscher-Relief aus dem Grab des Haremhab in Memphis. Ein Beitrag zur Geschichte des Dolmetschens im alten Ägypten, (Babel 32: 2, 1986), 73–77; Galán Allué, Aspectos de la diplomacia, 123.

(٣٨٧) N. de G. Davies, El Amarna, 6, (London, 1908), 14, 15, 27, pl. 19.

(٣٨٨) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، ٤٣٦–٤٣٧.

إذ ربى أولاده تربية يونانية مما دفع البعض إلى افتراض أنه علمهم اللغة اليونانية.[٣٨٩] كما يُعتقد أيضاً أنه كان لديه مستشار ومترجم كاري يُدعي بيجرس، وهو أحد الأسماء الكارية والليكية الشائعة الذي تسمى به أيضاً المترجم الخاص لحاكم ولاية آسيا الصغرى الفارسي الأخميني، قورش الأصغر،[٣٩٠] المعروف بتمرده وعصيانه على أخيه الملك ارتاكسيركسيس الثاني. فقد قاد هذا الحاكم جيشه المدعوم بالمرتزقة اليونانيين من مدن الساحل الأيوني (الكاريين والليكيين والكيليكيين) لاغتصاب العرش من أخيه، ولكنه انهزم ولقي حتفه في معركة تل الكنيسة بالعراق سنة ٤٠١ ق.م.[٣٩١]

ويخبرنا هيرودوت عن تكوين هذه الطائفة من المترجمين المصريين بقوله:" وأعطى بسماتيك الأول الأيونيين والكاريين الذين ساعدوه أراضي ليسكنوها، بعضها قبالة البعض يمر النيل في وسطها، وتسمى المعسكرات، منحهم هذه الأراضي ووفَّى لكل بما كان قد وعد به. كما أنه عهد إليهم بصبية مصريين ليتعلموا اللغة اليونانية. ومن هؤلاء الذين تعلموا انحدر التراجمة (هيرمينياس ἑρμηνέας / hermēneas) الحاليون بمصر."[٣٩٢] ثم عاد وتحدث عن طائفة المترجمين المعاصرين له والذين قابلهم وتكلم معهم خلال زيارته إلى مصر حيث عدّهم ضمن طوائفها الاجتماعية السبع إذ يقول:" وتوجد سبع طبقات من المصريين تسمى: طبقة الكهنة، وطبقة المحاربين، ورعاة البقر، ورعاة الخنازير، والتجار، والمترجمين، والملاحين."[٣٩٣] وقد ضمت طبقة المترجمين بالإضافة إلى المصريين الخُلَّص مترجمين مُتمصِّرين وآخرين من عناصر أجنبية يونانية وفينيقية بدليل

---

[٣٨٩] سليم حسن، مصر القديمة، ج١٢ (القاهرة، ١٩٥٧)، ٣٦-٣٧.

[٣٩٠] فيتمان، مصر والأجانب، ٢١٣،٢٠٠.

[٣٩١] انظر: علي شحيلات، عبد العزيز إلياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق، تاريخ العراق القديم، ج ٥، عصر الاحتلال (٥٣٩ ق.م – ٦٣٧ م)، (بغداد، ٢٠٠٧)، ٥٠- ٥٣.

[٣٩٢] محمد صقر خفاجة، هردوت يتحدث عن مصر، ٢٨٦. Herodotus, 2:154

[٣٩٣] محمد صقر خفاجة، هردوت يتحدث عن مصر، ٢٩٧. Herodotus, 2:164

العثور على تراجمة بأسماء غير مصرية. وكان من بينهم حتماً مرشدين سياحيين مثل الترجمان اليوم والمترجمين الذين التقى بهم هيرودوت.[٣٩٤]

ولم يَجِد خلفاء بسماتيك الأول عن سياسته في الاعتماد على الجنود المرتزقة الأيونيين والكاريين إضافة إلى الفينيقيين، وأُطلقت على الفرقة العسكرية المنضوي تحت لوائها المرتزقة الأيونيين والكاريين بقيادة مصرية تسمية "المتحدثين بلغة أجنبية". ويمكن التدليل على ذلك بالمخربشات الصخرية اليونانية والكارية والفينيقية المحفورة على سيقان التماثيل العملاقة للملك رعمسيس الثاني في معبد أبو سمبل والتي خلّفها ورائهم بعض هؤلاء المرتزقة المشاركين في حملة بسماتيك الثاني على النوبة في عام حكمه الثالث (٥٩٣ ق.م). وكان بوتاسيمتو هو الصيغة المتأغرقة التي استعملها المرتزقة الأيونيون والكاريون لاسم قائدهم المصري بيتو سماتاوي (بادي سماتاوي، أي "عطية توحيد الأرضين")، في حين كان يقود الجيش المصري ومعه المرتزقة الفينيقيين القائد أمازيس (التهجئة اليونانية للاسم المصري أحمس)، والمذكور عندهم بالصيغة الفينيقية "حمس".[٣٩٥]

وتجدر الإشارة هنا إلى الاختلاف الواضح بين سياسة بسماتيك الأول وبين سياسة أحد أسلافه الفراعين وهو ثاني ملوك الأسرة العشرين رعمسيس الثالث (١١٨٦ – ١١٥٥ ق.م) بالرغم من اعتماده هو الآخر على جنود مرتزقة نوبيين وليبيين وآسيويين وإيجيين وحيثيين في وحدات الجيش المصري. فلم يتهاون رعمسيس الثالث في مسألة لغته المصرية ويعهد إلى هؤلاء الأجانب بتعليم مصريين لغاتهم حتى ينشئ جيلاً من التراجمة كما فعل بسماتيك الأول، بل عمل على تمصيرهم لغوياً وثقافياً بدليل ما ورد في أحد نصوصه بمدينة هابو:" استولى على بلاد التمحو والليبو والمشوش، وجعلهم يجتازون

---

[٣٩٤] فيتمان، مصر والأجانب، ١٠٢.

[٣٩٥] انظر: فيتمان، مصر والأجانب، ١٠٠-١٠١، ٢٠٦؛ P.C. Schmitz, The Phoenician Contingent in the Campaign of Psammetichus II against Kush, Journal of Egyptian History 3.2 (2010), 321-337.

النهر، وأحضرهم إلى مصر. وأُسكنوا في حصون للملك الظافر، وسمعوا لغة الناس (أي لغة المصريين)، ليكونوا في خدمة الملك. وألغى لغتهم وبدَّل ألسنتهم (أي لغاتهم)، وسلكوا طريقاً لم يطرقوه من قبل."[٣٩٦] والمعنى المجازي للفقرة الأخيرة يدل على توجيههم إلى طريق الحياة السليم والذي يشير إلى عملية التمصير.[٣٩٧] وقد يكون سبب الاختلاف بين الحالتين مرجعه تباين المواقف السياسية لدى كل من الملكين وطريقة نظرتهما إلى الأمور والحكم عليها جراء اختلاف ظروف ومتطلبات كل عصر ووضع البلاد خلال فترة عهديهما. فقد كانت مصر لا تزال تتمتع بقسط وفير من قوتها العسكرية والسياسية والاقتصادية إضافة إلى الاحتفاظ بمعظم ممتلكاتها في الخارج إبان حكم رعمسيس الثالث، ومدى انعكاس ذلك على تعميق وترسيخ شعوره بالتفوق والاعتزاز القومي وتأسيس تصرفاته على سلطة قاهرة. وعلى النقيض من ذلك كان الموقف أيام بسماتيك الأول حيث كانت مصر قد خرجت للتو من صدمة الغزو الآشوري والاحتراب الداخلي واضطراره إلى الاعتماد على المرتزقة اليونانيين لتوطيد دعائم ملكه والسعي نحو استعادة السيادة الأجنبية في بلاد الشام إثر انهيار الإمبراطورية الآشورية في منتصف القرن السابع قبل الميلاد. وربما دفعه ذلك إلى الإعجاب بالتجربة اليونانية على الصعيدين العسكري والتجاري وما ترتب عليهما من تحالفات عسكرية وتجارية تلبي حالة الصحوة التي شهدتها البلاد آنذاك، ولكنها كانت صحوة مؤقتة لكثرة التحديات الخارجية وتقليدها إنجازات الأزمنة الغابرة.

واللافت للنظر هنا في نص رعمسيس الثالث ذكر عبارة (بغر.ف را.و.سن *pḫr.f r3.w.sn* "هو (أي الملك) بدّل ألسنتهم (أي لغاتهم)") الدالة على تغيير وتبديل وتحويل اللسان والتي تذكّرنا بالاصطلاح السومري إيمي – بال" *eme-bal*، أي "مُبدّل اللسان (أي اللغة)"، الدال على معنى المترجم. ويمكننا أن نتخيل أن هؤلاء الليبيين المسموح لهم بالدخول السلمي إلى مصر والاستقرار فيها قد خضعوا لعملية تمصير، إلا أنهم حافظوا

---

(٣٩٦) KRI 5, 91:5-7; KRITA 5, 70: 5-7.

(٣٩٧) فيتمان، مصر والأجانب، ٣٠.

حتماً على لغتهم الأم التي أورثوها إلى أولادهم وأحفادهم من الجيل الثاني وربما الثالث. ونتج عن ذلك ازدواجيتهم اللغوية الدالة على عملية التكيف والاندماج الحضاري والتي ساعدتهم أيضاً في العمل كوسطاء لغويين خلال انخراطهم في الجندية المرتزقة وبقية الأعمال الحرفية والإدارية الأخرى في المؤسسات الملكية. غير أن الوضع قد اختلف تماماً مع الأجيال اللاحقة التي كانت متمصرة تماماً بدليل ندرة المفردات الليبية في الوثائق الرسمية والشخصية خلال الحكم الليبي طوال الأسرات الثلاث من الثانية والعشرين حتى الرابعة والعشرين.

وإذا تطرقنا إلى الموروثات المكتوبة باللغات أجنبية المكتشفة في مصر إضافة إلى رسائل تل العمارنة المؤرخة بأواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد والتي لطالما أُشير إليها آنفاً، فإن الوثائق الآرامية هي من أوفر وأغنى الموروثات الأخرى في الألف الأولى قبل الميلاد إذ إنها تنافس في وفرتها وغناها رسائل تل العمارنة الأكَّادية والوثائق اليونانية لاحقاً. وعلى الصعيد اللغوي فإن أهمية الوثائق الآرامية في مصر ترجع إلى وجود تطابقات كثيرة في بنيتها وصياغتها النحوية واللغوية مع الوثائق المصرية الديموطيقية جراء ترجمتها بعض التعابير والأساليب المصرية الأصيلة. بالإضافة إلى اقتباسها العديد من التراكيب النحوية والاصطلاحات القانونية المقتبسة من الأكَّادية بلهجتها الآشورية الحديثة والديموطيقية وانصهارهما فيها، علاوة على استعارتها مفردات مصرية وفارسية. أما على الصعيد الحضاري فإنها تمس في المقام الأول الحياة اليومية والظروف المعيشية للجاليات الأجنبية في سونو (مدينة أسوان) خلال العصر الفارسي الأخميني والتي ضمت آراميين ويهوداً وفينيقيين، وعلاقاتهم فيما بينهم من جهة وبين المصريين من جهة أخرى. فهي لا تتحدث عن ساميين ومصريين فحسب، بل تتحدث أيضاً عن مختلف الأجانب الآخرين (بعض اليونانيين والبابليين والخوارزميين والفرس) حيث يبرز بجلاء التعدد والتنوع العرقي والثقافي قبل العصر الهلينستي.

ويرجع تاريخ هذه الوثائق إلى الفترة ما بين ٥٠٠ و ٤٠٠ ق. م، واكتشف الجزء الأعظم منها في عاصمة إقليم أسوان وهي جزيرة إلفنتين حيث كانت مقر الحاكم الفارسي

وقائد الحامية العسكرية الرابضة في عدة حصون هناك والتي ضمت جنوداً مرتزقة خصوصاً من الآراميين الوثنيين واليهود وآخرين من سائر أنحاء الإمبراطورية الفارسية. ولكن انخراط هؤلاء في الجندية لم يمنع دون عمل بعضهم في الزراعة، وأن يتملكوا تبعاً لذلك بعض الأراضي المحدودة، وأن يرافق بعضهم قوافل التجارة إلى الجنوب، ويعمل بعض آخر جباة ضرائب في خدمة الفرس. ولم يكن هؤلاء المجندون يعيشون بمفردهم في تلك المستعمرة الآرامية اليهودية، وإنما عاش معهم أسرهم وأناس آخرين مدنيين ورجال دين وتجار كانوا يقومون بتوريد ما يحتاجونه ويحتاج إليه المواطنون المصريون من منتجات وسلع محلية وأجنبية. ولم تخل الحياة هناك من توترات تشتد حيناً وتهدأ حيناً آخر خصوصاً بين اليهود والمصريين والتي أسفرت في إحدى فتراتها عن تدمير المعبد اليهودي في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وهي التوترات التي لم تنتج عن تعصب ديني ضدهم بقدر ما كانت صدى لثورة عامة ضد المحتلين وأعوانهم من اليهود. فقد اعتاد هؤلاء على احتقار العادات والموروثات المصرية انطلاقاً من نظرتهم المتعالية والمتغطرسة تجاه الأغيار، فضلاً عن أنهم كانوا من أدوات المحتل الفارسي وعيوناً له على الوطنيين المصريين الذين تتضرروا بشدة جراء ذلك ولم يسلموا أيضاً من أذى المرابين اليهود. ومن أشهر الأعمال الأدبية الآرامية المرتبطة بالأدب المصري القديم خصوصاً في مجال الحكمة قصة أحيقار الحكيم التي ذاع صيتها في العالم القديم وتُرجمت إلى عدة لغات منها السريانية الآرامية والعربية والأرمينية والتركية والحبشية والسلافية القديمة. فقد كان كاتب تعاليم عنخ شاشنقي الديموطيقية من العصر البطلمي على دراية كبيرة بمخطوطة حكمة أحيقار الآرامية سواء بنسختها السورية الأصلية أو نسختها المتداولة في إلفنتين خلال القرن الخامس قبل الميلاد، علاوة على ترجمتها إلى المصرية الديموطيقية في العصر الروماني.[٣٩٨]

---

[٣٩٨] انظر: عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، ٤٥٦-٤٦٣؛ فيتمان، مصر والأجانب، ١١٨-١٤٧. وبخصوص العلاقة بين تعاليم عنخ شاشنقي وقصة ومأثورات أحيقار الحكيم، انظر: M. Lichtheim; Late Egyptian Wisdom Literature in the International Context: A Study of Demotic Instructions, (Freiburg, Göttingen, 1983), 13-21.

وأخيراً وليس بآخر، فقد انفردت الحضارة المصرية بالنظر في مسألة التواصل اللغوي الأجنبي بعد الموت، فلم يكن الإله چحوتي (تحوت) هو القاضي الذي يدافع عن الموتى الأجانب في قاعة العدل عند حسابهم أمام أوزير لتقرير مصيرهم الآخروي فحسب، بل كان أيضاً مترجمهم الذي يحقق التواصل فيما بينهم هناك.[٣٩٩] ويشير الفصل رقم ١٢٥ من كتاب الموتى في نسخته الديموطيقية إلى هذا الإله بصفته (إعاو تاو.ي *iꜥꜣw tꜣw.y*) "مترجم الأرضين"، أي مترجم مصر،[٤٠٠] فضلاً عن أنه كان إله الحكمة والمعارف والعلوم والمواقيت ورسول كبير الآلهة إلى العالمين السماوي والأرضي والعليم بكواشف وغوامض الأسرار الكونية. وقد ربط اليونانيون بينه وبين معبودهم هيرميس وقاموا بمطابقتهما ودمجهما، واختصوا هذا الإله المصري بتسمية "ثلاثي العظمة" (مثلث الرحمات في التصوف الإسلامي) ونسبوا إليه المتون الهيرميسية، وعُرف لاحقاً بعدة أسماء أخرى مثل أنوس وأنوخ وخنوخ عند اليهود، وعند الفرس انبحهد، وعند الصابئة بوذا سيف، وعند المسلمين إدريس النبى، فضلاً عن أسماء أخرى عديدة. ويبدو أن كلمة الهيرمنيوطيقا أو التأويلية قد جاءت من اللفظ اليوناني ἑρμηνεύω (hermenia) الذي يعني القول والتعبير والتأويل والتفسير، والتي اشتقت من ἑρμηνεύς (هيرمينوس hermeneus) بمعنى المترجم والترجمان والمُفَسّر كما ورد في تواريخ هيرودوت المشار إليها أعلاه. وهذا الاشتقاق ربما يرتبط باسم المعبود هيرميس، رسول الآلهة والوسيط بينهم وبين البشر ومخترع الكتابة والكلام والتأويل كونه المُفسِّر للمعاني والرموز اللغوية والرسائل الإلهية المنقولة بواسطته إلى البشر، وكلها صفات مرتبطة أصلاً بالمعبود المصري چحوتي. ومن hermenia اليونانية اشتقت الكلمة الإنجليزية hermeneutics، والتي ارتبطت منذ نشأتها بالتراث اللاهوتي اليوناني المتأثر

---

(٣٩٩) Chrobak, The Archaeology of Oral Interpretation, 94; Simpson, Literatuer, 276.

(٤٠٠) F. Lexa; Das Demotische Totenbuch der Pariser Nationalbibliothek, Papyrus des Pamothes, (Leipzig, 1910), 32; III 20; C. Leitz, Lexikon der ägyptischen Götter und Götterbezeichnungen, vol. 3, (Leuven/Paris/Dudley, 2002), 12; M.A. Stadler, Weiser und Wesir, Studien zu Vorkommen, Rolle und Wesen des Gottes Thot im ägyptischen Totenbuch, (Tübingen, 2009), 388-391.

بنظيره المصري، ومن بعده بدوائر الدراسات التراثية اللاهوتية اليهودية والمسيحية على أصول دينية مرتكزة على القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المُفسِّر لفهم النص الديني وتأويله تأويلاً صحيحاً. ولكن مجالها اتسع في القرن التاسع عشر بفضل الفلاسفة الألمان لتطال كافة التأويل النصي مما نقلها من مجال المقدس إلى مجال العلوم الإنسانية حتى صارت منهاجاً معرفياً لها باعتبارها علوماً تأويلية تتأسس على الفهم. كما صارت نظرية تأويلية متكاملة تتمتع بمقومات النظرية العملية بالسؤال والإجراء والهدف وجعل الفهم ميزة لها مثلما هو ميزة رئيسية لعملية الترجمة كما ذكرنا آنفاً.[٤٠١]

الترجمة والمترجمون في مصادر بلاد النهرين

تمتعت بلاد النهرين بموقع جغرافي متميز كان له أهمية تجارية كبيرة في العالم القديم حيث كان ملتقى طرق القوافل وواسطة الاتصال ما بين مناطق البحر المتوسط ومناطق المحيط الهندي والشرق الأقصى والهند والبلدان الشرقية بالطرق البرية، ثم عن طريق الخليج العربي إلى القارة الهندية.[٤٠٢] ولعبت المؤسسات الدينية بجانب المؤسسات السياسية دوراً اقتصادياً كبيراً إذ كانت من أهم المراكز التجارية النشطة نظراً لاتساع اتصالاتها الداخلية والخارجية، فضلاً عن ضخامة أملاكها وثرواتها الخاصة ومعاملاتها الاقتصادية شبه المستقلة وشتى الطوائف المختلفة العاملة فيها سواء من الكهنوت أو الموظفين أو العمال. وتتطلب هذا النشاط التجاري المحموم وجود الترجمة والمترجمين لتسهيل حركة المعاملات والأنشطة الاقتصادية وصياغة العقود والاتفاقيات التجارية

---

[٤٠١] انظر: لويس مينار، هرمس (المثلث العظمة)، ترجمة عبد الهادي عباس، (سوريا، ١٩٩٨)، ٥-٩؛ تيموثي فريك، بيتر غاندي، متون هرمس، ١٣-١٤، ١٧-١٨؛ جاسم حميد جودة، هبة محمد رحيم، الهرمينوطيقا والتشكل المعرفي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، ع ٣٢ (٢٠١٥)، ٣٠٥-٣٠٦؛ عادل مصطفي، مدخل الي الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير (بيروت، ٢٠٠٣)، ١٧، ٢٤-٢٥، ٣٢؛ عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب/ دمشق، ع ١٣٣ (٢٠٠٨)، ٨٤-١٠٨.

[٤٠٢] انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ٤١-٤٥.

المبرمة ومد جسور التواصل والتفاهم مع شتى الوفود التجارية من داخل وخارج البلاد. ولذلك كان من البديهي العثور على أولى الوثائق الدالة على ظهور عملية الترجمة ومهنة المترجمين ضمن الوثائق الاقتصادية العديدة داخل المؤسسات الرسمية كالمعابد والقصور الملكية. فقد عثر في تل أبو الصلابيخ الأثري (الدغارة بمحافظة القادسية العراقية) على أحد أقدم الشواهد النصية التي تثبت وجود مهنة المترجم منذ أوائل منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وهو عبارة عن لوح صلصالي يحمل نصاً سومرياً بالكتابة المسمارية ويذكر عدداً من كبار موظفي أحد المعابد السومرية. وكان من بين هؤلاء الموظفين الكبار المترجم الذي أشير إليه بالتعبير المركب "*eme-bal*" المكوّن من لفظين وهما *eme* بمعنى لسان (أي كلام أو لغة) و *bal* بمعنى مُبدّل، وبذلك يصبح معناه "مُبدّل الكلام".

ويُفترض أن مهمة هذا المترجم الملتحق بالخدمة في المعبد كانت تدور حول تيسير التواصل والتفاهم مع الوفود الأجنبية من التجار والعمال والزوار الذين كانوا يتوافدون بكثرة على المعابد السومرية منذ فجر التاريخ.[٤٠٣] علاوة على أن تل أبو الصلابيخ يمثل بقايا مدينة سومرية قديمة كانت من أهم الممرات التجارية والتجمعات التموينية منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد[٤٠٤] نظراً لإشرافها على قناة زوبي التي تُعدّ إحدى القنوات المائية المتفرعة من نهر الفرات.[٤٠٥] وكما كان حال المعابد العراقية القديمة، فقد تمتع المعبد الكائن في هذا المكان بحق عبور السفن وفرض الرسوم والجمارك مقابل مرورها، ولذلك اقتضت الحاجة الضرورية إلى وجود مترجمين لتسهيل حركة التعامل مع السفن

---

[٤٠٣] W. von Soden, Dolmetscher und Dolmetschen im Alten Orient, in; Aus Sprache, Geschichte und Religion Babyloniens (Naples: Istituto universitario orientale, Dipartimento di studi asiatici, 1989), 351-357.

[٤٠٤] انظر: المواقع الأثرية في العراق، مديرية الآثار العامة (بغداد، ١٩٧٠)، ٤٩؛ بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، ج١ (لندن، ٢٠١٧)، ٥٧.

[٤٠٥] علي شحيلات، عبد العزيز إلياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق، تاريخ العراق القديم، ج١، عصور ما قبل التاريخ (الألف التاسع –٢٨٠٠ ق.م)، (بيروت، ١٩٧١)، ٦٧.

المارَّة عبر القناة التابعة له من داخل وخارج البلاد، وكذلك العمال المحليين والأجانب الذين كان يستأجرهم للعمل في أملاكه الخاصة.[٤٠٦]

ويؤكد الأرشيف الملكي الإيبلوّي على حقيقة العلاقات التجارية السومرية الإيبلوّية وتأثير السومريين الكبير على حياة الإيبلوّيين اقتصادياً وثقافياً وروحياً خصوصاً وأن النصوص المعجمية الأحادية متطابقة تقريباً مع نظيرتها السومرية من تل أبو الصلابيخ العراقي.[٤٠٧] ولذلك ليس من المستغرب احتواء بعض النصوص المعجمية الإيبلوّية ثنائية اللغة على أقدم الشواهد اللغوية الأخرى التي تشير إلى المترجم *eme-bala* باعتباره إحدى الشخصيات البارزة استناداً إلى تدوين لقبه ضمن ألقاب كبار الموظفين. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، ولكن أهمية تلك النصوص الإيبلوّية تتجلى أيضاً في كونها أقدم مثال للترجمة في تاريخ الإنسانية من مفردات أجنبية إلى لغة محلية،[٤٠٨] وكان من بينها الكلمة السومرية الدالة على المترجم (*eme-bala*) والتي تُرجمت بعدة أشكال إيبلوّية سامية مثل "*a-ba-lu-um* (*abbālum* ابَّلُمْ)، *a-bi-lu-um* (*ābilum* ابِلُمْ)، و *ta-da-bi-lu* (*tadabbilu* تَدَبِّلُ).[٤٠٩] والشكل الأخير هو الشائع في النصوص الإيبلوّية ويمثل إحدى التهجئات اللفظية لكلمة *tadabbiru* (تَدَبِّرُ) بمعنى مترجم في اللغة السامية الشمالية الغربية حيث كان حرف الراء يقابله في الإيبلوّية حرف اللام، وهي مشتقة من الجذر الثلاثي *dbr* (دَبَّرْ) بمعنى "يتكلم"، مما يشير إلى تشابه دلالة الاصطلاح المركب الإيبلوّي بنظيره السومري إذ كان يعني هو الأخر "مُبدّل الكلام".[٤١٠]

---

[٤٠٦] قارن: أسامة يحيى، الشرق الأدنى القديم، ١١٦–١١٧.

[٤٠٧] عدنان البني، المعجمية في الشرق العربي القديم، ١٠١، ١٠٢: أحمد شبابيبي، نظام الحكم والإدارة في مملكة إبلا، ٦، ٨، ٢٧، ٢٩، ١٠٥.

[٤٠٨] Chrobak, Archaeology of Oral Interpretation, 88.

[٤٠٩] W.W. Hallo, Bilingualism and the Beginnings of Translation. In: Texts, Temples, and Traditions. A Tribute to M. Haran, by M.V. Fox and Others (eds), (Indiana, 1996), 348.

[٤١٠] انظر: E. Lipiński, Sale, Transfer, and Delivery in Ancient Semitic Terminology. In: Gesellschaft und Kultur im alten Vorderasien, H. Klengel (edit.), (Berlin, 1982), 180,

وترصد نصوص الألواح الصلصالية العراقية ذات الطابع الاقتصادي مناسبات توافد المترجمين الأجانب إلى بلاد النهرين للإشراف على إبرام الاتفاقيات التجارية العامة والخاصة كالمترجمين القادمين من إقليم كوتيوم شمال شرقي العراق الخاضعة لحكم الملك الأكَّادي سرجون. وكذلك نظراؤهم سواء القادمين من عدة أقاليم مثل ماراهشي شرقي عيلام وأمورو (الأموريون السوريون) أو من مدينة دريهم (بوزرش – دكان جنوب مدينة نفر العراقية) في أواخر العصور السومرية المزدهرة المصطلح على تسميتها باسم أسرة أور الثالثة (٢١١٢–٢٠٠٤ ق.م). ويسجل أحد الألواح من لكش السومرية (حوالي ٢١٠٠ ق.م) مجموعة كبيرة من مختلف المترجمين البالغ عددهم أربعة عشر مترجماً مقسمين إلى ثلاث مراتب: مرتبة المترجمين المعروفين باسم *eme-bala*، ومرتبة المترجمين الملقبين بلقب رؤوساء المترجمين *ugula eme-bala*، في حين شغل القسم الثالث والأخير وظيفة مترجمي قوافل التجارة *eme-bala-kaskal* وهم المكلفون بمرافقة القوافل التجارية الكبيرة التابعة للقصر الملكي إذ كانوا يعاملون كموظفيين ملكيين بدليل استلامهم حصصهم من الجِرايات الملكية.[٤١١]

وثمة ختم أسطواني محفوظ حالياً في متحف اللوفر ومؤرخ بأواخر العصر الأكَّادي، والذي يُعتقد خطأً – كما أرى وفقاً للشواهد الأثرية المصرية المذكورة أعلاه – في المؤلفات الأجنبية باشتماله على أقدم صور المترجمين في التاريخ الإنساني وهو المترجم الأكَّادي شو– إيليشو الذي كان يشغل وظيفة "مترجم لغة ميلوخَّا *eme.bal.Me.luḫ.* *ḫa*[kl]" وفقاً للنص المسماري المصاحب له.(شكل ١٤) ويتضمن المنظر المصور على هذا الختم اثنين من أبرز أعضاء البعثة التجارية المُوفدة من ميلوخَّا (وادي السند موطن الحضارتين المعروفتين باسم الموهينجو دارو وهارابا في الفترة ما بين ٢٥٠٠–١٩٠٠ ق.م) لزيارة بلاد النهرين حيث استقبلهما أحد كبار المسئولين الذي جلس على كرسي بلا

---

and n. 43; L. Edzard, On the Role of South Arabian and Ethio-Semitic Within A Comparative Semitic lexicographical Project, OSLa 8/1 (2016), 231-232.

(٤١١) Chrobak, The Archaeology of Oral Interpretation, 89.

مسند ظهر أو ذراعين. ومن خلفه جلس مترجم اللغة الميلوخَّية الأكَّادي ليقوم بدور الوسيط اللغوي بينهم، وقد تم تصويره بحجم صغير مقارنة بصور الأشخاص الأخرين ربما بسبب عدم وجود مساحة كافية على سطح الختم الأسطواني.(٤١٢) وتتفق دلالات هذا الختم الاقتصادية مع الاكتشافات الأثرية التي تثبت تطور العلاقات الأكَّادية – الهارابية انطلاقاً من اهتمامات الدولة السرجونية بالنواحي الاقتصادية وتوسيع علاقاتها التجارية الدولية واستمرار تدفق المنتجات السندية في الأسواق العراقية كاللازورد والعقيق والذهب والفضة والنحاس والأخشاب. فبالإضافة إلى التواجد التجاري الأكَّادي في هارابا وكذلك بعض الآثار الهارابية المكتشفة في عدة مواقع عراقية في جنوبي بلاد النهرين حيث كانت تحتضن أيضاً بعض التجار الميلوخَّيين المقيمين خصوصاً في العاصمة أكَّاد،(٤١٣) فقد أنشأ الملك سرجون الأكَّادي ميناءً في عاصمة ملكه لتنشيط التجارة مع المناطق البعيدة عبر الخليج العربي إذ يقول في أحد نصوصه: "شاروكين (سرجون) هو ملك كيش، خاض أربعاً وثلاثين معركة وانتصر فيها، ودمر أسواراً حتى شاطىء البحر، وجعل سفناً من ميلوخَّا، وسفناً من ماجان، وسفناً من ديلمون، ترسو في ميناء أكَّاد."(٤١٤)

كما تؤكد النصوص الاقتصادية المسمارية الأكَّادية المكتشفة في الأرشيف الملكي بمملكة ماري (تل الحريري عند الحدود العراقية السورية) على الأهمية التجارية والنشاط التجاري الكبير لهذه المملكة كونها إحدى المحطات التجارية الرئيسية والممرات المائية الهامة للبضائع والسلع العابرة من الجنوب العراقي إلى الساحل السوري والعكس. وقد

---

(٤١٢) C.L. Possehl, What in the World: Shu-ilishu's Cylinder Seal, in; Expedition 48/1 (2006), 42-43; Chrobak, The Archaeology of Oral Interpretation, 89-90.

(٤١٣) Possehl, Shu-ilishu's Cylinder Seal, 42; P.S. Vermaak, Guabba, The Meluḫḫan Village in Mesopotamia, Journal for Semitics 17/2 (2008), 454-471. وحول العلاقات التجارية والثقافية الدولية بين حضارتي العراق ووادي السند في العصور القديمة بما فيها العصر الأكَّادي، انظر: سعدون عبد الهادي، عقيل عبد الله ياسين، الصلات التجارية والثقافية بين حضارتي العراق والهند في التاريخ القديم (٢٨٠٠-٥٣٩ ق.م)، مجلة كلية التربية / واسط ، ع ١٠، (العراق، ٢٠١١)، ٢١٩-٢٢٨.

(٤١٤) عيد مرعي، اللسان الأكادي، ١٧.

حرص ملوكها على الاهتمام بهذا المورد الاقتصادي الهام الذي جعلهم مشاركين في التجارة الدولية، فضلاً عن حرصهم على تدعيمه بكافة الإمكانيات الضرورية لإنجاح العملية التجارية التي كان تدر عليهم ثروات طائلة من خلال فرض الرسوم والجمارك على البضائع والسفن العابرة. ويبرر ذلك ازدهار حركة التجارة والتبادل التجاري في عهد الملك زمري ليم (١٧٨٢–١٧٦٠ ق.م) وزياراته المتكررة إلى بعض المدن السورية لعقد الاتفاقيات التجارية الدولية حيث التقى في أوجاريت برئيس التجار الكريتيين وقدم هدية إلى مترجمه تقديراً له على أدائه المتميز.[٤١٥]

وكان تعلم وإتقان اللغة السومرية ذا أهمية قصوى للكتبة ولطلابهم في المؤسسات التعليمية السامية داخل وخارج بلاد النهرين نتيجة قداستها ومكانتها الأدبية المرموقة، حتى أنها كانت تسبق الأكَّادية من حيث الأهمية. فقد تضمن أحد النصوص المتعلقة بالحياة اليومية للطلاب، أن كاتبه ينتقص من المتعلم الذي لم يتعلم السومرية إذ يقول: "الكاتب الذي لا يعرف السومرية، أي نوع من الكتبة هو"، في حين ورد في نص آخر على لسان أحد الكتبة: إذا لم يعرف الكاتب اللغة السومرية كيف للمترجم أن ينجح في عمله." وثمة تأنيب موجّه إلى كاتب زعم أنه لا يجيد السومرية:" إن لسانك غير موائم للغة السومرية"، وكذلك:" إنه ثقيل التلفظ باللغة السومرية، فهو لا يستطيع تحريك لسانه بصورة صحيحة". وعلى صعيد آخر كشفت النصوص عن إجراء امتحان يتضمن أسئلة للمتعلم عن إمكانية التحدث بالسومرية والترجمة منها إلى اللغة الأكَّادية والعكس مثل:" كل ما تعلمته من اللغة السومرية، هل تعرف ما يقابله بالأكَّادية؟ وكذلك: "هل تعرف كيف تترجم وتفسر الكلمات عندما تكون الأكَّادية في النص إلى الأعلى والسومرية إلى الأسفل، أو عندما تكون السومرية في الأعلى والأكَّادية في الأسفل؟.[٤١٦] وهناك نص

---

[٤١٥] G. Dossin, La route de l’etain en Mesopotamie au temps de Zimrilim, RA 64 (1970), 97–106.

[٤١٦] انظر: شيماء النعيمي، المناهج التعليمية في العراق القديم، ٥١، ٥٧–٥٨؛ عامر الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، ٤٩، ١٢٢؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١١٥.

حواري مدرسي بين معلم وأحد طلابه: "أيها الشاب، هل أنت طالب؟ نعم أنا طالب. إذا كنت طالباً، فهل تعرف اللغة السومرية؟ نعم، بإمكاني التحدث بالسومرية؟[٤١٧]

وكما اقتضت حاجة المجتمع العراقي القديم إلى صنف الكتبة المترجمين *targumannu* لأداء مهامهم في تسيير وتسهيل متطلبات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فقد كانت الحاجة ماسة إليهم في الحياة السياسية والدبلوماسية والعسكرية التي فرضت عليهم الإلمام بلغتين أو أكثر لتمكينهم من أداء مهامهم الرسمية بدقة. ويبدو أنه كانت هناك فرق أجنبية تخدم في وحدات الجيوش العراقية إذ وردت رسالة ذكرت مترجم يقوم بنقل الأخبار من إحدى ثكنات فرقة كاشية لم يكن باستطاعة أفرادها التكلم بالأكَّادية وهو ما استدعى ضرورة وجود هذا المترجم.[٤١٨] كما تؤكد التقارير العسكرية الواردة إلى البلاطات الملكية البابلية والآشورية على انتشار الاستخباريين العسكريين الذين يجيدون عدة لغات مختلفة في عمق أراضي العدو لجمع وإرسال الأخبار والمعلومات اللازمة استعداداً لخوض المعارك وشن الحملات العسكرية. وتفيد الوثائق الآشورية أن هؤلاء الاستخباريين العسكريين المترجمين قد كثفوا نشاطهم الاستخباراتي على الحدود الشمالية الشرقية لبلاد آشور عندما كانوا يبعثون بمعلوماتهم وتقاريرهم إلى السلطة المركزية حيث كانت الدولة الآشورية في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد تواجه تحديات عديدة من الشمال والشرق. وينطبق هذا الأمر على ما ورد أيضاً من تفاصيل عنهم وعن طبيعة عملهم خلال حملة سنحاريب وحصاره لبعض المدن في فلسطين.[٤١٩]

أما القصور الملكية العراقية القديمة فقد ضمت بين موظفيها المرموقين الكتبة الذين كانوا يجيدون ترجمة اللغات الأجنبية آنذاك لصياغة المعاهدات السياسية وأداء مهام دبلوماسية داخل وخارج البلاد. علاوة على المشاركة في تدوين الحوليات الملكية

---

[٤١٧] G. Rubio, Writing in Another Tongue: Alloglottography in the Ancient Near East. In: Margins of Writing, Origins of Cultures, S.L. Sanders and others (eds), (Chicago, 2006), 50.

[٤١٨] مها الزبيدي، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي الوسيط، ٦٤.

[٤١٩] عامر الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، ٧٤-٧٦.

وتضمينها بعض المفردات الأجنبية المترجمة من لغات الشعوب المغلوبة كما حدث في سجلات الحملة الثامنة للملك الآشوري سرجون الثاني حيث وردت فيها عدة مفردات أورارتية منقولة إلى الأكَّادية رغم الصعوبات التي واجهها المترجمون أثناء ترجمتها. ونظراً لتعدد وتنوع اللغات الأجنبية التي كان يجيدها هؤلاء الكتبة المترجمون وبخاصة في العصر الآشوري الحديث، فقد تم تصنيفهم حسب تلك اللغات وأنواع خطوطها. وكان أبرزهم الكتبة الآراميون المعروفون بتسمية "الكتبة المترجمين على الرَّق" وهم الكتبة الذين استخدموا الجلود في الكتابة وكانوا يكتبون بالخط الآرامي الأبجدي البسيط وباللغة الآرامية (شكل ١٤)، علاوة على الكتبة المصريين أو كتبة البردي الذين يتقنون مهارة التكلم باللغة المصرية القديمة والتدوين بخطها الهيروغليفي.[٤٢٠] ونظراً لانتشار اللغة الآرامية وإحلالها تدريجياً في الاستخدام محل الأكَّادية، فقد ظهرت فئة من الكتبة في العصر البابلي الحديث يُشار إليهم بالاصطلاح "سبيرُ/ سفرُ *sepīru*". وهذا الاصطلاح مشتق من الآرامية للدلاله على ازدواجية لغتهم واختصاصهم بنسخ وترجمة النصوص الأكَّادية والآرامية إذ ربما يعني حرفياً وفقاً لقراءته الصوتية والمقطعية "المُبدّل، الناقل".[٤٢١] وقد حظي أفراد تلك الطبقات من الكتبة المترجمين المرموقين في القصور البابلية والآشورية بثقة وتقدير كبيرين من ملوكهم إذ كانوا لا يمثلونهم فقط ولكن يمثلون أيضاً بلدانهم في الخارج حينما كانوا يرافقون المبعوثين الملكيين لمقابلة كبار ملوك البلاطات الأجنبية. ويتضح ذلك من خلال رسائل العمارنة إذ أرسل الملك البابلي الكاشي بورنابورياش رسوله ومعه مترجمه الخاص إلى أمنحوتب الرابع أخناتون، وهو نفس الشيء الذي قام به الأخير. كما سبق وأن خاطب الملك الميتاني توشراتا والد هذا الفرعون وهو

---

[٤٢٠] انظر: عامر الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، ٨٣-٩٥.

[٤٢١] L. Quick, ' “To Hear and To Accept”: A Word Pair in the Tell Fakhariyah Bilingual Inscription, JSS 61(2016), 11.

أمنحوتب الثالث، قائلاً له "مترجم أخي" الذي كان في زيارة رسمية للبلاط المصري برفقة الرسول الملكي.(٤٢٢)

وعلى صعيد آخر، احتفظت النصوص العراقية القديمة بظاهرة تفاخر بعض الملوك بمهاراتهم اللغوية وإتقانهم العديد من اللغات الأجنبية مثل الملك السومري شولجي (٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م)، ثاني ملوك أسرة أور الثالثة، الذي امتدح نفسه في ترتيلة شعرية. فقد تفاخر هذا الملك بمزاياه وصفاته التي أغدقتها عليه الآلهة بحكم الصلات الوثيقة والحميمة التي تربطه بها، ومنها تفرده دون بقية أفراد بلاط قصره بقدرته على الرد على المبعوثين الأجانب والتكلم معهم بعدة لغات مختلفة وهي: الأمورية والعيلامية والسوبارتية وربما أيضاً اللغة الميلوخّية المُشار إليها في نصوصه بالجبال السوداء ("أتكلم بنفسي مع قوم الجبال السوداء").(٤٢٣) فهو يقول متفاخراً: "كنت أجيبهم بخمس لغات حينما لم يكن بوسع أحد غيري في قصري أن يفهم اللغات الأجنبية".(٤٢٤) كما يزهو قائلاً: "أعرف اللغة الأمورية بقدر معرفتي السومرية ..... سكان الجبال القادمين من المرتفعات الجبلية – يصلون هنا وأنا أرد عليهم بالأمورية. كما أنني أعرف العيلامية بقدر معرفتي السومرية. (...) وفي عيلام (...) ، يحيونني وكنت أجيبهم بالعيلامية".(٤٢٥) وافتخر الملك الآشوري آشور بانيبال بسعة معارفه الثقافية واللغوية قائلاً: "استقيت المعارف الخاصة بالكتبة، وأتقنت آيات السماء والأرض، ودرست ظواهر السماء ... وقرأت الكتابات السومرية والأكّادية العويصة، وكنت أحب أن اقرأ الأحجار والأنصاب المكتوبة من أزمان ما قبل

(٤٢٢) Meier, The Messenger in the Ancient Semitic World, 164-165.

(٤٢٣) Rubio, Writing in Another Tongue, 49-50 and n. 106.

(٤٢٤) Meier, The Messenger in the Ancient Semitic World, 163.

(٤٢٥) P. Michalowski, The Lives of the Sumerian Language. In: Margins of Writing, Origins of Cultures, S.L. Sanders (edit.), (Chicago, 2006), 179-180; Chrobak, The Archaeology of Oral Interpretation, 90.

الطوفان ....".[٤٢٦] وتلك الوثائق السومرية والأكَّادية التي أجاد قراءتها الملك آشوربانيبال حيث كان يحتفظ بها في مكتبته الضخمة إضافة إلى الوثائق العراقية القديمة الأخرى التي زخرت بها المعابد والمكتبات المنتشرة في كافة أنحاء بلاد النهرين، كانت حتماً المصدر الرئيسي الذي اعتمد عليه المؤرخ والكاهن البابلي برعوشا (بيروسس) في تأريخه لكتابه الذي ألفه باللغة اليونانية عن تاريخ بلاده من بدء الخليقة وحتى موت الإسكندر الأكبر في بابل وتأسيس الدولة السلوقية على يد سلوقس الأول. وقد أهدى هذا المؤرخ كتابه للملك انطيوخس الأول (٢٨٠-٢٦١ ق.م)، ولكن للأسف لم يتم العثور عليه وكل ما وصلنا منه عبارة عن اقتباسات مأخوذة منه بواسطة قدامى المؤرخين اليونانيين. وبالرغم من ذلك، فإن أهمية هذه الاقتباسات المترجمة لليونانية تكمن في أنها كانت إحدى المصادر الرئيسية القليلة عن تاريخ وحضارة بلاد النهرين قبل أن تُحل رموز الخط المسماري في نقش بهستون ثلاثي اللغة.[٤٢٧]

وكما ذكرنا آنفاً، فقد كانت هناك في بلاد النهرين حركة ترجمة مزدهرة لنسخ وترجمة التراث الأدبي والروحي السومري من قبل الأكَّاديين الذين أضافوا إليه بما يتناسب مع أفكارهم ومعتقداتهم. وكان لذلك تأثيرات سومرية لغوية وأدبية وفكرية بالغة على أساليب وتعابير الكتبة والمترجمين الأكَّاديين والبابليين الذين انتهجوا نفس النهج السومري في الأعمال الأدبية والروحية مع تغيير أسماء معينة لتتفق مع نظرتهم الخاصة. وعلى سبيل المثال قصة الطوفان السومرية المُترجمة أيضاً إلى لغات أخرى كالحيثية والحورية[٤٢٨] والتي توجد بعض الاختلافات في تفاصيل عن نسختها المُترجمة بالأكَّادية

---

[٤٢٦] عامر الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، ١١٠-١١١؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١١٥؛ ابتهال عادل إبراهيم، من الاهتمامات الثقافية للملوك العراقيين القدماء الملك آشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٦ ق.م) أنموذجاً، مجلة التربية والعلم/ كلية التربية – جامعة الموصل ، مج ١٨، ع ٤، (العراق، ٢٠١١)، ٣.

[٤٢٧] انظر : S.T. Burstein, The Babyloniaca of Berossus, SANE 1/5 (Malibu, 1978), 1-39.

[٤٢٨] A.K. Grayson, Akkadian Myths and Epics. In: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, J.B. Pritchard (edit.), (Princeton, 1969), 503; A. George, The Epic

دون المساس ببنيتها وجوهرها الأصلي. (شكل ١٦) فالقصتان تشتركان في إطارهما الفكري والرمزي المتجسد في إنقاذ الجنس البشري، إلا أن المنقذ الإلهي في اللغة السومرية كان هو إيا في مقابل إنكي باللغة الأكَّادية. وبينما تختلف كلتا النسختين في تسمية بطل القصة حيث ورد في الأولى باسم زيوسودرا (الذي أطال الحياة) خلافاً للثانية المذكور فيها باسم اتراخاسيس (واسع الحكمة)، فإنهما تتفقان في اسم أوتنابيشتم (واهب الحياة) باعتباره بطل القصة المتداخلة مع ملحمة كلكامش.[٤٢٩] وأوتنابيشتم الذي منحته الآلهة الخلود وأسكنته الفردوس يكاد يرادف الخضر في الأقاصيص الشعبية عند المسلمين، وإن كانت القصة العراقية القديمة قد أشركت معه زوجته أيضاً في نعمة الخلود.[٤٣٠]

ومن المؤكد أن الكهنة اليهود كانت لهم معرفة واسعة بالوثائق المسمارية المدونة بالسومرية والأكَّادية البابلية خلال فترة السبي (الأول عام ٥٩٧ ق.م والثاني ٥٦٨ ق.م) الذي استمر قرابة نصف قرن وانتهى عام ٥٣٨ ق.م. فقد كانت فرصة ثمينة لهم مكّنتهم من الإطلاع مباشرة على تلك الوثائق وترجمتها إلى آرامية التوراة المدونة بها أسفارها الأولى والتي اختصت على وجه الخصوص بخلق الكون والإنسان والطوفان، علاوة على اقتباسهم الكثير من القوانين والتشريعات وتضمينها في تشريعاتهم التوراتية.[٤٣١] وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى تأثر المحررين التوراتيين بالموروث السومري – البابلي مباشرة،

---

of Gilgamesch, The Babylonian Epic and other Texts in Akkadian and Sumerian, (London and New York, 1999), xxvii, 32, 54, 132-140.

[٤٢٩] انظر: فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع المسمارية (بغداد، ١٩٧٥)، ١٩-٢٩، ٣٠-٤٠؛ خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١١٦-١٢١.

[٤٣٠] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج ١، ٧٢٥.

[٤٣١] حول التشابه في الأحكام والمواد القانونية بين التوراة والقوانين العراقية القديمة، انظر: كاظم جبر سلمان، على سداد جعفر، الزنا وعقوبته في تشريعات أسفار التوراة، دراسة مقارنة مع قانون حمورابي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج ٢٣، ع ٢ (٢٠١٥)، ٩٥٧-٩٨٥؛ سمراء حميد نايف، على سداد جعفر، المتشابه في عقوبات قوانين العراق القديم وأسفار التوراة، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج ٢٥، ع ٥ (٢٠١٧)، ١٩٨٣-٢٠١١.

وبالتالي إلى ترجمة كثير من مفاهيمة إلى الأسفار التوراتية.[٤٣٢] وخير مثال على ذلك قصة الطوفان المتشابهة مع ما ورد في سفر التكوين (الأصحاحات: ٦-٨) في تصوير غضب الإله على البشر وابتلائه لهم ثم عقابه لهم بالطوفان ورجل الطوفان والسفينة وانقاذ الجنس البشري. (شكل ١٧) ولكن ذهب القرآن الكريم مذهباً آخر في تصوير ما أدى إلى الطوفان وتصوير بعض أحداثه في سور: نوح والأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات والقمر. ونكتفي هنا بجزء من الأسطورة العراقية حيث يحكي فيه رجل الطوفان عن أهواله ونجاته منه قائلاً:

"واستمرت أعاصير الطوفان ستة أيام (وست) ليالي واكتسحت الأرض كما تكتسحها عاصفة الجنوب، وفي اليوم السابع هبطت العاصفة وهدأ البحر وتوقف الطوفان. وتطلعت إلى الجو، فإذا سكون شامل والناس قد تحولوا إلى طين، وأصبحت الأرضيات في مستوى السقوف. ففتحت منفذاً، وسقط الضوء على وجهي، فسجدت وبكيت، وتطلعت أتلمس خطوط الساحل على مدى البحر هنا وهناك، وبدت يابسة. والتصقت السفينة "نسرات نابشتم" (أي منقذة الحياة) بجبل نيسير، فاحتجزها يوماً ويومين وثلاثة وأربعة وخمسة وستة ولم يدعها تتحرك. وفي اليوم السابع أطلقت حمامة، فذهبت ولم تلبث أن عادت لأنها لم تجد مكاناً ظاهراً تحط عليه، وأرسلت السنونو فذهب وعاد حين لم يجد موضعاً ظاهراً يحط عليه، فأرسلت غراباً فذهب ورأى الماء يتناقص فأكل وحام ونعق ولم يرجع. وحينذاك واجهت الجهات الأربع وضحيت وسكبت قرباناً فوق قمة الجبل".[٤٣٣]

وفيما يلي ما ورد في الأصحاحين السابع والثامن من سفر التكوين:

---

[٤٣٢] انظر: فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوراة، ١٩١-١٩٢، ١٩٤-٣٠٧. وانظر أيضاً: علي سداد جعفر، ترجمة صفات الآلهة من أساطير العراق القديم إلى سفر التكوين في التوراة، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، مج ٥، ع ١ (٢٠١٥)، ٢٥٢-٢٦٨.

[٤٣٣] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، ٧٢٣؛ فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع المسمارية، ٩٢-٩٦.

(الأصحاح السابع) {١٠} وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ. {١١} فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِى، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ اليَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. {١٢} وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً .....

(الأصحاح الثامن) {٦} وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْماً أَنَّ نُوحاً فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا {٧} وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّداً حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. {٨} ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، {٩} فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرّاً لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهاً كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. {١٠} فَلَبِثَ أَيْضاً سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، {١١} فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. {١٢} فَلَبِثَ أَيْضاً سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضاً.

الترجمة والمترجمون في المصادر الفينيقية – القرطاجية

كان من النتائج الهامة التي اكتسبتها بلاد الشام جراء امتداد سواحلها امتداداً طويلاً على البحر المتوسط ازدهار عدة موانئ على الشريط الساحلي السوري الفلسطيني الممتد شمالاً من شوكسي (تل سوكاس الحالي الواقع جنوبي مدينة جبلة الساحلية السورية) حتى عكا في الجنوب. وفاقت هذه الموانئ شهرتها العالم القديم وقامت عليها دويلات مدن مستقلة وغنية مثل أرواد وجبيل وبيروت وصيدا وصربا وصور. فضلاً عن توجيه نشاط أهلها وجهة بحرية وتجارية وقيامهم بدور الوسيط الاقتصادي والثقافي بين كل من المناطق الداخلية في غرب آسيا وبين جزر بحر إيجة من ناحية، وبين سواحل أفريقيا الشمالية من ناحية أخرى. كما كان له أثره على تشجيع سكانها للهجرة إلى الخارج عن طريق البحر المفتوح في نفس الوقت الذي استقبلت فيه هجرات بحرية كثيرة وفدت عليها كشعوب البحر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وكانت لهذه الهجرات الوافدة منافعها وكذلك أخطارها مما أدى إلى التنوع العرقي بين أهلها وتزويدهم بنصيب كبير من المهارة

التجارية مع المرونة في التعامل مع مختلف البيئات والأجناس، وقدرة ملموسة على التأقلم السريع بخصائص المجتمعات التي عايشوها وخالطوها أو التي اضطرتهم الظروف إلى الانتقال إليها والتماس الإقامة القصيرة أو الطويلة فيها. وهذا يفسر انتشار أبجديتهم الفينيقية ونقلها إلى اليونانيين وغيرهم من شعوب العالم القديم، فضلاً عن انتشار معظم النصوص الفينيقية خارج الوطن الأم الآسيوي مثل جزر قبرص وكريت وسردينيا ومالطا ومدينة أثينا ومصر وأيبريا وشمال أفريقيا. ففي مصر، على سبيل المثال، عاشت جالية كبيرة من الفينيقيين وانتشروا في كافة مدنها الكبري حيث خُصصت لهم أحياء بالكامل في منف وأونو (هليوبوليس) وطيبة وإلفنتين بأسوان والواحة الخارجة حيث خلّفوا ورائهم العديد من الآثار المصرية والمُتمَصِّرة، فضلاً عن الكتابات ومعظمها أحادية اللغة (فينيقية أو مصرية) مقابل عدد قليل منها ثنائية اللغة (فينيقية – مصرية) والتي يرجع تاريخها منذ القرن السادس قبل الميلاد فصاعداً. وتعكس تلك الآثار والكتابات في مصر عدة أمور هامة أبرزها تَمصُّر العديد من أفراد الجالية الفينيقية الذين عاشوا ودفنوا في مصر وتشبعوا بثقافتها الممزوجة بثقافتهم الأصلية واستطاع بعضهم الارتقاء إلى أعلى المناصب الكهنوتية والعسكرية، بينما كان هناك مُتَفينّقيون خصوصاً من الكاريين. كما تُبرز أيضاً تعدد وتنوع مجالات أعمالهم المهنية إذ كان منهم الجنود المرتزقة والتجار (نبيذ وتمور وعطارة) والملاحون والموسيقيون والمترجمون مثل المترجم عبد رشب. بالإضافة إلى أعداد غفيرة من الحجاج الذين زاروا مصر من الفينيقيين الشرقيين والفينيقيين الغربيين (القرطاجيون) بقصد الحج إلى المعبد الأوزيري بأبيدوس حيث خلّدوا زياراتهم المقدسة بمخربشات فينيقية هناك. وقد أسدى الفينيقيون للحضارة المصرية دون سواهم من الشعوب الأخرى خدمة جليلة نظراً لوجود هذه الجالية الفينيقية متعددة الأعراق والثقافات على الأراضي المصرية في الوقت الذي كانت فيه أيضاً جاليات مصرية في جبيل وقرطاجة نتيجة قوة ومتانة العلاقات المصرية الفينيقية البونية. وتتجلى هذه الخدمة الجليلة في أنهم نشروا في كافة المناطق الخاضعة لنفوذهم وسيطرتهم في الشام وحوض

البحر المتوسط الكثير من عناصرها الخالصة أو المُتَمصِّرة والممزوجة بعناصر حضارتهم الفينيقية في المجالات الدينية والفنية واللغوية.(٤٣٤)

ومن البديهي أن تواكب الترجمة والمترجمون فترة الازدهار الفينيقي عندما هيأت لهم الظروف الدولية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد بنقل لغتهم وثقافتهم عبر التجارة البحرية من موطنهم الأسيوي إلى عدة مناطق مختلفة في منطقة حوض البحر المتوسط حيث أسسوا مراكزهم التجارية التي تحولت إلى مدن كبيرة كان أعظمها أثراً وشهرة قرطاجة. ومن المصادر البونية (الفينيقية الغربية) المرتبطة بمسألة الترجمة والمترجمين نص البعثة الاستكشافية المتجهة إلى الساحل الغربي الأفريقي في القرن الخامس قبل الميلاد لتأسيس مراكز اقتصادية وفتح أسواق للتبادل التجاري في مناطقه المأهولة. وترأس هذه البعثة القائد القرطاجي حانون الذي أمر بنقش هذا النص على أحد الألواح التكريسية لمعبد بعل حمون، إلا أنه تحطم واندثرت بقاياه خلال التدمير الروماني لمدينة قرطاجة سنة ١٤٦ ق.م، ولكن لحسن الحظ بقيت منه نسخة مترجمة باليونانية في إحدى المخطوطات المحفوظة حالياً في المكتبة الجامعية بهايدلبرج.(٤٣٥) وتُعدّ هذه المخطوطة خير شاهد على حركة الترجمة للتراث البوني من قبل اليونانيين والرومان والتي كان من ثمارها أيضاً النسختان اللاتينية واليونانية لكتاب ماجون القرطاجي عن الزراعة.(٤٣٦) وتخبرنا الوثيقة اليونانية المُترجمة من الأصل البوني عن انطلاق حانون مع أسطول بحري مكوّن من ستين سفينة، لكل واحدة منها خمسون مجدافاً، ومصحوباً بثلاثين ألف

---

(٤٣٤) للمزيد من التفاصيل عن الجالية الفينيقية في مصر ونصوصها الفينيقية والآثار المصرية المُتَفينّقة والفينيقية المُتمصَّرة التي خلّفتها هناك وفي حوض البحر المتوسط والحرف والمهن التي زاولها أفراد هذه الجالية، انظر: فيتمان، مصر والأجانب، ٨١-١١٩.

(٤٣٥) S. Rainey, The Nature of Carthaginian Imperial Activity: Trade, Settlement, Conquest, and Rule, (Ph. D. Diss., University of Canterbury, 2004), 85-95.

(٤٣٦) Rainey, Nature of Carthaginian, 55; S.A. Adams, Where's Rome, A Possible Roman Parallel to the Translation of the Septuagint in the Letter of Aristeas. In: Figures Who Shape Scriptures, Scriptures That Shape Figures: Essays in Honour of Benjamin G. Wright III, by G.G. Xeravits and G.S. Goering (eds.), (DCLS 40; Berlin: de Gruyter, 2018), 197-210.

رجل وامرأة، مع ما يحتاجونه من مؤن وتجهيزات وبضائع مختلفة. كما اصطحب معه أيضاً مجموعة من المترجمين الليكسوسيين (ليكسوس هو الاسم الفينيقي القديم لمدينة العرائش الأثرية بالمغرب) حتى يكونوا وسطاء لغويين بينه وبين سكان المناطق المكتشفة الواقعة اليوم في خليج غينيا.(٤٣٧) ويخبرنا حانون عن ذلك بقوله:" اتخذنا من الليكسوسيين مترجمين (ἑρμηνέας) وانطلقنا بمحاذاة الصحراء جنوباً لمدة يومين، ثم يوم آخر نحو الشرق حيث وجدنا جزيرة صغيرة على طرف الخليج".(٤٣٨)

وعلى الرغم من نشأة كافة المدن الفينيقية في غربي البحر المتوسط كمراكز تجارية، إلا أن هذا لم يمنع الفينيقيين الغربيين من الاهتمام بالزراعة واستغلال الأرض واستثمار مواردها الزراعية مما نجم عن توسع كبير في المجال الزراعي والاعتماد عليه كمورد رئيسي من مواردهم الاقتصادية. فقد وصفت المصادر الكلاسيكية غنى ووفرة المزارع والبساتين والمروج الخضراء في المدن البونية، وهو ما أثار حقد الرومان في تخريبها وحرقها لشل فاعلية إحدى ركائز الاقتصاد القرطاجي.(٤٣٩) وما وصلوا إليه من تقدم في هذا الميدان لم يكن إلا نتيجة اختراعهم عدة أشكال متنوعة من المحاريث المتطورة التي نقشوا صورها على عملاتهم ولوحاتهم، فضلاً عن استخدامهم أساليب زراعية متطورة في مجال تهجين البذور وتحسين بعض خصائصها. وكان سعي القرطاجيين الفينيقيين إلى التخصص في بعض المجالات الزراعية المحددة عاملاً في احتكارهم لبعض المحاصيل باهظة الثمن.(٤٤٠) وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى ظهور مختصين منهم كان أشهرهم ماجون القرطاجي (حوالي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد) الذي حفلت مكتبات العالم

---

(٤٣٧) Chrobak, The Archaeology of Oral Interpretation, 97-98.

(٤٣٨) M. L. Koneiczny, Sailing Through Greek with Hanno of Carthage, New England Classical Journal 44.4 (2017), 258 - 259: 8.

(٤٣٩) انظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، ١١٥-١١؛ فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ١٦٢؛ الشاذلي بورونية ومحمد طاهر، قرطاجة البونية، تاريخ حضارة (تونس، ١٩٩٩)، ٢٥١-٢٥٢.

(٤٤٠) فرانسوا ديكريه، قرطاجة، ٩٤-٩٧.

القديم بترجمات مؤلفاته الزراعية باللغتين اليونانية واللاتينية، وهذا ما جعله جديراً بلقب "أبو الزراعة". فقد ألف بالبونية دائرة معارف تتكون من ثمانية وعشرين كتاباً علمياً تحوي خبرته الزراعية في طرق غرس الأشجار وسقيها والأماكن الصالحة لزراعة كل نوع منها وتهجين البذور وتطعيم الأشجار. وللأسف لم يصلنا شيء من هذه الموسوعة الزراعية سوى بعض المقتطفات المقتبسة من الترجمتين اليونانية واللاتينية بعدما أدرك مجلس السناتو الروماني أهمية الانتفاع بها، وعهدوا بمهمة ترجمتها إلى مترجمين محترفين في اللغة البونية للاستفادة العلمية منها في تطوير أساليبهم الزراعية. وهذا ما اعتبره البعض من أهم غنائم الحرب الرومانية على قرطاجة، والعامل الرئيسي في تطوير الزراعة الإيطالية خلال النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد.[٤٤١]

والجدير بالذكر أن قرطاجة قد انتهجت سياسة توسعية في غربي المتوسط وخاضت حروباً ضروساً للحفاظ على إمبراطوريتها التجارية وحماية مصالحها الاقتصادية، ولكن قدراتها البشرية والعسكرية لم تكن تتناسب مع توجهاتها التوسعية وفقدت آلاف المقاتلين من الأرستقراطيين القرطاجيين وأبنائهم الذين قتلوا في المعارك وراحت تبحث عن عناصر أخرى لتعويض ذلك. وهذا ما اضطرها خلال النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد إلى الاعتماد على الجنود المرتزقة من الليبيين (الليبيون والليبو–فينيقيون) والنوميديين واليونانيين واللاتينيين والغاليين والإيباريين. ونتج عن ذلك وجود تباين لغوي بين مختلف أفراد الفرق العسكرية الأجنبية المنضوية تحت لواء وحدات الجيش القرطاجي، الأمر الذي تطلب ضرورة الاستعانة بمترجمين لتسهيل عملية التواصل والتفاهم بينهم من جهة وبين قادتهم القرطاجيين من جهة أخرى. وأبرزت المصادر الكلاسيكية المكونات الأجنبية داخل وحدات هذا الجيش ودور المترجمين الفوريين وما ترتب على ذلك من عواقب وخيمة وبخاصة في الأوقات العصيبة الناجمة عن

---

[٤٤١] انظر: خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في أفريقيا خلال الفترة الرومانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة – الجزائر (قسنطينة، ٢٠١٢–٢٠١٣)، ٣٩، ٤٠، ٥٧–٥٨، ١٧٨.

الانتكاسات والأزمات العسكرية. فالمؤرخ اليوناني بوليبيوس قد ذكر قصة القائد القرطاجي جيسكو الذي عهد إليه مجلس الشيوخ القرطاجي بمهمة التفاوض مع قادة المرتزقة المتمردين لعدم دفع رواتبهم في أعقاب هزيمة قرطاجة في الحرب البونية الأولى (٢٦٤-٢٤١ ق.م). ولم يتمكن جيسكو بمعاونة المترجمين من اقناع هؤلاء القادة وأبرزهم سبنديوس الكمباني (من إقليم كمبانيا بإيطاليا) وماثو الليبي وأوتاريتوس قائد المرتزقة الغاليين، بل اتهموه بسوء النية والمماطلة لكسب الوقت وقبضوا عليه وعلى كل مرافقيه واحتجزوهم قبل قتلهم تحت التعذيب. كما يحكي بوليبيوس واقعة أخرى جرت خلال الحرب البونية الثانية (٢١٨-٢٠١ ق.م) حينما وقع الاختيار على أحد المواطنين القرطاجيين البارزين ويُدعى سونيانتو ليقوم بدور المترجم بين القائد القرطاجي هانو والملك السيراقوسي هيرون. وفي أحد الخطابات المكتوبة باليونانية والمرسلة من هذا المترجم القرطاجي المرموق إلى ملك سيراقوسة، أخبره فيه عن اقتراب قوات بلاده منه بقيادة هانو، إلا أنه تم اعتراض الرسالة وقبض عليه بتهمة الخيانة. وعلى أثر ذلك اتخذ مجلس الشيوخ القرطاجي قراراً بتكليف المترجمين الرسميين فقط بمهام التفاوض مع الأعداء وحظر تعلم اللغة اليونانية على المواطنين القرطاجيين.[٤٤٢]

دور النصوص ثنائية اللغة ومتعددة اللغات في الإحياء اللغوي والحضاري

إن إعادة قراءات چاك دريدا في مجال الترجمة فتحت الأبواب على مصاريعها لإعادة تقويم أهميتها ليس بوصفها شكلاً من أشكال التواصل فحسب بل بوصفها استمراراً أيضاً. فقد تم النظر إلى الترجمة على أنها تؤكد بقاء النص حياً حيث تنفث بالفعل الحياة في النص وتبقيه حياً على مر السنين خصوصاً في حالة انقراض لغة الأصل أو الهدف. وتسهم هذه النظرة الإيجابية للترجمة في تعزيز أهميتها بوصفها نوعاً من التواصل بين الأزمنة والثقافات،[٤٤٣] وأداة قوية لولاها ما حُفِظت اللغة ولا انتشرت، وقد لا يختلف

---

(٤٤٢) L. Ruiz, Interpreters and Interpreting in Conflict Zones and Scenarios: A Historical Perspective, Linguistica Antverpiensia 15 (2016), 7-8.

(٤٤٣) سوزان باسنت، دراسات الترجمة، ٢٣.

الأمر في الحاضر عن الماضي مما يبرهن على حتمية ديمومة مرونة وانفتاح اللغة لكي تبقى حية تمثل شعبها. والحاجة إلى التواصل بلغات متعددة وما نجم عنه من ضرورة استخدام لغات وكتابات عديدة في الوثائق ذاتها لنقل الرسالة المطلوبة إلى عدد أكبر من المتلقين، كانت استجابة للتلاقح الفكري والتداخلات الثقافية وانتشار الأديان وما جرى من تبادلات اقتصادية وتعليمية على مدى تاريخ هذه المنطقة الطويل.[٤٤٤] ولذلك لم تكن جميع الوثائق المكتشفة في منطقة الشرق القديم أحادية اللغة فقط، بل تميز عدد غفير منها بأنه ثنائي وثلاثي ورباعي اللغة أيضاً. وبناءً على رؤية دريدا، فإن ثمة أهميتين بارزتين في تلك الوثائق ثنائية اللغة ومتعددة اللغات إذ إنها من ناحية نفثت الحياة في بعض اللغات وأبقتها حية بعد انقراضها بوصفها المفتاح السحري القادر على فك طلاسمها مثلما حدث مع المصرية والأكَّادية والفارسية والسومرية والكارية واللوفية والليكية والليدية واللوبية. كما أنها من ناحية أخرى حافظت على ديمومة الأعمال الأدبية والروحية والفلسفية الرائعة التي أبدعت العقلية الشرقية القديمة في إنتاجها بدليل نشوة الاستمتاع التي تغمرنا عند قراءتها الآن. وهذا الاستمتاع لا يقف فقط عند اللذة العقلية وإنما يتعداه ليشمل أيضاً اللذة الفكرية الكاشفة لكثير من الحقائق كلما تعمقنا أكثر في أغوارها وأمعنا النظر فيها لاستجلاء مكنونانها وخفاياها. فهذا التراث المُترجم الآن بشتى اللغات المعاصرة بفضل النصوص ثنائية اللغة ومتعددة اللغات التي أبقته حياً رغم اندثار لغاته، كان حاضراً وبقوة، دون أن ندري، طوال مسيرة تاريخنا لأنه يمثل ركيزته التأسيسية الأصيلة وروحه السارية فيه مهما توارت وحجبتها عاديات الزمان.

ومن الملاحظ أن كل اللغات المكتوبة في النصوص ثنائية اللغة ومتعددة اللغات والتي كانت المفتاح لفك رموز الكتابات واللغات الأخرى، كانت في غالب الأحيان بعيدة عن اللغة المعنيّة كل البعد ولا تمت لها بصلة من ناحية القرابة اللغوية. ويتجلى ذلك على سبيل المثال في حجر رشيد حيث كانت اللغة اليونانية (الهندو – أوربية) هي

---

[٤٤٤] A. Robinson. Lost languages: the Enigma of the World's Undeciphered Scripts, (London, 2009), passim; Michalowski, The Lives of the Sumerian Language, 163-182.

المفتاح لفك طلاسم اللغة المصرية القديمة (الأفرو – آسيوية) بخطيها الهيروغليفي والديموطيقي والولوج إلى الدراسة العلمية لتاريخ وحضارة قدماء المصريين. وكذلك الحال بالنسبة لحجر بهستون حيث كانت اللغة الفارسية القديمة (الهندو – أوربية) هي المفتاح لفك رموز الكتابة المسمارية والتعرف من خلالها على اللغتين السومرية (الإلصاقية) والأكَّادية (السامية) والتعرف على عراقة الحضارات السومرية والبابلية والآشورية في بلاد النهرين والفارسية الأخمينية في بلاد فارس. كما كانت كتابات اللغة البونية الفينيقية (السامية) حاضرة بقوة في عملية فك طلاسم الكتابات اللوبية (الأفرو – آسيوية) في شمال أفريقيا. وتجرى الآن محاولات مضنية لفك طلاسم اللغة الكارية من خلال النصوص ثنائية اللغة بالمصرية (الأفرو – آسيوية) والكارية (الهندو – أوربية) التي خلّفها المرتزقة الكاريون خلال إقامتهم في مصر، وقد وصل العلماء الآن إلى نتائج بالغة الأهمية في هذا الشأن. كما يلاحظ أيضاً أن التعرف على مرادفات أسماء الأعلام المدونة في النقوش ثنائية اللغة ومتعددة اللغات كانت ولا تزال من أهم الوسائل الأولية التي اعتمد عليها العلماء في حل رموز الكتابات القديمة كالهيروغليفية والمسمارية والكارية ... إلخ نظراً لعدم تغير حروفها تغيراً كبيراً بين لغة وأخرى مثلما هو الحال اليوم في لغاتنا المعاصرة.

ويمثل حجر رشيد وثيقة أثرية – تاريخية عظيمة أدت إلى معرفة اللغة المصرية القديمة على أثر فك رموز خط كتابتها الهيرغليفية ليتم بعد ذلك الولوج والاهتداء إلى عظمة الحضارة المصرية القديمة وكشف أسرارها وتأسيس علم جديد مكرس لدراستها وهو علم المصريات. والحجر منحوت من حجر الجرانوديوريت ومحفوظ حالياً في المتحف البريطاني بلندن، وقد أطلق عليه العلماء والباحثون هذا الاسم بعد العثور عليه في مكان قريب من مصب النيل الغربي بالقرب من مدينة رشيد المصرية خلال الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٩ م. وأثارت النقوش التي على الحجر حركة قوية من الترجمة والبحث بين العلماء، وهي عبارة عن ثلاث كتابات: الهيروغليفية في أعلى الحجر ولم يتبق منها سوى ١٤ سطراً، والديموطيقية في وسطه وتتكون من ٣٢ سطراً، وأخيراً النص اليوناني في

أسفله ويحوي ٥٤ سطراً. (شكل ١٨) واتضح من خلال ترجمة النص اليوناني أنه قرار للكهنة المصريين أصدروه عام ١٩٦ ق.م، وشكروا فيه الملك البطلمي بطليموس الخامس ابيفانس (٢٠٤-١٨١ ق.م) على إعفائه معابدهم من تكاليف فرضها أسلافه عليها. وتوصل الباحثون من خلال قراءتهم للنص اليوناني إلى عبارة توصي بكتابة القرار الكهنوتي بالكتابة المقدسة، أي الهيروغليفية، والكتابة العامية، أي الديموطيقية، فضلاً عن الكتابة اليونانية، وهي لغة البلاط الرسمي، وذلك مما أشار إلى أن الكتابات الثلاث ليست غير ثلاث ترجمات لقرار واحد. ووجد أولئك الباحثون، وأبرزهم الفرنسي شامبليون المعروف بمهارته اللغوية ودرايته الكبيرة بالقبطية المصرية، ألفاظاً كُرّرت عدة مرات في النص اليوناني وحاولوا التعرف على مرادفاتها في الكتابة المصرية، ومنها ألفاظ المعابد والكهنة واسم بطليموس نفسه. ولما كانت أسماء الأعلام لا تتغير حروفها تغيراً كبيراً بين لغة وأخرى، حاولوا التعرف على مرادفات اسم بطليموس في الكتابة المصرية. ويسر لهم ذلك أن المصريين اعتادوا على تضمين أسماء الملوك في إطارات مستطيلة ملفوفة الأركان يُطلق عليها اصطلاحاً باسم الخراطيش. وبمقارنة هذا الاسم وكذلك اسم الملكة البطلمية كليوباترا، المسجل أيضاً على مسلة فيلة ثنائية اللغة المذكورة أدناه، في اللغتين اليونانية والمصرية، توصلوا إلى معرفة ثلاثة عشر حرفاً ذات اثني عشر صوتاً.[٤٤٥]

واستمرت المحاولات حينذاك لقراءة أسماء مصرية ويونانية ورومانية، وتواصلت الدراسات بعد ذلك حتى فُتحت مغاليق اللغة المصرية وأفشت أسرارها وأصبحت الآن معروفة تماماً. وبذلك تأسس علم جديد مكرس لدراستها ودراسة تاريخ وحضارة أصحابها

---

[٤٤٥] انظر: عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها،٢٤٥-٢٤٦؛ R. Parkinson, Cracking Codes. The Rosetta Stone and Decipherment (Berkeley / Los Angeles, 1999), 12-41, fig. 13. وانظر أيضاً مقالة ڤولفجانج شنكل عن مراحل فك رموز حجر رشيد وجهود العلماء الألمان خصوصاً كارل ريتشارد لبسيوس الذين أخذوا على عاتقهم إكمال مهمة شامبليون في فك ألغاز اللغة المصرية القديمة. فقد عمل لبسيوس على إثبات صحة فك الرموز الهيروغليفية الذي توصل إليها شامبليون، فضلاً عن قيامه بدور هام في فك شفرة اللغة المروية. W. Schenkel, Die Entzifferung der Hieroglyhen und Karl Richard Lepsius. In: Karl Richard Lepsius. Der Begründer der deutschen Ägyptologie, : Verena M. Lepper und Ingelore Hafemann (eds), (Berlin, 2012), 37-78.

من مصادرها الأثرية الأصلية، وقد نبغ فيه الرواد المؤسسون الأوائل نبوغاً عظيماً مكّنهم أيضاً من فك طلاسم اللغة المرَّوية في المدة ما بين ١٩٠٩-١٩١١. فقد اعتمد عالم المصريات البريطاني جريفث ومساعده عالم المصريات الألماني لبسيوس على نقش ثنائي اللغة (هيروغليفي مصري / هيروغليفي مروي) من منطقة ود بانقا لتحديد القيمة الصوتية لثمانية علامات هيروغليفية مروية والتي أنارت الطريق أمامهما لفك معظم الكتابة الهيروغليفية المروية التي قادتهما بدورها إلى حل بعض طلاسم الكتابة الخطية المروية. فقد اقتبس الكوشيون خط كتابتهم الهيروغليفي من الهيروغليفية المصرية منذ حوالي الأسرة الثامنة عشرة المصرية، ولذا تتشابه علاماتهما تشابهاً يكاد يكون تاماً وتحمل القيم الصوتية نفسها. وظلت الهيروغليفية المروية مستخدمة في كوش حتى أواخر القرن الأول الميلادي بجانب خطين آخرين وهما الديموطيقية المصرية والخطية المروية (٢٠٠ ق.م – ٥٠٠ م) التي سادت في نهاية المطاف. وبالرغم من قصر هذا النقش الثنائي المتضمن فقط خرطوشين باسم الملك نتكامانى والملكة أماني تارى بخلاف نقش حجر رشيد الطويل، إلا أنه كان كافياً للعالم جريفث ليضع يده على قيم صوتية مجهولة في الهيروغليفية المروية.[٤٤٦]

وفيما يخص حجر رشيد ونقوشه الثنائية باللغتين المصرية واليونانية، فالجدير بالذكر أن هذه الحالة لم تكن الأولى التي تجاورت فيها اللغتان المصرية بخطها الهيروغليفي المقدس واليونانية حيث جمع بينهما أثران آخران من عصرين مختلفين إذ يؤرخ أولهما وهو ثنائي اللغة بالعصر البطلمي، بينما يرجع الآخر وهو ثلاثي اللغة إلى بداية العصر الروماني. والأثر الأول هو مسلة فيلة الجرانيتية التي كانت تزين مدخل الصرح الأول لمعبد إيزيس بجزيرة معابد فيلة سنة ١١٧ ق.م، والمنصوبة الآن في حديقة بميدان كنج ستون بانجلترا بعد نقلها إلى هناك عام ١٨١٩. وساهمت هذه المسلة بدور

---

[٤٤٦] انظر: روبنسون، اللغات المفقودة (فصل الكتابة المروية، ترجمة، رمضان هاشم)، ١٤٥-١٥٠. وانظر أيضاً: A. de Voogt, The Meroitic Script and the Understanding of Alpha-Syllabic Writing, Bulletin of the SOAS, 73/ 1 (2010), 101–105.

كبير في فك رموز اللغة المصرية القديمة بجانب حجر رشيد نظراً للأسماء الملكية البطلمية المنقوشة عليها بالمصرية واليونانية. وهي تحمل على جوانبها الأربعة نقوشاً هيروغليفية من بينها أسماء ملكية بطلمية (بطليموس الثامن يورجيتيس والملكتان كليوباترا الثانية والثالثة) إضافة إلى نقوش مكتوبة باللغة اليونانية على قاعدتها والتي تتضمن نفس الأسماء الملكية أيضاً.(٤٤٧) (شكل ١٩) أما الأثر الثاني فهو اللوحة التكريسية للقائد الروماني وأول الولاة الرومان في مصر كورنيليوس جالوس والمحفوظة حالياً في المتحف المصري (CG 9295)، وهي عبارة عن لوحة جرانيتية ثلاثية اللغة مؤرخة بالعام ٢٩ ق.م، وتحمل نقشاً بثلاث كتابات لثلاث لغات مختلفة وهي على التوالي: الهيروغليفية المصرية واللاتينية واليونانية.(٤٤٨) (شكل ٢٠) كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن النصين اللاتيني واليوناني شبه متطابقان في الترجمة من حيث المعنى والمضمون مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة، وكذلك هو الحال بالنسبة للنص المصري الذي يختلف فقط في إضافة بعض الفقرات الإضافية المتوائمة لغوياً وفكرياً مع التقليد المصري خصوصاً صياغة الألقاب الملكية. ومثل هذه الإضافات نجدها أيضاً في النصين الهيروغليفيين الآخرين المنقوشين على حجر رشيد ومسلة فيلة، وكذلك في النص الهيروغليفي المدون ضمن النقش متعدد اللغات المسجل على لوحات القناة الثلاث للملك الفارسي الأخميني دارا الأول والذي سنشير إليه لاحقاً.

وإذا كان حجر رشيد وثيقة أثرية – تاريخية نفيسة الشأن نظراً لأنها أدت إلى فك رموز الكتابة الهيرغليفية وفتح مغاليق الحضارة المصرية القديمة، فان حجر بهستون الواقع على الطريق الرئيسي الموصل بين بغداد وكرمنشاه وطهران لا يقل عنه في

---

(٤٤٧) Schenkel, Die Entzifferung der Hieroglyhen und Karl Richard Lepsius, 47-51; J. Masséglia; The Philae Obelisk, Tales from Egypt, Dorset and Outer Space, (Oxford, 2015), 5-6, 17 .

(٤٤٨) M. Minas-Nerpel, S. Pfeiffer, Establishing Roman Rule in Egypt: The Trilingual Stela of C. Cornelius. Gallus from Philae. in: Katja Lembke, Martina Minas-Nerpel, Stefan Pfeiffer (Hg.), Tradition and Transformation: Egypt under Roman Rule; proceedings of the International Conference, Hildesheim, Roemer- and Plizaeus-Museum, 3–6 July 2008, (Leiden, Boston 2010), 265-298.

المكانة والأهمية. فهو الأثر الذي قاد إلى فك طلاسم الكتابة المسمارية في القرن التاسع عشر الميلادي، وأنار السبيل أمام العلماء والباحثين للتطلع إلى الماضي البعيد والتعرف على عراقة ثلاث حضارات قديمة هي السومرية والسامية (الأكَّادية والبابلية والاشورية) ببلاد النهرين والفارسية الأخمينية ببلاد فارس. وعلى عكس حجر رشيد المكتوب بلغتين مختلفتين حيث كانت أولاها غير معروفة وهي المصرية القديمة بالخطين الهيروغليفي والديموطيقي خلافاً للغة الثانية المعروفة وهي اليونانية بخطها اليوناني، فإن اللغات الثلاث المختلفة بكتاباتها المسمارية على حجر بهستون وكذلك في نقوش برسيبوليس، عاصمة الدولة الأخمينية، لم تكن معروفة تماماً. وبالرغم من ذلك، كان أسلوب التعرف على مرادفات أسماء الأعلام المتبعة في فك رموز النص الهيروغليفي على حجر رشيد هو نفسه المتبع في معرفة تلك اللغات. فقد استطاع عالم اللغويات والنقوش القديمة الألماني جروتفند أن يستنتج في سنة ١٨٠٢م من خلال مقارنة الأسماء الملكية المنقوشة في برسيبوليس قراءة أسماء ثلاثة ملوك والتي كان من بينها اسم الملك دارا الأول. علاوة على ذلك، فقد عرف القيمة الصوتية لثلاثة عشر رمزاً من الفارسية القديمة التي تمثل إحدى الكتابات الثلاث المنقوشة على حجر بهستون. وكانت هذه النتيجة هي المفتاح الذي فتح الطريق أمام الباحثين الآخرين لفك بقية رموز الكتابة المسمارية الأولى، وهي الكتابة الفارسية، التي كانت كتابة مقطعية مؤلفة من ستة وثلاثين رمزاً فقط خلافاً للمسمارية البابلية. وبعد أن تم حل رموز الكتابة المسمارية الفارسية انتقل العلماء لحل رموز الكتابة المسمارية البابلية، وهذا ما تم بالفعل على يد الضابط البريطاني رولنسون على أثر اكتشافه نقش بهستون.[٤٤٩]

لقد اعتاد بعض ملوك الفرس الأخمينيين على نقش نصوصهم العسكرية والمدنية بعدة لغات وبالكتابة المسمارية المطورة حيث عُثر في بلاد فارس على كتابات ثنائية وثلاثية اللغة بالعيلامية والفارسية القديمة (الأخمينية) إضافة إلى الأكَّادية البابلية. ومن

[٤٤٩] انظر: عامر سليمان، الكتابة المسمارية، ١٧–٢٤.

أهم وأشهر تلك الكتابات النقوش المنحوتة على سفح جبل باغستان البالغ ارتفاعه ٣٨٠٠ قدم، وهي النقوش المعروفة لدى العلماء والباحثين بتسمية حجر بهستون نسبة إلى وجوده في قرية صغيرة معروفة باسم بهستون عند أسفل الصخر. والحجر عبارة عن قسمين يتضمن أحدهما منظراً فنياً يصور الملك الفارسي الأخميني دار الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م) بمعية كبار الدولة والجيش وهو يستعرض أمامه قادة العصاة والمتمردين المأسورين والمكبَّلين بالحبال عقب إخماد ثورتهم ضده. أما القسم الآخر فهو عبارة عن نص مترجم إلى ثلاث لغات هي الفارسية القديمة والعيلامية والبابلية الأكَّادية ومكتوب بالكتابة المسمارية. (شكل ٢١) وقد عكف الباحثون على دراستها بعد أن قام رولنسون بنسخها سنة ١٨٣٥م وتمكّنه من حل رموز الكتابة المسمارية للغة الفارسية القديمة سنة ١٨٤٦م بفضل اقتفائه نتائج دراسات جروتفند. فضلاً عن مقارنته الأسماء الملكية بمرادفاتها المذكورة في المصادر اليونانية وكذلك معرفته الكاملة بالسنسكريتية والبهلوية المكتوبة بها النصوص الدينية الأفستية (زند أفستا، كتاب الزرادشتيين المقدس) التي ترجمها ونشرها دو بيرون سنة ١٧٧١م. وقد شارك في هذه المهمة علماء كرّسوا جهودهم لقراءة النص العيلامي، وآخرون لقراءة النص البابلي الأكَّادي والذي تبين لهم أنه مكتوب بنفس الكتابة المسمارية المنقوشة على الآثار العراقية في مدينتي خرسباد (دور شروكين) ونينوى. ومن خلال أسماء الأعلام المذكورة في نقش بهستون أمكن تحديد العلامات المسمارية المكتوبة بها، وتدريجياً تسنى فك رموز الكتابة المسمارية للنص البابلي بنفس الأسلوب المتبع في فك رموز الهيروغليفية المصرية والفارسية القديمة. وتبين أن المسمارية البابلية هي أعقد الكتابات الثلاث لاشتمالها على أكثر من خمسمائة علامة. وتوالت بعد ذلك المحاولات والدراسات من قبل علماء الجمعيات العلمية إلى أن تم الإعلان رسمياً عن فك رموز الكتابة المسمارية للغات الثلاث في عام ١٨٥٧ م. كما أوفد المتحف البريطاني سنة ١٩٠٤م اثنين من الباحثين وهما كنج وطومسون اللذين تمكنا سنة ١٩٠٧ من نشر النصوص الكاملة للكتابات المترجمة بالفارسية القديمة والعيلامية والأكَّادية البابلية في

بهستون وفقاً لمقارنات وشروحات حديثة ومتطابقة مع النتائج السابقة.[٤٥٠] وبنفس الكتابة المسمارية واللغات الثلاث المختلفة تم نقش عدد من الآثار الحجرية الأخرى مثل حجر كنچنامه (على بعد ١٢ كم جنوب غرب مدينة همدان الإيرانية) المؤرخ بفترتي حكم الملكين دارا الأول وإكسيركسيس الأول،[٤٥١] ونقش قلعة وان ثلاثي اللغة بالقرب من بحيرة وان شرقي الأناضول (ولاية أرمينيا الأخمينية) والمؤرخ بحكم الملك الأخير.[٤٥٢]

وكانت طبيعة النص البابلي المدون باللغة الأكَّادية على الآثار الفارسية ثلاثية اللغة مختلفة لغوياً تماماً عن نظيريه الفارسي الأخميني والعيلامي، وقد تبين قربه اللغوي من اللغتين العربية والعبرية لانتمائهم إلى عائلة لغوية واحدة، وهو الأمر الذي أفاد الباحثين في فهم كثير من المفردات اللغوية والتأكد من صحة قراءتها. ولكن نتج عن ذلك الاعتقاد القديم الخاطئ بأن الساميين العراقيين هم أول الأقوام العراقية القديمة التي استعملت الكتابة ودونت لغتها، وأن النصوص المسمارية المكتشفة في بلاد النهرين هي نصوص بابلية وآشورية. وقد لوحظ أن العلامات المسمارية لا تميز بدقة بين الأصوات الحنكيَّة والصلبة واللينة، في حين أن أصوات اللغة البابلية والآشورية تميز بين هذه الأصوات، وكان من المتوقع أن تعبر الكتابة المسمارية عن أصوات لغة الأقوام التي ابتدعتها تعبيراً دقيقاً، لذا فإن البابليين لم يكونوا مبتدعي الكتابة. وفي أواسط القرن التاسع عشر الميلادي وتحديداً في سنة ١٨٥٠ م، ومن خلال النصوص العراقية القديمة ثنائية اللغة، نشر أحد الباحثين نظرية مفادها وجود لغة أخرى إلى جانب اللغة الأكَّادية بلهجتيها البابلية والآشورية والتي تبين لاحقاً أنها لغة الأقوام السومرية، ولذلك سميت اللغة

---

(٤٥٠) A. V. W. Jackson, The Great Behistun Rock and Some Results of a Re-Examination of the Old Persian Inscriptions on It, JSTOR, 24 (1903), 77–95; J. Finn, Gods, Kings, Men: Trilingual Inscriptions and Symbolic Visualizations in the Achaemenid Empire, in; Ars Orientalis 41(2011), 220-230, 234. وانظر أيضاً: عامر سليمان، الكتابة المسمارية، ٢٢–٢٤.

(٤٥١) Finn, Gods, 242-245, 259.

(٤٥٢) E.R.M. Dusinberre, Empire, Authority, and Autonomy in Achaemenid Anatolia, (Cambridge, 2013), 51-52.

السومرية. كما أظهرت الدراسات اللغوية أن اللغتين السومرية والأكَّادية عاشتا جنباً إلى جنب طوال الألف الثالث قبل الميلاد بوصفهما لغتي تخاطب وتدوين أحياناً. ومنذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد بَطُل استعمال اللغة السومرية من التخاطب، إلا أنها ظلت تستعمل في تدوين عدد من النصوص الهامة وبخاصة النصوص الدينية والفلكية. وشاع استعمال اللغة الأكَّادية في القرون اللاحقة حتى غدت اللغة الرئيسية السائدة ليس فقط في التخاطب والتدوين داخل بلاد النهرين، بل أيضاً لغة الدبلوماسية الدولية خلال الألف الثاني قبل الميلاد كما ذكرنا آنفاً.[٤٥٣] وقد يكون ذلك سبباً لتعزيز شرعيتها اللغوية والحضارية وكفل لها حق الحضور والمشاركة في النقوش الفارسية الأخمينية ثلاثية اللغة واعتبار أصحابها من الملوك أنفسهم هم ورثة الإرث الحضاري الفارسي (العيلامي) والعراقي (السومري – الأكَّادي السامي) رغم اتخاذهم اللغة الآرامية لغة رسمية لدواوينهم الرسمية للأسباب المذكورة سابقاً.

واستناداً إلى ختم المترجم الأكَّادي شو– إيليشو الذي يؤكد على وجود مترجمين للغة ميلوخًّا السندية في بلاد النهرين، فقد تكون الكتابة المسمارية المكتوبة باللغتين السومرية والأكَّادية هي المفتاح الذي من شأنه تمكين العلماء مستقبلاً للولوج إلى فك طلاسم اللغة السندية المجهولة حتى الآن. فهذا الختم الإسطواني يقدم بصيصاً من الأمل في وجود نصوص ثنائية اللغة في مكانٍ ما في بلاد النهرين، والتي ستكون حال اكتشافها مفتاح حل رموز هذه اللغة الغامضة والاهتداء إلى معرفة حضاراتيها الموهينجو داروية والهارابية.[٤٥٤]

وعلى صعيد آخر تشارك اللغة المصرية القديمة مؤخراً في فك طلاسم اللغة الكارية رغم اختلافهما اللغوي حيث عثر في عدة مواقع في مصر على عدد غير قليل من الآثار

---

[٤٥٣] انظر: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ٣، ١٣، ١٥، ٣١؛ عبد الله علي محمد التميم، أثر الكتابة المسمارية وفك رموزها على أسلوب نطق اللغتين السومرية والأكدية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج ١٨، ع ٤ (٢٠١١)، ٣١٤–٣٣٧.

[٤٥٤] Possehl, Shu-ilishu's Cylinder Seal, 43.

المنقوشة بنصوص ثنائية باللغتين المصرية والكارية والتي يرجع تاريخها إلى فترة ما بين ٦٦٠ – ٥٠٠ ق.م.[٤٥٥] فقد عاشت جالية كارية كبيرة على الأراضي المصرية منذ أواسط القرن السابع قبل الميلاد نتيجة اعتماد ملوك الأسرة السادسة والعشرين الصاوية على الجنود المرتزقة وفي مقدمتهم الكاريين ضمن وحدات الجيش المصري على النحو الموضح أعلاه. وقد ثبُت أن اللغة الكارية الهندو – أوربية مكتوبة بأبجدية هجائية، وتُكتب من اليمين إلى اليسار أو العكس، وتتكوّن علاماتها المكتشفة في مصر من حوالي ثلاثين علامة من مجموع العلامات الأربعين التي تُشكل الأبجدية الكارية الأكثر حداثة والمكتشفة في كاريا على الساحل الأيوني بالأناضول. كما أن جزء كبير من الأبجدية الكارية يشبه الحروف اليونانية المبكرة رغم وجود بعض الاختلافات في القيمة الصوتية لكل منهما دون أن يمنع ذلك في التقدم نحو فك طلاسم الكتابة الكارية وفتح آفاق رحبة لفهم لغتها. ومن النصوص ثنائية اللغة المكتشفة في مصر نص على تمثال نذري من البرونز للعجل أبيس ومنقوش علي جوانب قاعدته بالمصرية والكارية اسم صاحبه ومهنته: "المترجم بارايوم" (شكل ٢٢)، وتمثال نذري آخر من البرونز للإلهة نيت من عهد الملك بسماتيك الأول والذي يحمل نقشاً باللغتين المصرية والكارية فوق قاعدته. (شكل ٢٣) علاوة على لوحة نذرية من عهد الملك أبريس (٥٨٩–٥٧٠ ق.م) الذي يظهر فيها وهو يقدم القرابين للإله بتاح وفقاً للنص الهيروغليفي المصاحب للمنظر خلافاً لمضمون النص الكاري الجنائزي المنقوش أعلى المنظر وفي جانبه الأيمن. (شكل ٢٤)

وبخصوص المترجم بارايوم المذكور على تمثاله النذري آنف الذكر، فإنه لم يُوصف بإحدى الكلمات المألوفة الدالة على معنى المترجم والمُشار إليها أعلاه، ولكنه منعوتاً بكلمة "وحم *wḥm* 𓅱" المسبوقة بأداة التعريف للمفرد المذكر (با *p3* 𓅮). وتُنطق صيغته الكارية المذكورة على التمثال بـ"أرمون *armon*" الدالة تبعاً لذلك على معنى

---

[٤٥٥] انظر: انظر: فيتمان، مصر والأجانب، ١٩٩–٢١٨.

"مترجم"، والتي تم تحويرها من الكلمة اليونانية ἑρμᾱνεύς[٤٥٦] وليس من الكلمة الأكَّادية ترجمانو *targumānu* المعروفة منذ العصر الأكَّادي وأسرة أور الثالثة فصاعداً داخل وخارج بلاد النهرين.[٤٥٧] وتمثل هذه الكلمة لقباً كهنوتياً يدل على أن صاحبه كان مترجماً (مُفَسِّراً) للرؤى والأحلام لارتباطه بعبادة العجل المقدس أبيس في معبد السيرابيوم بسقارة حيث عثر على التمثال، والتي ترتبط بدورها بعبادة ووحي الإله بتاح في منف. فقد كان السائلون من المواطنين والأجانب بما فيهم الكاريين يقصدون السيرابيوم حيث العجل المقدس أبيس الذي كان يجسد الروح المتجددة للإله بتاح ورسوله في معبده هناك، ويقُصّون عليه أحلامهم ويطلبون منه الإجابة عليها بالإيحاء عن طريق مترجمين ومُفسّرين روحانيين لقدرتهم وحدهم على ترجمة وتفسير ما يُوحي به إليهم.[٤٥٨] وهذا الشخص الكاري المعنيين به قد أهدى تمثاله النذري ووضعه داخل السيرابيوم لعبادة بتاح من خلال التقرب للعجل المقدس أبيس. وكان يهدف من وراء ذلك إلى ضمان استمرار توسلاته إليه سعياً وراء إطالة الحياة وفقاً لما ورد في نقشه ثنائي اللغة الذي يقول فيه: "ليت حابي (أبيس) يعطي الحياة للمترجم بارايوم". وربما كان ذلك الشخص متمصراً ووسيطاً لغوياً روحياً بين المعبد وزواره الكاريين الذين لم يتم تمصيرهم بعد. وقد يعزز هذا

---

(٤٥٦) I. J. Adieco, Recent Develoments in the Decipheremnt of Carian, in: R. Van Bremen & J. M. Crbon, Hellenistic Karia, Proceedings of the First International Conference on Hellenistic Karia - Oxford, 29 June - 2 July 2006, Ausonius Éditions, Études 28, (Bordeaux, 2010), 153.

(٤٥٧) R. Janko, The Etymologies of ΒΑΣΙΛΕΣ and ΕΡΜΗΝΕΣ, The Classical Quarterly 64/2 (2014), 469-470.

(٤٥٨) انظر: C. Jurman, Running with Apis, The Memphite Apis Cult as a Point of Reference for Social and Religious Practice in Late Period Elite Culture. In: Egypt in Trasition, Social and Religious Development of Egypt in the First Millennium BCE, Proceedings of an International Conference Prague, September 1–4, 2009, L. Bareš and others (eds), (Prague 2010), 244-267; J. Labudek, Late Period Stelae from Saqqara. A Social-Cultural and Religious Investigation, (M.A Thesis, Univ. of Birmingham, 2010), 10-12, 13-14, 33, 47-53; G. J. Botterweck, H. Ringgern, H. Fabry, Theological Dictionary of the Old Testament, Vol. 13, (Michigan, Cambridge, 2004), 75.

الرأي التطابق الصوتي للاشتقاق اللغوي للكلمة الكارية "أرمون" مع الكلمة اليونانية المرتبطة باسم رسول الآلهة هيرميس(٤٥٩) على النحو الموضح أعلاه.

كما كانت النقوش الفينيقية ولهجتها البونية القرطاجية بمثابة حجر رشيد والمفتاح الذي فك طلاسم لغات أخرى كاللوفية واللوبية. فقد تأسست بعض الكيانات السياسية الصغيرة في جنوبي الأناضول وشمالي سوريا على أنقاض انهيار الإمبراطورية الحيثية في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وكان من بينها دويلة مذكورة في المصادر الآشورية الحديثة باسم قوا Que في أضنة وسهل كيليكيا. وتشغل موقع هذه الدويلة الآن كاراتبه (قره تبة آصلان طاش جنوبي تركيا اليوم) حيث اكتشف عام ١٩٤٦م نقش ثنائي اللغة مكتوب باللغتين الفينيقية واللوفية من القرن الثامن قبل الميلاد، وهو عبارة عن ثلاث لوحات بازلتية تضمنت اثنتان منهم نقوشاً بالهيروغليفية اللوفية واحتوت الثالثة على نقش فينيقي. وتسجل هذه النقوش الأعمال الحربية والعمرانية لأحد ملوك أضنة ويدعى أزت ود (ازتود)، وتنتهي باستنزال لعنات الآلهة على المنتهكين لاسمه وآثاره ومدينته التي دمرها الآشوريون في أواخر القرن الثامن أو بدايات القرن السابع قبل الميلاد. ولم تكن اللغة اللوفية معروفة بعد، ولكن النقش الفينيقي الذي يمثل ترجمة حرفية من نظيره اللوفي قد أثبت للعلماء أنه مفيد وفعّال للغاية في فك رموزها الغامضة من خلال مقارنتهما بعضهما مع بعض.(٤٦٠) (شكل ٢٥)

وتجدد الأمل مرة أخرى عام ١٩٦٤م عند اكتشاف الألواح الذهبية الثلاثة في مدينة بيرجي الإتروسكية القديمة وعليها نصوص ثنائية اللغة تعود إلى حوالي ٥٠٠ ق.م ومكتوبة باللغتين البونية الفينيقية والإتروسكية الغير معروفة. (شكل ٢٦) فقد تضمن أحد

---

(٤٥٩) انظر: Janko, Etymologies, 469.

(٤٦٠) انظر: H. ÇAMBEL, Corpus of Hieroglyphic Luwian Inscriptions, vol. 2, Karatepe-Aslantaş: the inscriptions, (Berlin, 1998), 1-2, , 6-7, 15-31; G. Soultaanian, The Pre-History of the Armenians – The Proto-Armenian Hieroglyphic Inscriptions of Aram, (London, 2004), 133-149; I. Yakubovich, Phoenician and Luwian in Early Iron Age Cilicia, Anatolian Studies 65 (2015): 35–53.

الألواح نقشاً فينيقياً باللهجة البونية، بينما نُقش الآخران باللغة الإتروسكية التي تُعدّ من اللغات المنفصلة المعزولة بالرغم من أن أصحابها الإتروسكيين كانوا يسكنون منطقة إتروريا شمالي غرب إيطاليا حيث لعبوا دوراً عظيماً كونهم يمثلون حلقة الوصل الحضاري بين اليونانيين والرومان وبخاصة في نقل الأبجدية اليونانية المقتبسة من الفينيقية السينائية. ولكن النتائج كانت مخيبة للآمال بعد أن تأكد للعلماء أن النقش البوني أبعد ما يكون عن حجر رشيد لفك طلاسم النقش الإتروسكي لأنه لم يكن ترجمة حرفية له رغم تسجيلهما نفس الحدث ولكن بطرق مختلفة. فالنقش البوني يتحدث عن تقديم الحاكم الإتروسكي نذراً إلى الإلهة الفينيقية عشتارت، إلا أن طبيعة هذا النص ثنائي اللغة الغير متطابق في ترجمته ربما تدل على معاهدة مبرمة بين هذا الحاكم وبين القرطاجيين الذين وسّعوا من نشاطهم الاستيطاني التجاري حتى المناطق الساحلية لشبه الجزيرة الإيطالية.[٤٦١]

كما قاد اكتشاف النصوص ثنائية اللغة سواء البونية – اللوبية أو اللاتينية – اللوبية في شمال غرب أفريقيا إلى فك رموز لغة وكتابة السكان الأصليين ببلاد المغرب القديم المعروفة باسم اللغة والكتابة اللوبية. وتُعدّ اللغة اللوبية لغة مختلف القبائل اللوبية في بلاد المغرب القديم خصوصاً في الفترة ما بين القرن الثامن والقرن الرابع قبل الميلاد، ثم هي لغة النوميديين في مملكة نوميديا الموحدة منذ القرن الرابع قبل الميلاد. ونظراً لأن الفينيقيين هم أول من نشروا الكتابة في بلاد المغرب القديم، فكان من الطبيعي أن يبدأ سكانه تدوين لغتهم واللهجات المحمولة عليها منذ القرن الثاني قبل الميلاد بحروف فينيقية. ثم حاكت البونية والبونية الحديثة، لتستقل بأصواتها ومعانيها خلال مرحلة حكم المملكة النوميدية، وأخيراً أخذت صورة متطورة في مرحلة الاحتلال الروماني في القرن الثاني الميلادي وفقاً للنقوش المزدوجة المكتوبة باللاتينية واللوبية. واستناداً إلى النقوش

---

[٤٦١] انظر: روبنسون، اللغات المفقودة، (فصل الأبجدية الإتروسكية، ترجمة محمد عبد الغني)، ١٥٩–١٧١؛ P. Agostini, A. Zavaroni, The Bilingual Phoenician-Etruscan Text of the Golden Plates of Pyrgi, Filologija 34 (2000), 3–48.

البونية – اللوبية تم ضبط أبجدية الخط اللوبي المكوَّن من ٢٢ حرفاً صامتاً مثل الكتابات السامية، وكان يُكتب في اتجاهات مختلفة من اليمين إلى اليسار والعكس، ومن أعلى إلى أسفل والعكس.[٤٦٢] وأقدم النقوش الثنائية باللغتين البونية واللوبية المعروفة والتي ساهمت في حل رموز الأبجدية اللوبية وإبراز التراث الحضاري البوني الليبي هو اللوحة الحجرية المتضمنة نقش دوقة التي تم اكتشافها سنة ١٩٠٤م في مدينة دوقة التونسية والمحفوظة حالياً في متحف باردو بتونس. وهذا النقش المؤرخ بحوالي سنة ١٣٩ ق.م عبارة عن نص إهدائي من سكان مدينة دوقة اعترافاً منهم بالأعمال الجليلة التي قدمها الملك النوميدي ماسينسا لقومه. وكان ذلك في السنة العاشرة من حكم ابنه ووريثه على العرش الملك مسيبا الذي قام بإنشاء معبد هذه المدينة آنذاك تخليداً لذكرى والده. ويتكون هذا النقش المزدوج من نصين أولهما النص البوني المكتوب أعلى اللوحة الحجرية والذي يتكون من خمسة أسطر، ثم يليه النص الثاني وهو الليبي المكوّن من سبعة أسطر والذي يمثل ترجمة متطابقة تماماً مع النص البوني. ثم يعود النقش ثانيةً في بقية السطر الثاني عشر الليبي حيث ينتهي بكتابة بونية تمثل خاتمة النص البوني. وترتيب كلا النصين المنقوشين بهذا الشكل يؤكد على حقيقة أن الكتابة البونية كانت هي الكتابة الرسمية لدى الملوك النوميديين.[٤٦٣] (شكل ٢٧)

ولم تكن اللغة الآرامية غائبة عن هذا المشهد اللغوي المرتبط بفك طلاسم اللغات المندثرة خصوصاً المنتمية إلى المجموعة اللغوية الأناضولية الهندو – أوربية كالليكية والليدية نتيجة انتشارها الواسع في آسيا الصغرى منذ أواسط القرن الخامس قبل الميلاد عندما اتخذها الفرس الأخمينيون لغة رسمية لإمبراطوريتهم. فقد تمكن قورش الأكبر أو

---

[٤٦٢] انظر: محمد العرباوي، الكتابة البربرية اللوبية: التيفيناغ، ٩٢-١٠٢؛ مها عيساوي: اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ٤ (٢٠١٨) .
http://herodotedb.com/index.php/ar/57-2018-04-18-23-39-25

[٤٦٣] محمد الصغير غانم، نقيشة دوقة الأثرية: دراسة لغوية – تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة (الجزائر)، ع ١٠(١٩٩٨)، ١٠١-١١٢.

الثاني في عام ٥٤٧ ق.م من الاستيلاء على الممالك الأيونية اليونانية الأناضولية المطلة على الساحل الشرقي للبحر الإيجي (الليدية والليكية والكارية). وكان يهدف من وراء ذلك إلى توسيع حدود دولته حتى البحر الإيجي من أجل تأمين مصالحها التجارية وبسط يده على المدن الأيونية الغنية وفك التحالف الليدي – البابلي – المصري المناوئ له.(٤٦٤) ونظراً لأن الفرس الأخمينيين قد تبنوا اللغة الآرامية كلغة رسمية لإمبراطوريتهم، فقد بدأت هذه اللغة في الانتشار الواسع في أنحاء الأناضول بجانب لغات سكانها الهندو – أوربيين، وشاركتها في عدد من النقوش ثنائية وثلاثية اللغة حيث تنفرد الآن بامتلاكها مفتاح حل ألغاز وطلاسم كتاباتها المجهولة. وأهم تلك النقوش نقش ليتون ثلاثي اللغة ونقش سارديس ثنائي اللغة، وهما النقشان المرتبطان بعلاقة اللغة الآرامية بفك كتابات اللغتين الليكية والليدية.

ويُعرف النقش الأول بنقش ليتون أو كسانتوس ثلاثي اللغة المكتوب باللغات الليكية واليونانية والآرامية، وهو عبارة عن نص منقوش على أوجه اللوحة الحجرية الأربعة المكتشفة سنة ١٩٧٣م بجوار معبد أبوللو داخل نطاق حرم المعابد الثلاثة المكرسة لعبادته وعبادة أمه الإلهة ليتو وشقيقته التوأم الإلهة أرتميس. وقد شُيدت هذه المجموعة الدينية منذ القرن السابع قبل الميلاد في ليتون بالقرب من كسانتوس، العاصمة الليكية القديمة الواقعة في المنطقة الساحلية الجنوبية الغربية للأناضول المطلة على البحر الإيجي (محافظتا أنطاليا وموجلا بتركيا حالياً). والنص المنقوش فوق تلك اللوحة المحفوظة الآن في متحف مدينة فتحية بمحافظة موجلا التركية هو نص تكريسي لعبادة الأم الإلهية وتوأميها الإلهين وأسماء رجال الكهنوت القائمين على خدمتهم. ويتكون النص الليكي من ٤١ سطراً والنص اليوناني من ٣٥ سطراً والنص الآرامي المقتضب من ٢٧ سطراً، والنصوص الثلاثة غير مطابقة في ترجمتها الحرفية ولكنها متفقة في معناها ومضمونها، فضلاً عن احتواء كل نص على بعض المعلومات الغير مذكورة في الآخر.

(٤٦٤) Dusinberre, Empire, Authority, and Autonomy in Achaemenid Anatolia, 1-30.

ووفقاً للنص الآرامي فإن النقش مؤرخ بالسنة الأولى من حكم الملك الفارسي الأخميني ارتاكسيركسيس الذي هو على الأرجح ارتاكسيركسيس الرابع آرسيس، وبذلك يوافق هذا التأريخ العام ٣٣٦/٣٣٧ ق.م من حكمه.[٤٦٥] (شكل ٢٨) أما لوحة سارديس ثنائية اللغة باللغتين الآرامية والليدية، فهي عبارة عن لوحة حجرية جنائزية اكتشفتها البعثة الأمريكية خلال موسم الحفائر ١٩١٠-١٩١٣م في جبانة ساردیس عاصمة المملكة الليدية غربي الأناضول على الساحل الإيجي (محافظتا أزمير ومانيسا بتركيا الحالية). ووفقاً للسطر الأول من النص الآرامي فالنقش مؤرخ باليوم الخامس من الشهر الثامن من العام العاشر من حكم الملك ارتاكسيركسيس وهو ارتاكسيركسيس الأول، وبالتالي يطابق تأريخ النقش العام ٤٥٥ من حكمه. وعلى الرغم من احتواء النص المنقوش بالآرامية على بعض الصعوبات بما فيها أسماء الأعلام إضافة إلى تضمنه العديد من المفردات الأجنبية سواء المستعارة من شقيقتها الفينيقية أو الفارسية القديمة أو القبرصية المينوية، إلا أنه لا يزال فاعلاً وبقوة كأحد نماذج حجر رشيد في فهم اللغة الليدية. فالنص الآرامي مفيد للغاية في فك طلاسم رموز هذه اللغة المتحدرة من الفرع الأناضولي المنتمي لعائلة اللغات الهندو – أوربية، علاوة على وجود عدة محاولات غير مثبتة حتى الآن لفهم النص الليدي من خلال النص الإتروسكي المنقوش على اللوحات الذهبية ثنائية اللغة (فينيقي – إتروسكي) وفقاً لإطار بنية ومضمون النص الآرامي.[٤٦٦] (شكل ٢٩)

نماذج من النصوص ثنائية اللغة ومتعددة اللغات

ونتنقل الآن إلى استعراض بعض النماذج الأثرية الأخرى المتضمنة نصوص ثنائية اللغة ومتعددة اللغات كشواهد إضافية على ازدهار حركة الترجمة في منطقة الشرق

---

[٤٦٥] J. Teixidor, The Aramaic Text in the Trilingual Stele from Xanthus, JNES 73/2 (1978), 181-185; T. R. Bryce, The Lycians. A Study of Lycian History and Civilisation to the Conquest of Alexander the Great, Vol. 1: The Lycians in Literary and Epigraphic Sources (Copenhagen, 1986), 48-49, 68-71; G. Melchert, The Trilingual Inscription of the Létôon. Lycian Version », http://www. achemenet.com/pdf/lyciens/letoon.pdf.

[٤٦٦] C.C. Torrey, The Bilingual Inscription from Sardis, AJSL 34 (1917-18), 185–98; F.C. Woudhuizen, Selected Luwian Heiroglyphic Texts 2, (Innsbruck, 2005), 119-47.

الأدنى القديم. وكما هو معروف أن بلاد النهرين قد تميزت دون غيرها من بلدان الشرق الأدنى القديم بظاهرة الازدواج اللغوي من خلال استعمال اللغتين السومرية والأكَّادية في وقت واحد ولقرون عديدة، وهو ما ترتب عليه تأليف المعاجم اللغوية وازدواجية المناهج الدراسية وترجمة ونسخ النصوص السومرية إلى اللغة الأكَّادية. وقد تمايزت أساليب المترجمين العراقيين القدماء في عملية ترجمة النصوص السومرية للأكَّادية بين نظام الأعمدة المتناظرة حيث كان يُكتب النص السومري في العمود الأيسر وبجانبه النص المترجم بالأكَّادية في العمود الأيمن، وبين نظام السطور المتناوبة حيث كان يُكتب السطر السومري وتحته ترجمته بالأكَّادية في السطر الذي يليه مباشرة .... وهلُمّ جرّا. ويتشابه نظام الأعمدة إلى حدٍ كبير مع النصوص المعجمية مع اختلاف أن المعاجم اللغوية تتكون من مفردات أو مصطلحات، لكن هذه النصوص تُشكل عبارات أو جمل سومرية كاملة. وكانت السطور السومرية القصيرة في النظام الثاني يتم استكمالها بالترجمة الأكَّادية مسبوقة بعلامة فاصلة تمثل إسفين مزدوج. كما تفاوتت أيضاً في كلا النظامين أنواع خطوط التسطير الفردية والزوجية سواء الرأسية منها والتي تقسم الأعمدة إلى أعمدة فرعية أو الأفقية الفاصلة بين السطور، وكذلك تضمين بعض الألواح الكتابية بالبيانات التعريفية الختامية المشتملة على أسماء كتبتها وتواريخها وأماكن حفظها. فضلاً عن حواشي التهجئات الصوتية للنص السومري التي كان يخصص لها إما عمود مستقل وهو الأول جهة اليسار بجانب العمود الثاني الأوسط المتضمن النص السومري على أن يُترك العمود الثالث الأيمن للترجمة الأكَّادية، أو بنظام التذييل المتناوب أسفل كل سطر سومري في العمود الأيسر الأول بحيث تكون الترجمة الأكَّادية في العمود الأيمن الثاني.[٤٦٧]

ومن أمثلة هذه النصوص ما عُثر عليه في مدينتي نفر وآشور، وهي نصوص تتضمن أمثالاً سومرية وما يقابلها في اللغة الأكَّادية، والأمثال المنقوشة على أحد ألواح

---

[٤٦٧] J. Cooper, Bilingual Babel: Cuneiform Texts in Two or More Languages from Ancient Mesopotamia and Beyond, Visible Language 27: 1 / 2 (1993), 69-96.

مدينة نفر (حوالي العام ١٧٥٠ ق.م) عبارة عن أقوال مأثورة عن الصورة السلبية للمرأة، وتتميز بظاهرة التذييل الصوتي من خلال تضمين كل سطر سومري بعلامات دالة على التهجئة الصوتية للعبارات السومرية (شكل ٣٠ أ).[٤٦٨] أما الأمثال المنقوشة على بعض الألواح الكتابية من عدة أماكن خصوصاً مدينة آشور، فهي مؤرخة بالعصر البابلي القديم وتكرر نسخها في العصور اللاحقة وتحديداً في العصر الآشوري الحديث، ومن هذه الأمثال:

- الجائع يقتحم مبنى حتى لو كان من طوب صلد (حرفياً: من الطوب المحروق)
- هلاّ كنت ستضع كتلة طين في يد من يقذفها؟[٤٦٩] (شكل ٣٠ ب)
- زوجة الرجل التي لا تحسن الكلام مثل الجارية.
- لساني يجعلني مساوياً للناس.
- لساني يجلب لي التقدير بين الناس.[٤٧٠] (شكل ٣٠ جـ)
- الصداقة تدوم يوماً واحداً، وعلاقات الأعمال التجارية تدوم للأبد.
- هناك تشاجر بين الزملاء، ونميمة بين رجال الدين.
- الغريب الساكن في مدينة أخرى كالمُستَعبّد.
- فن الكتابة أم الخطباء وأبو العلماء.[٤٧١] (شكل ٣٠ د)
- عندما تنجو، فإنك ثور بري، ولما يتم الإمساك بك، فإنك تتذلل ككلب.[٤٧٢] (شكل ٣٠ هـ)

وبالإضافة إلى التراتيل الميثولوجية ثنائية اللغة (شكل ٣١ أ – ب)،[٤٧٣] فإنه يوجد العديد من النصوص الملكية المزدوجة باللغتين السومرية والأكَّادية ومنها نص يعود

---

(٤٦٨) Cooper, Bilingual Babel, 80.

(٤٦٩) W. G. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, (Indiana, 1996), 234-235:19-22.

(٤٧٠) Lambert, Babylonian Wisdom literature, 236, 238: 3-8.

(٤٧١) Lambert, Babylonian Wisdom Literature, 258-259:9-17, 19.

(٤٧٢) Lambert, Babylonian Wisdom Literature, 253, 254: 5-7.

للملك إيمي – صدوقا (١٦٤٦-١٦٢٦ ق.م) عثر عليه في مدينة نفر، والذي يمجد فيه الأعمال التي كرسها للإلهة عشتار. ويتكون هذا اللوح الكتابي من ثلاثة أعمدة حيث يحوي العمود الأول تعليقات صوتية للنص السومري المكتوب في العمود الثاني وبجانبه ترجمته الأكَّادية في العمود الثالث.(٤٧٤) (شكل ٣٢) فضلاً عن نص مشهور ثنائي اللغة مكوّن من قسمين حيث نُقشت السطور السومرية السبعة عشر ناحية اليسار وترجمتها بالأكَّادية ناحية اليمين. وتتوفر الآن من هذا النص أربع نُسخ تم نسخها وترجمتها من أصل سومري قديم حيث عُثر على ثلاث منها في مكتبة الملك آشوربانيبال بمدينة نينوى إضافة إلى نسخة رابعة مكتشفة في مدينة كيش. ويتحدث النص عن قيمة وأهمية فن الكتابة واعتزاز العراقيين القدماء به:

الكتابة أم الخطباء وأبو العلماء
الكتابه فن بهيج لا تشبع منه النفس
ليس من اليسير تعلم الكتابة، ولكن من تعلم الكتابة لا يقلق أبداً
جاهد في ضبط الكتابة وستغنيك
كن مجّداً في الكتابة توفر لك الغِنّى والرّفاهية
لا تتقاعس فيها ولا تكن كسولاً.
إن الكتابة بيت الغِنّى، وسرّ آلهة الانوناكي
اِعمل دون توقف في الكتابة، وستكشف لك عن الأسرار.
أما إذ أهملت الكتابة، فسوف يشار إليك بالسخرية
الكتابة حظ سعيد فيه الغِنّى والرفاهية

---

(٤٧٣) Cooper, Bilingual Babel, 84, 85.

(٤٧٤) L. Menicatti, Blingualism and Kingship, An Analysis of Mesopotamian Bilingual Inscriptions from the Old Akkadian until the Old Babylonian Period (M.A Thesis, Leiden Univ., 2019), 60-68.

منذ طفولتك، لاقيت في تعلمها الأمرّين، وفي الكبر جلبت لك الخير والرخاء.[٤٧٥]

وثمة نص نذري ثنائي اللغة بالآرامية والأكَّادية منقوش على التمثال البازلتي للملك الآرامي هدد يسعي، ملك كوزانا (تل حلف) وسيكاني (تل الفخيرية) على الفرات في شمال سوريا، والذي كان أحد الملوك التابعين للإمبراطورية الآشورية في القرن التاسع قبل الميلاد إذ يؤرخ التمثال بحوالي العام ٨٥٠ ق.م. وهذا التمثال المفتقر إلى التاج الملكي على الرأس منحوت على غرار التماثيل الآشورية سواء في تصفيف الشعر أو وضع اليدين المضمومتين تحت الصدر أو شكل التنورة الطويلة ذات الحزام. وقد نُقشت الكتابات الأكَّادية (باللهجة الآشورية الحديثة) المكوّنة من ٣٨ سطراً على جانب التنورة الأيمن، بينما نُقشت الكتابات الآرامية القديمة المؤلفة من ٢٣ سطراً على جانبها الخلفي. وكلا النسختان الأكَّادية الآشورية والآرامية القديمة شبه متطابقتان في الجزء الأول من هذا النص النذري المكرس لإله العواصف والأمطار السوري حدد، على خلاف الجزء الثاني منه حيث توجد عدة اختلافات ملموسة في الترجمة بين النسختين.[٤٧٦] (شكل ٣٣) كما عثر أيضاً في عدة أماكن متفرقة في بلاد النهرين على عدد من النصوص ثنائية اللغة باللغتين الأكَّادية واليونانية محفوظة في المتحف البريطاني والتي تؤرخ بالفترة من القرن الثالث حتى الأول قبل الميلاد، ويتضمن بعضها ترجمة صوتية للنص الأكَّادي بالكتابة المسمارية على الوجه الخلفي للوح الكتابي.[٤٧٧] (شكل ٣٤)

---

[٤٧٥] للمزيد من التفاصل عن النص السومري وترجمته بالأكَّادية، انظر: خالد العبيدي، اللغة السومرية، ١٢٤–١٢٨؛ عامر سليمان، الكتابة المسمارية، ١٢–١٤. وانظر أيضاً: V.A. Hurowitz, Literary Observations on “In Praise of the Scribal Art”, JANES 27 (2000), 49-56

[٤٧٦] انظر: A. Abou-Assaf, Die Statue des HDYSʻY, König von Guzana, MDOG 113 (1981), 3–22; S.A. Kaufman, Reflections on the Assyrian-Aramaic Bilingual from Tell Fakhariyeh, Maarav 3 (1982), 137–75; L. Quick, 'To Hear and to Accept': A Word-Pair in the Tell Fakhariyah Bilingual Inscription, JSS 61/2 (2016), 413-429.

[٤٧٧] S. Maul, La fin de la tradition cunéiforme et les Graeco-Babyloniaca, in: Cahiers du centre Gustave Glotz, Revue d’Histoire Ancienne, 6, (Paris, 1995), 3-17.

أما في أوجاريت فقد احتوى أرشيفها الملكي على مجموعة من النصوص الأكَّادية مع لغات أخرى كالأوجاريتية والحورية والحيثية مثل اللوح الكتابي المكتشف في الحجرة رقم ٥٣ من المكتبة الشرقية والمنقوش بنص ثنائي باللغتين الأكَّادية والحورية على الوجه الأمامي والجزء العلوي من الوجه الخلفي. ويتضمن النص الأكَّادي وترجمته الحورية مقتطفات مقتبسة من حكم أخلاقية – دينية ربما مستقاة من موضوع مختص بالتوسلات إلى الآلهة.[٤٧٨] (شكل ٣٥) علاوة على ختم دائري من الحجر الصابوني (كلوريت) للملك الحيثي مورسيلي الثاني مكتوب بالحيثية والأكَّادية، وقد عُثر عليه في الجهة الجنوبية الشرقية للفناء الأول من القصر الملكي. ويوجد في جزئه الأوسط طغراء (شعار زخرفي به الاسم واللقب الملكي) بالهيروغليفية الحيثية والذي يحمل الأحرف الأولى للاسم الملكي المُؤَطّر بعلامة "الملك العظيم" أسفل قرص الشمس المجنح. ويحيط بهذا التصميم نص أكَّادي بالكتابة المسمارية داخل دائرتين لهما مركز واحد، ويُقرأ: "ختم مورسيلي، الملك العظيم، ملك بلاد خيتا، المفضل لإله العاصفة مانوزي، ابن شوبيلوليوما، الملك العظيم، ملك بلاد خيتا، البطل".[٤٧٩] (شكل ٣٦) كما اكتشف في أوجاريت أيضاً لوح كتابي يتضمن قصيدة غنائية ثلاثية اللغة بالسومرية والأكَّادية والحيثية حيث نُقش النص السومري في العمود الأول وبجانبه قراءته الصوتية في العمود الثاني، بينما تضمن العمودين الثالث والرابع على الترجمتين الأكَّادية والحيثية. ويُفترض أنه مكتوب أصلاً في العاصمة الحيثية خاتوشا قبل أن يتم نقله لاحقاً إلى أوجاريت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.[٤٨٠] (شكل ٣٧)

وكما أكدت النقوش ثنائية اللغة على وجود الكاريين في مصر وانضمام الكثير منهم إلى الجندية المرتزقة وتمصير الكثير منهم منذ منتصف القرن السابع قبل الميلاد، فإنه تتوفر أيضاً بعض النصوص ثنائية اللغة من تلك الفترة والتي تبرهن على الحضور

---

[٤٧٨] M. Yon, The City of Ugarit at Tell Ras Shamra, (Indiana, 2006), 127.

[٤٧٩] Yon, City of Ugarit, 129.

[٤٨٠] Cooper, Bilingual Babel, 81; fig. 8

الفينيقي في شتى القطاعات المصرية خصوصاً انضواء جزء كبير منهم في وحدات الجيش المصري. ومن تلك الشواهد التمثال البرونزي النذري للمؤله ايموحتب في متحف اللوفر والذي كان صاحبه فينيقي مُتمصّر ويحمل اسماً مصرياً. ويُقرأ النص الهيروغليفي المنقوش على لفافة البردي الممسوكة بين يدي التمثال: "ايمحوتب ابن بتاح، فليمنح الحياة"، بينما يذكر النص الفينيقي المنقوش على الواجهة الأمامية لقاعدته: "من أجل واحنيبرع ابن اشمونيآتون". وبذلك يتضح أن النص بأكمله عبارة عن جزأين مكملين لبعضهما البعض حيث يبدأ بالجزء المصري وينتهي بالجزء الفينيقي على النحو التالي:" ايمحوتب ابن بتاح، فليمنح الحياة لأجل واحنيبرع ابن اشمونيآتون".[٤٨١] (شكل ٣٨) وفي العصر البطلمي أقام أحد الفينيقيين المقيمين في منف بمصر لوحة حجرية سحرية مكتشفة في منطقة ميت رهينة ومحفوظة حالياً في المتحف المصري (CG 9402). وتحمل هذه اللوحة عناصر دينية مصرية محضة تم نحتها بالأسلوبين البارز والغائر خصوصاً المنظر الرئيسي المنحوت نحتاً بارزاً والذي يمثل حورس في هيئة الطفل (حربوقراط) المنتصر على القوى الشريرة المتجسدة في كائنات حيوانية وثعابين وعقارب. واللوحة منقوشة بعدة نصوص هيروغليفية سحرية على الواجهتين الأمامية والخلفية إضافة إلى نص فينيقي على الجانب الأمامي من القاعدة. وقد سجل صاحب اللوحة اسمه الفينيقي الخالي من أية ألقاب باللغتين المصرية والفينيقية وهو بعلعشتارت في صيغته الفينيقية وبعرعشتترتث في صيغته المصرية. كما دون في النص الفينيقي أسماء عائلته والآلهة المكرس لهم النذر حيث يقول:" نذرت نذراً، أنا بعلعشتارت ابن عبد ملكارت، لسيدتي، المعبودة العظيمة إيزيس، وللمعبودة عشتارت، وللآلهة الذين .... ليتهم يباركوني وأبنائي، عبد أوزير (خادم أوزيريس) وبنبعل وغيرهم، وليتهم يمنحونهم نعمة

---

[٤٨١] M.N. Aimé -Giron, Glanures de mythologie syro-égyptienne, BIFAO 23 (1924), 2-11.

وانظر أيضاً، فيتمان، مصر والأجانب، ١١٠.

وحياة عند الآلهة وبني الإنسان".(٤٨٢) **(شكل ٣٩)** كما يوجد أيضاً تمثال نذري بهيئة أبو الهول من السيرابيوم في سقارة، ويحمل نقوشاً فينيقية باللهجتين الفينيقية والبونية القرطاجية على الجانب الأيمن من القاعدة.(٤٨٣) **(شكل ٤٠)** وبما أن النص البوني مكتوب بالبونية الحديثة، فإن تاريخ هذا النص يرجع إلى ما بعد سقوط قرطاجة سنة ١٤٦ ق.م عقب هزيمة قرطاجة في الحرب البونية الثالثة. فقد صار القرطاجيون حينذاك يميلون إلى السرعة وعدم الاعتناء والدقة بكتابة الحروف الأبجدية مثلما كانت عليه في البونية القديمة.(٤٨٤)

وبالرغم من وجود جاليات أجنبية كبيرة أخرى في مصر منذ منتصف الألف الأول قبل الميلاد مثل الجاليتين الآرامية واليونانية، إلا أنه من الملاحظ ندرة النصوص ثنائية اللغة سواء باللغتين المصرية والآرامية أو باللغتين المصرية واليونانية قبل العصر الهلينستي. وربما يمكن تفسير ذلك بعدم وجود ما يدعو الآراميين إلى التخلي عن لغتهم في مصر خلال فترة الاحتلال الفارسي الأخميني بالرغم من تكيفهم الحضاري، خصوصاً بعد أن أصبحت الآرامية هي اللغة الرسمية والمشتركة في كافة أرجاء الإمبراطورية الفارسية الأخمينية لسهولة أبجديتها مقارنة بصعوبة الكتابة المصرية بالخطين الهيروغليفي والديموطيقي المعقدين مما حدَّ من انتشارها.(٤٨٥) أما بالنسبة لليونانيين فإنهم كانوا أبعد من التحدث بلغات أجنبية بدليل أحادية لغة كل المؤرخين والرحالة اليونانيين الذين زاروا بلدان الشرق الأدنى القديم، فضلاً عما ذكره الطبيب الشهير جالينوس أنه:"

---

(٤٨٢) M.G. Daressy, Catalogue général des antiquités égyptiennes du Musée du Caire, No. 9401-9449, Textes et dessins magiques, (Le Caire, 1903), 3-11. وانظر أيضاً، فيتمان، مصر والأجانب، ١٠٩-١١٠.

(٤٨٣) فيتمان، مصر والأجانب، ١٠٤-١٠٥.

(٤٨٤) انظر: R. Crellin and L. Tamponi, Vowel Quantity and Quality in Neo-Punic and Latin Inscriptions from Africa and Sardinia. In: Studies in Semitic Vocalisation and Reading Traditions, A. D. Hornkohl and G. Khan (eds), (Cambridge, 2020), 2-14.

(٤٨٥) انظر: فيتمان، مصر والأجانب، ١٥٣.

كان يوجد في عصر قديم شخص ثنائي اللغة، وأن ذلك كان معجزة أن يفهم ويتقن إنسان لغتين." كما كانت الاتصالات الدولية آنذاك من اختصاص التراجمة من الفينيقيين والمصريين والكاريين.[٤٨٦]

والأثر الوحيد المتضمن نصاً ثنائي اللغة بالمصرية والآرامية عبارة عن لوحة من الحجر الجيري مكتشفة في سقارة وكانت محفوظة في متحف برلين قبل تدميرها أثناء الحرب العالمية الثانية. وتحتوي اللوحة على أربعة صفوف فنية ونصية متتالية حيث تصور مناظر الصفوف الثلاثة الأولى على التوالي: المثول أمام أوزيريس والتحنيط والنحيب، في حين اشتمل الصف الرابع والأخير على نص باللغة الآرامية. ووفقاً لهذا النص الآرامي، فإن تأريخ اللوحة المكتوب على الطريقة المصرية يرجع إلى العام الرابع، شهر مِحِير (مِهْر)، من حكم الملك الفارسي إكسيركسيس الأول، وهو العام الذي يوافق ٤٨٢ ق.م. كما يشير النص الآرامي إلى أن صاحب اللوحة هو إباشّي–إيلي المتحدر من عائلة عسكرية آرامية كانت تقطن مدينة خاست – ثمحو التي ربما كانت تقع في محيط ماريا أو هي ذات البلدة الكائنة على الساحل الغربي حيث أشار هيرودوت إلى وجود حامية عسكرية فيها من المصريين والمرتزقة الأجانب لتأمين الحدود الغربية. وقد أهدى هذا الشخص لوحته الجنائزية لأمه المدعوة أختابو المذكور اسمها في النصين الهيروغليفي والآرامي، وكذلك لأبيه المدعو أبّا الغير مذكور في النص المصري المتطابق في ترجمته مع النص الآرامي في المعنى والمضمون وفقاً للإطار المصري التقليدي المتبع في نحت وكتابة اللوحات الجنائزية. فقراءة النص الهيروغليفي المصري الذي يتوسط الأشكال المصورة في الصف العلوي هي: " قربان يقدمه الملك إلى أوزيريس، رئيس الغربيين، الإله العظيم، سيد أبيدوس، من أجل أن يمنح جنازة لائقة في الجبانة وسمعة حسنة على الأرض للمبجلة أمام الإله العظيم، رب السماء، أختابو". ويُقرأ النص الآرامي:" مُبَارَك هو أبّا، ابن حور وأختابو، ابنة عُديّه، جميع (المذكورين) من

---

[٤٨٦] انظر: فيتمان، مصر والأجانب، ٢٨٩.

خاستِمِحي (خاست – ثمحو)،المدينة، أمام أوزيريس الإله. إباشّي–إيلي ابن أبّا، وأمه هي أختابو، هكذا تحدث في العام الرابع من شهر مِحِير، من (حكم) إكسيركسيس الملك."[٤٨٧] (شكل ٤١)

ويرجع تاريخ النص ثنائي اللغة المصري – اليوناني إلى فترة ما بين ٥٥٠–٥٢٥ ق.م وفقاً لشكل النقش الأيوني اليوناني، وهو عبارة عن كسوة برونزية في نيويورك كانت تُبطّن قاعدة خشبية لحفظ تمثال نذري، وكلاهما مفقودان الآن. وهذا التمثال النذري المفقود كان مكرساً للمعبود آمون من قبل أحد اليونانيين المقيمين في منف والذي حمل اسماً مزدوجاً (بر / بلّه – ميلانثيوس) أحدهما وهو الاسم المصري (بر / بلّه) مذكور في النص المصري، والآخر وهو الاسم اليوناني (ميلانثيوس) مكتوب في النص اليوناني. ويحتفظ الوجه الأمامي للكسوة البرونزية بمنظر مصحوب بنقوش ثنائية هيروغليفية ويونانية، والمنظر يصور صاحب النذر اليوناني وهو يتقرب بقربان للإله آمون المذكور اسمه صراحة بالصيغة المصرية في النصين الهيروغليفيين القصيرين والناقصين. فالنص الهيروغليفي الأول منقوش داخل مستطيلين ناحية يمين ويسار المنظر ويقول:" ليت آمون يعطي"، بينما يُقرأ النص الآخر المنقوش فوق المنظر:" ليت آمون يهب الحياة لـ بر، ابن". كما أن النص اليوناني المنقوش مع النص الهيروغليفي الثاني يشير إلى الإله آمون كونه زيوس الطيبي حيث يقول:" ميلانثيوس نذرني بمثابة تمثال لزيوس الطيبي".[٤٨٨] وتجدر الإشارة أن معنى الاسم المصري الذي حمله هذا الجندي اليوناني المرتزق في مصر هو "الأعمى"، وإن لم تكن التسمية عادية أو أنه فقد بصره في ظروف طبيعية، وهو أمر مستبعد بسبب احترافه الجندية المرتزقة، فعلى الأرجح أن ذلك كان

---

[٤٨٧] B. Porten and J. Gee, Aramaic Funerary Practices in Egypt. In: World of the Aramaeans: Studies in History and Archaeology in Honour of Paul-Eugène Dion, Vol. 2 (JSOT Supplement Series 325), P.M. Michèle Daviau, Michael Weigl, John W. Wevers (eds), (Sheffield Academic Press Ltd, 2001), 289-295. وانظر أيضاً: فيتمان، مصر والأجانب، ١٤٨.

[٤٨٨] للمزيد من التفاصيل، انظر: فيتمان، مصر والأجانب، ٢٧٥.

مرتبطاً بطبيعة حياته المهنية العسكرية. وقد تكون إصابته بالعمى جراء ضربة على عينه أثناء حرب شارك فيها، أو فُقئت عيناه عمداً في الأسر للحيلوله دون فراره كما جرت العادة مع أسرى الحروب وذلك قبل أن يتم افتدائه بالمال نظير فك أسره من قبل أسرته اليونانية المقيمة معه في مصر.[٤٨٩] (شكل ٤٢)

وأهم المصادر الأثرية متعددة اللغات خلال فترة الاحتلال الفارسي الأخميني الأول لمصر هي بقايا أربع لوحات جرانيتية ضخمة (طولها يزيد عن ثلاثة أمتار وعرضها مترين) كانت تخلد قيام الملك الفارسي الأخميني دارا الأول في عامي ٤٩٧ / ٤٩٦ ق.م بإعادة شق ما طمسه الطمي والرمال من قناة نيكاو (نيكاو الثاني حوالي ٦١٠–٥٩٥ ق.م). وهي القناة التي كانت تصل بين النيل وبين البحر الأحمر وتبدأ من الفرع البوباسطي للدلتا شمالي الزقازيق بقليل، ثم تمتد خلال وادي الطميلات حتى تنتهي إلى البحيرات المُرّة. وكان من دوافع هذا المشروع الفارسي تسهيل وصول سفن الجزى إلى فارس عن طريق البحر الأحمر والمحيط الهندي ثم الخليج العربي، والتقليل من النشاط التجاري الملاحي المتجه إلى مستوطنة نقراطيس اليونانية في غرب الدلتا. بالإضافة إلى اعتبار القناة مرحلة من مراحل تنشيط التجارة البحرية المتبادلة مع الهند خصوصاً وأنه ليس من المستبعد أنه تبع الفرس في دخولهم إلى مصر واستقرارهم فيها أعداد أكثر من تجار البلاد الخاضعة لسلطتهم. وهذه اللوحات كانت منصوبة على طول الشاطئ الأيمن للقناة من النيل حتى البحر الأحمر حيث عُثر على بقايا ثلاث منها وهي: لوحة تل المسخوطة (المتحف المصري)، ولوحة كبريت المعروفة أيضاً بلوحة شلوفة (متحف السويس القومي)، ولوحة السويس (متحف اللوفر والمذكور فيها اسم الملك إكسيركسيس الأول خليفة دارا الأول). أما اللوحة الرابعة المعروفة باسم السرابيوم الواقعة بين بحيرة التمساح والبحيرات المُرّة، فقد اختفت الأجزاء المكتشفة منها من متحف اللوفر سنة

---

[٤٨٩] قارن: H.A. Hoffner, The Treatment and Long-Term Use of Persons Captured in Battle According to Maşat Texts. In: Recent Development in Hittite Archaeology and History, K.A.Yener and H.A.Hoffner (eds), (Indiana, 2002), 61–72

١٨٨٨م. وتشير بقايا النصوص المنقوشة على الأجزاء المتوفرة الآن من اللوحات الثلاث الأولى خصوصاً لوحتي تل المسخوطة (المحتفظة بمعظم النص الهيروغليفي) وكبريت (المحتفظة بمعظم النص المسماري) إلى أن الواجهة الأمامية كانت تتضمن النص الهيروغليفي المصري والذي كان ترجمة من حيث المعنى والمضمون للنص المسماري المتطابق في ترجمته والمنقوش على الواجهة الخلفية وبثلاث لغات: الفارسية القديمة والعيلامية والأكَّادية. ومن ضمن ما ورد فيها:" يقول الملك دارا: " أنا فارسي، انطلقت من فارس وغزوت مصر. وأمرت بحفر هذه القناة من النهر المسمى بيرافا الذي يجري في مصر حتى البحر الذي يبدأ في فارس. ولذلك، عندما حُفرت هذه القناة كما أمرت، أبحرت السفن من مصر (مودرايا) عبر هذه القناه إلى فارس، كما كانت رغبتي".[٤٩٠] (شكل ٤٣)

وربما التمثال مفقود الرأس للملك دارا الأول والمنقوش بلغات متعددة يوضح حقيقة إتمام مشروع هذه القناة بنجاح وتحقيق هدف صاحبه منه وهو نقل البضائع والجزى عبرها من مصر إلى بلاد فارس وفقاً للوحة تل المسخوطة المحفوظ عليها أفضل النصوص الهيروغليفية المنقوشة عليها. فقد تم اكتشاف هذا التمثال في سوسه عام ١٩٧٢م وموجود حالياً في متحف إيران الوطني، ولكنه رغم ذلك كان منحوتاً أصلاً في مصر بدليل ما ورد في النص المسماري ثلاثي اللغة إضافة إلى نحته من حجر الجرواق المصري وشكله المتفق تماماً مع التقاليد الفنية المتبعة في نحت التماثيل الملكية المصرية. كما يحمل التمثال أيضاً نصاً هيروغليفياً يتضمن عدة إشارات إلى الإله آتوم تتكو الذي يمثل الاسم المصري لمدينة بيثوم (تسمية عبرية مشتقة من بر – آتوم، وهي هيربوليس أو هيرونوبوليس في العصر البطلمي) المعروفة الآن بتل المسخوطة غرب مدينة الإسماعيلية الحالية في شرق الدلتا حيث عُثر فيها أيضاً على لوحتها الخاصة

---

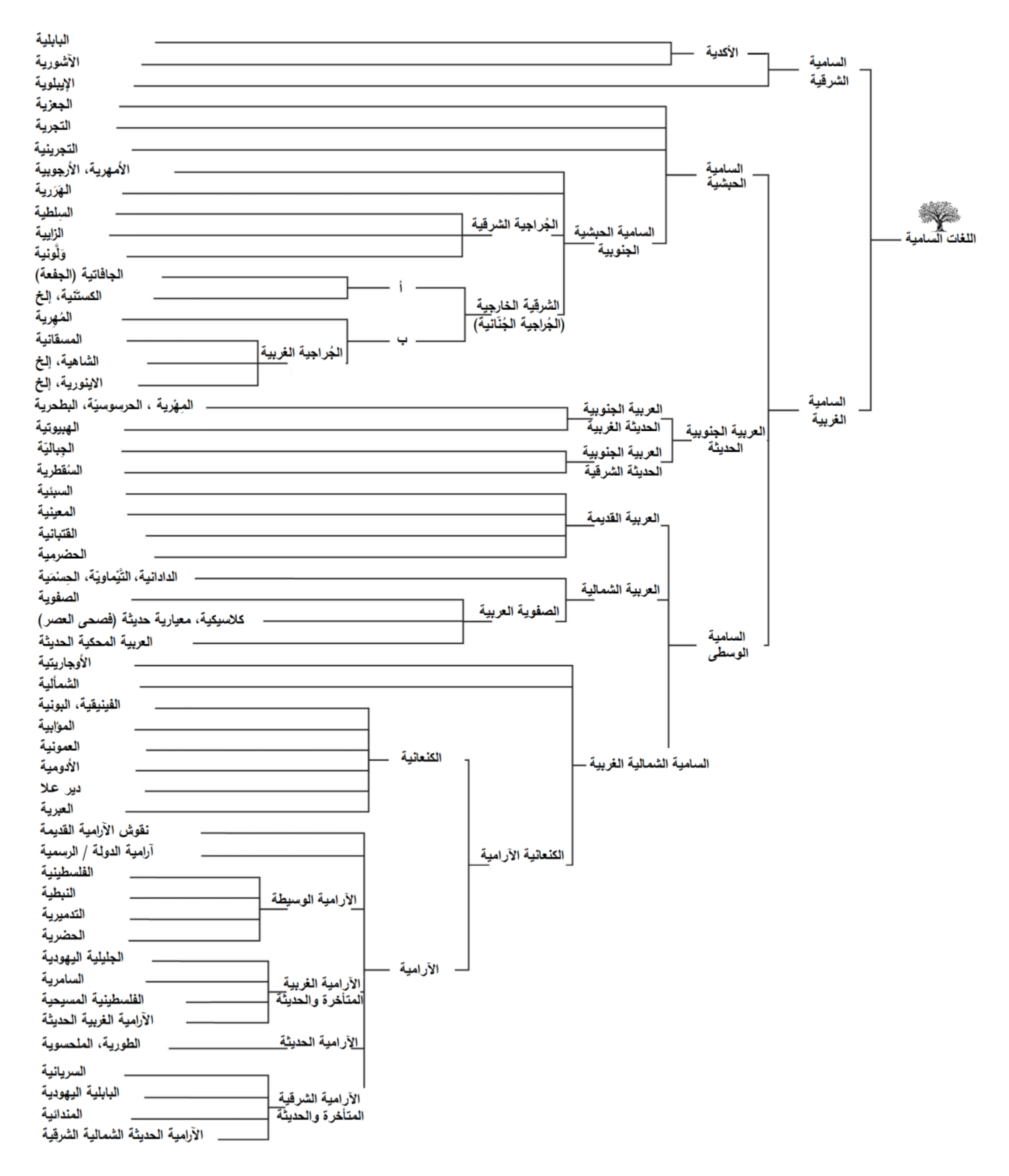
[٤٩٠] انظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج ١٣ (القاهرة، ١٩٥٧)، ٧٢١–٧٣٠؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، ٤٥١؛ فيتمان، مصر والأجانب، ١٨١–١٨٢. H.P. Colburn, The Archaeology of Achaemenid Rule in Egypt, (Ph.D. Diss., Univ. of Michigan, 2014), 26, 252 with n. 138, 253.

بالقناة. ولذا فإن هذا التمثال الضخم (ارتفاعه حوالي ثلاثة أمتار) كان في الأصل منصوباً في معبد آتوم هناك، وتم نقله إلى العاصمة الفارسية عبر القناة في عهد الملك إكسيركسيس الأول ليزين واجهة القصر الملكي هناك. وبمقارنة النصوص متعددة اللغات المنقوشة عليه، فإن النص الهيروغليفي المصري، سواء المنقوش على ثنيات الرداء الملكي ناحية اليمين أو على القاعدة، غير مطابق في الترجمة مع النص المسماري ثلاثي اللغة المتطابق في ترجمته والمنقوش على الثنيات ناحية الشمال باللغات: الفارسية القديمة (السطور الأربعة الأولى والمكتوبة بالمسمارية المقطعية)، والعيلامية (السطور الثلاثة التالية للنص الفارسي القديم)، والأكَّادية (السطور الثلاثة الأخيرة). وقد ورد في هذا النص المسماري ثلاثي اللغة المتطابق في ترجمته:" هذا التمثال من حجر، أمر داريوس بنحته في مصر، ليعرف بذلك ممن سيرى التمثال فيما بعد أن الرجل الفارسي قد استولى على مصر."[٤٩١] (شكل ٤٤)

---

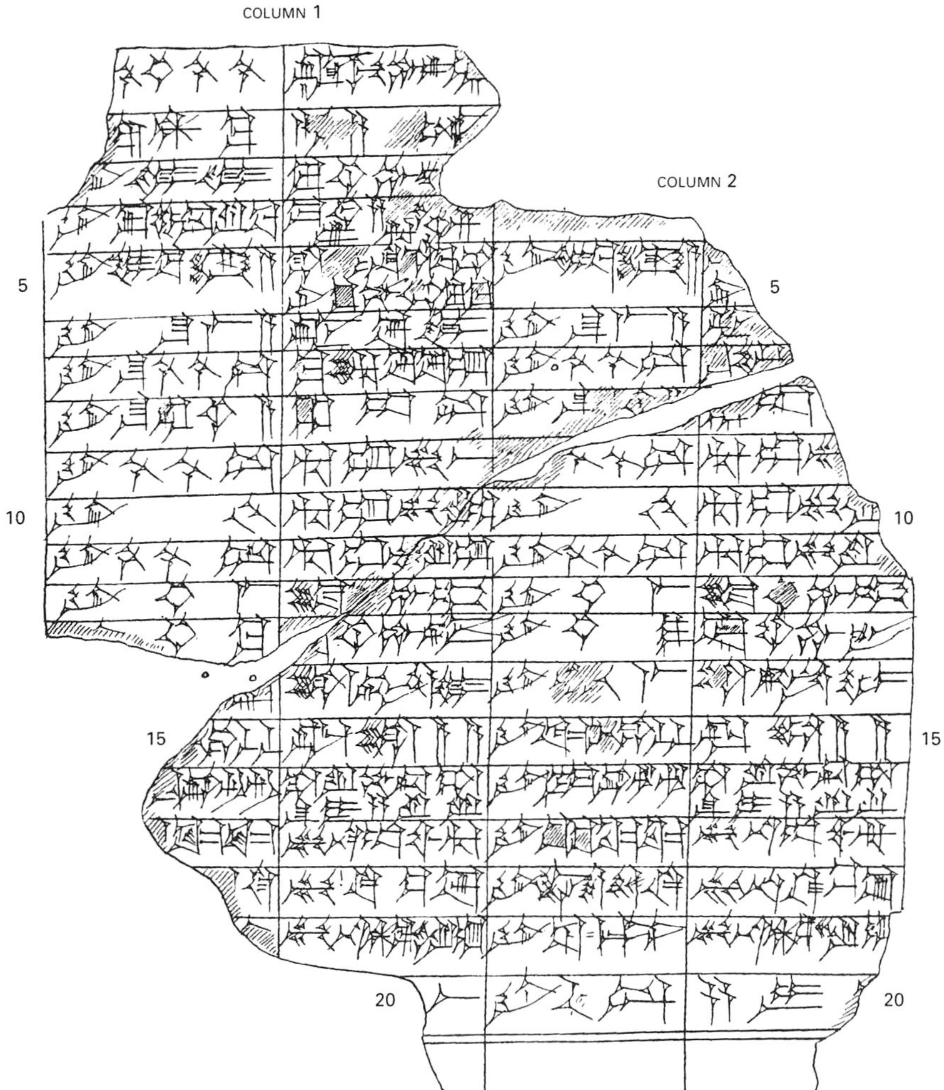
[٤٩١] انظر: Colburn, Archaeology of Achaemenid Rule, 245-250; Cooper, Bilingual Babel, 90-91. وانظر أيضاً: فيتمان، مصر والأجانب، ١٨٢ – ١٨٣.


الأشكال



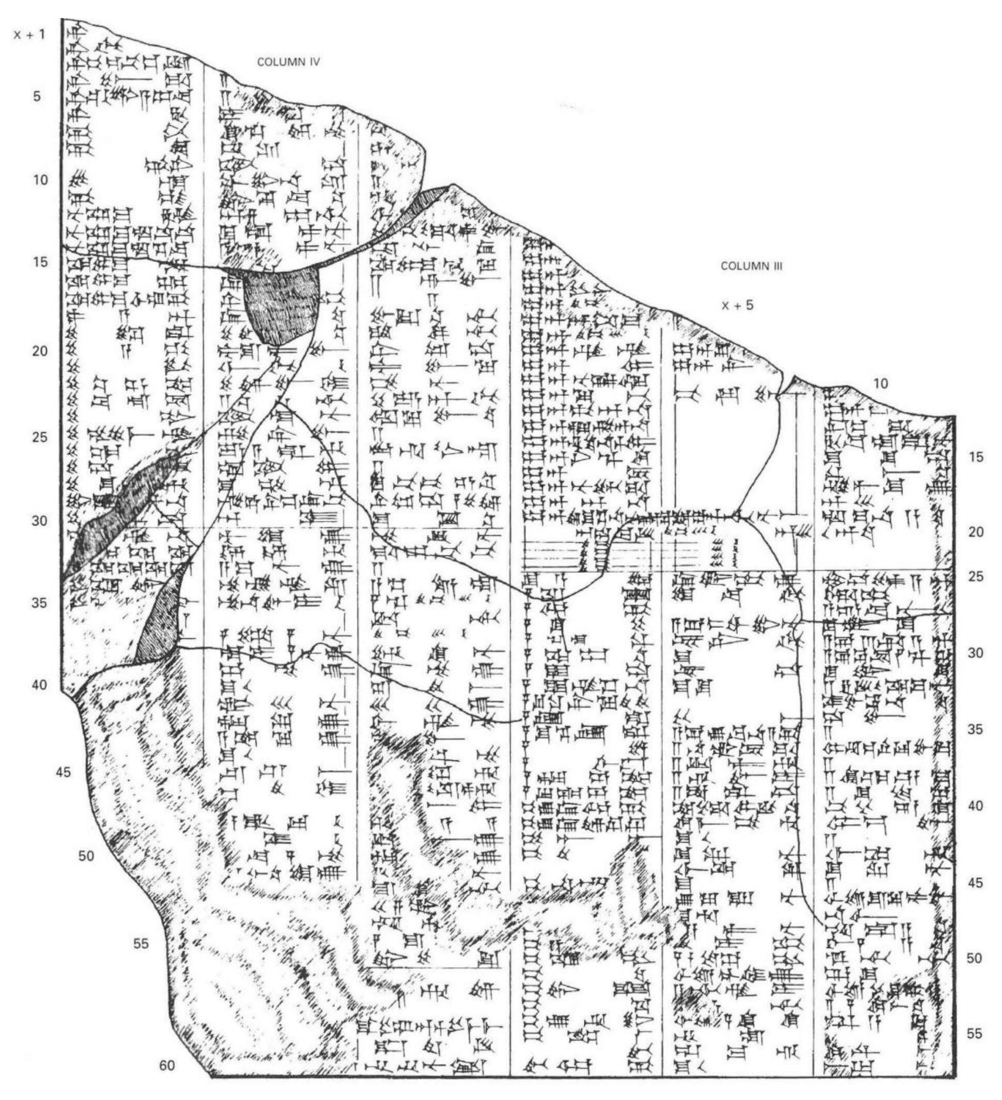
(شكل ١) شجرة عائلة اللغات السامية

Huehnergard and Pat-El, in: The Semitic Language, 3, fig. 1.1.



(شكل ٢) معجم لغوي سومري – أكَّادي متعدد الأعمدة من مدينة نفّر (حوالي ١٧٥٠ ق.م)، وفيه تم تقسيم كل عمود بواسطة خط تسطير رأسي إلى أعمدة فرعية حيث أُدرجت قائمة بالمفردات والعبارات السومرية الدالة على أعضاء جسم الإنسان في العمود الفرعي الأيسر وما يقابلها من مفردات وعبارات أكَّادية سامية في العمود الفرعي الأيمن.

Cooper, Bilingual Babel: Cuneiform Texts in Two or More Languages, Visible Language 27: 1 / 2 (1993), 75; fig. 2



(شكل ٣) معجم مواضيعي من أوروك مؤرخ بالفترة ما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، ويُقرأ العمود الأيمن قبل العمود الأيسر لكونه يمثل الواجهة الخلفية للوح الكتابي، ورغم ذلك تظل اتجاه قراءة السطور من اليسار إلى اليمين. وينقسم كل عمود إلى ثلاثة أعمدة فرعية: الكلمة السومرية وترجمتها الأكَّادية في العمودين الأول والثاني، علاوة على شروحات للمفردات الأكَّادية المُترجمة في العمود الثالث. وتفصل خطوط التسطير الأفقية الأقسام الدلالية (نجوم وأطعمة ومنتجات زراعية وكذلك طبقات وفئات الناس). ويلاحظ وجود أربعة خطوط أفقية قصيرة ذات علامات صغيرة متقطعة بعد السطر العشرين في العمود الثالث والتي تشير إلى تحطم السطور الأربعة في هذا المكان بالنص الأصلي.

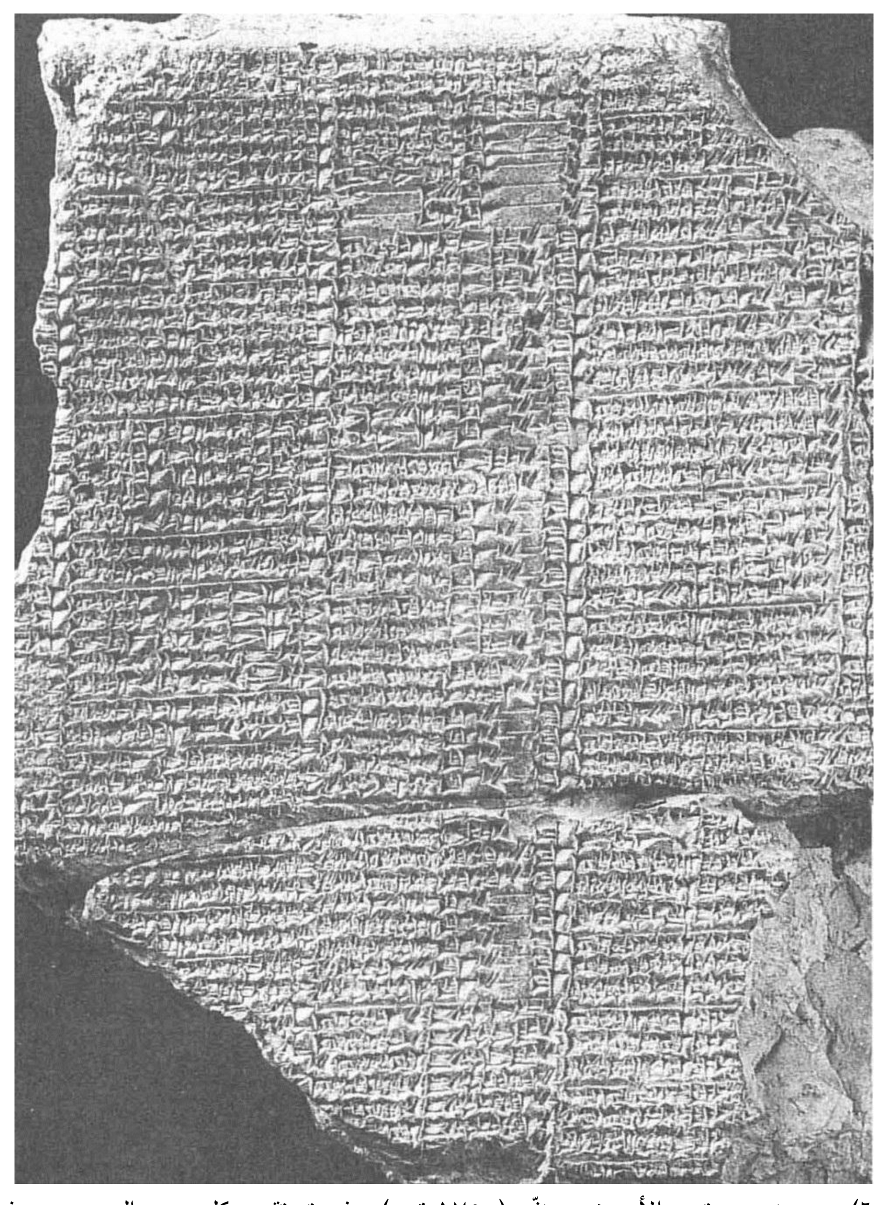
Cooper, Bilingual Babel, Visible Language 27: 1 / 2 (1993), 78; fig. 5



(شكل ٤) اللوح السادس عشر المكتوب بأسماء المواد المعدنية من سلسلة ألواح المعجم المواضيعي البابلي اور–را خُبُلُّ *Urra= ḫubullu* باللغتين السومرية والأكَّادية، وهو المعجم المؤّلف من أربعة وعشرين لوحاً ضمت مفردات سومرية تم تصنيفها حسب المواضيع وإلى جانبها معانيها باللغة الأكَّادية. (متحف اللوفر)
https://en.wikipedia.org/wiki/Urra%3Dhubullu



(شكل ٥) اللوح السابع من سلسلة الألواح المعجمية الآشورية الحديثة المعروفة بتسمية "آنَ إتِّشُ" *ana ittishu* ، والذي تم اكتشافه في مكتبة الملك آشوربانيبال، وهو مُقسم إلى أربعة أعمدة، ويتضمن عبارات قانونية بالسومرية وترجمتها الأكَّادية، ومنها: "لو امراة تكره زوجها وقالت له:" إنك ليس زوجي"، فإنهم سيلقون بها في النهر." (المتحف البريطاني – القرن السابع قبل الميلاد)
https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_K-251



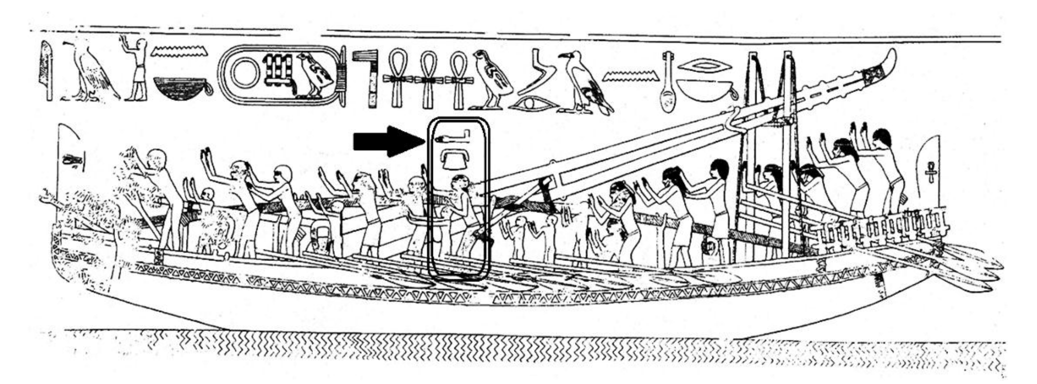
(شكل ٦) معجم نحوي متعدد الأعمدة من نفّر (١٧٥٠ ق.م)، وفيه تم تقسيم كل عمود إلى عمودين فرعيين بواسطة خط تسطير رأسي باهت يكاد يكون غير مرئي تماماً في النقش، وقد أُدرجت الصيغة السومرية في العمود الفرعي الأيسر وإلى جانبها ترجمتها بالأكَّادية في العمود الفرعي الأيمن. وتُميز خطوط التسطير الأفقية فوق كل عمود مجموعات الصيغ المتشابهة.

Cooper, Bilingual Babel, Visible Language, 27: 1 / 2 (1993), 76; fig. 3

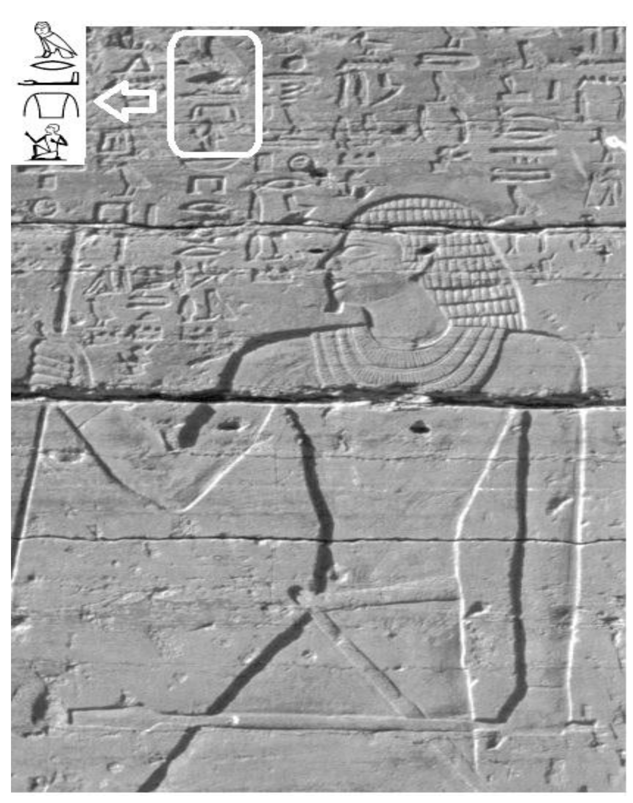


(شكل ٧) معجم لغوي متعدد الأعمدة من مدينة إيبلا السورية (حوالي ٢٤٠٠ ق.م)، ويحتوي كل عمود على مربعات متتالية تقوم مقام السطور بحيث يتضمن كل مربع كلمة سومرية وما يقابلها في اللغة الإيبلوية في المربع التالي. وأحياناً ما كان يتم إدراج مربعات أخرى بين الكلمة السومرية وترجمتها وفيها تهجئات صوتية لبعض الكلمات السومرية .

Cooper, Bilingual Babel, Visible Language, 27: 1 / 2 (1993), 71; fig. 1

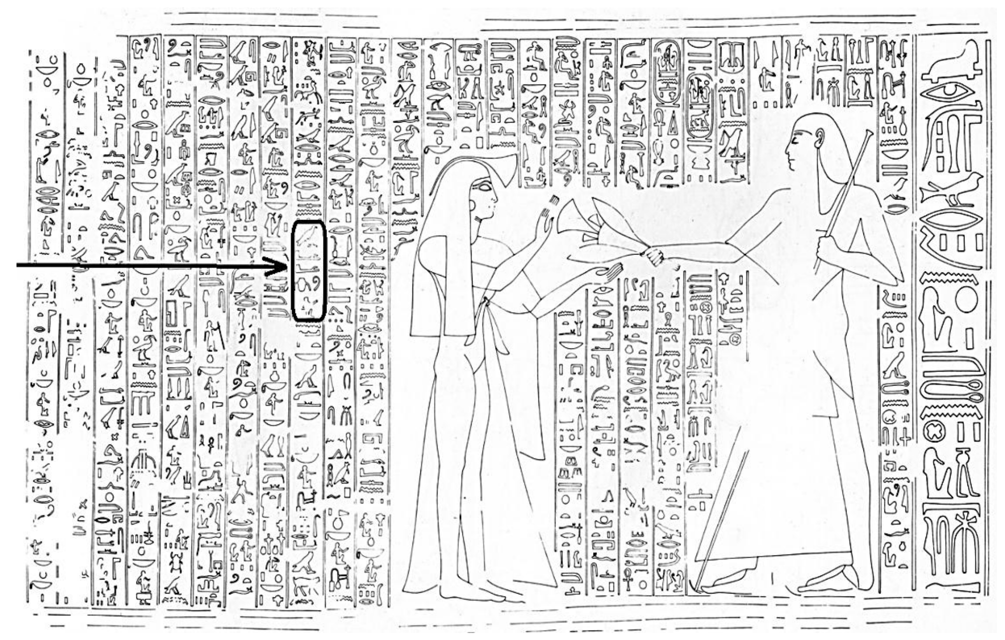


(شكل ٨) الملك ساحورع (حوالي ٢٤٨٥-٢٤٧٢ ق.م) على جدران معبده للشمس في أبو صير أثناء استقباله وحاشيته السفن العائدة من فينيقيا والمُحمّلة بالرسل والخيرات والحيوانات، وكان من الشخصيات البارزة فيها شخصية المترجم الذي كان يقوم بينهم مقام السفير، والتي تمثل صورته أقدم صورة لمترجم في التاريخ الإنساني. cf. Gilbert, Ancient Egyptian Sea Power, 33.



(شكل ٩) حاكم أسوان ورئيس المترجمين حرخوف – قبة الهوا بأسوان– الأسرة السادسة

cf. Vischak, Community and Identity in Ancient Egypt: The Old Kingdom Cemetery at Qubbet el-Hawa, 99, fig. 33.



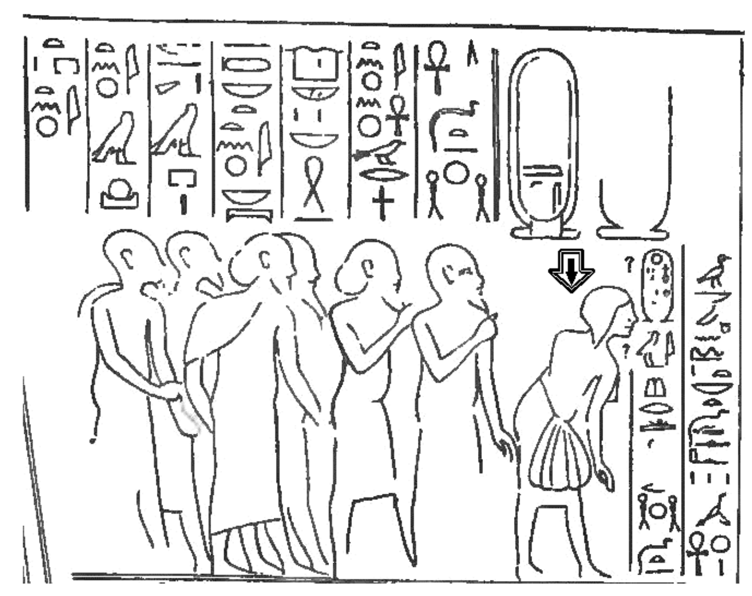
(شكل ١٠) الضابط المترجم المتقاعد والكاتب الملكي وكبير الكهنوت أنحورمس يقدم باقة زهور إلى زوجته سخمت نفرت – مقبرة انحورمس بنجع المشايخ بالقرب من أبيدوس – الأسرة التاسعة عشرة.

Frood, Biographical Texts from Ramessid Egypt, 107; fig.6



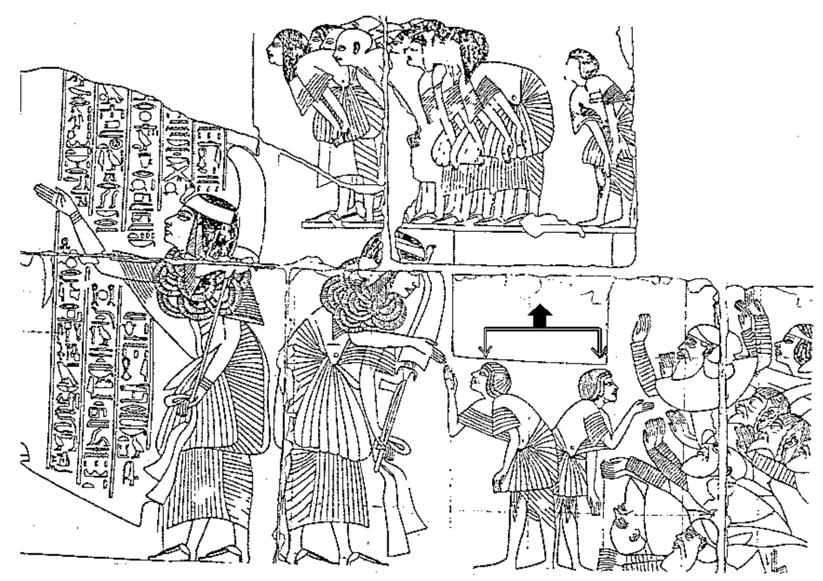
(شكل ١١) صورة مزدوجة لأحد المترجمين الفوريين الملكيين وهو يترجم المحادثات الجارية بين الوفود الأجنبية وبين فرعونه أخناتون – مقبرة مريرع الثاني بالعمارنة – الأسرة الثامنة عشرة

G. Davies, The Rock Tombs of El Amarna, 2, (London, 1905), pl. 33.



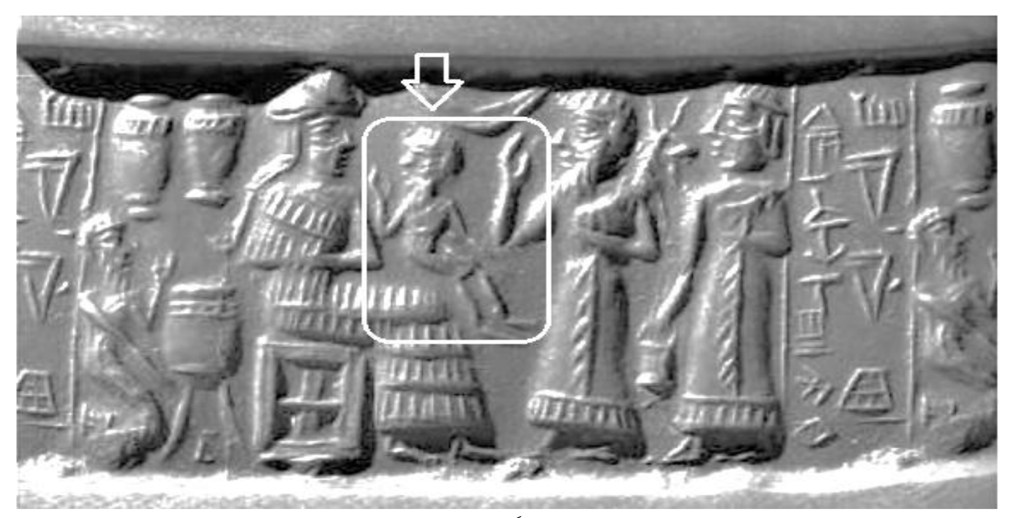
(شكل ١٢) المترجم الملكي الفوري وهو يترجم لفرعونه أخناتون كلام أحد الوفود الأجنبية – مقبرة توتو بالعمارنة – الأسرة الثامنة عشرة.

Davies, The Rock Tombs of El Amarna, 6, (London, 1908), 12, pl. 20.



(شكل ١٣) صورة مزدوجة لأحد المترجمين الفوريين أثناء نقل ترجمته لشكوى أحد الوفود الأجنبية إلى الوزير وقائد الجيش حورمحب الذي عرض فحواها على فرعونه توت عنخ آمون – مقبرة حور محب – سقارة – الأسرة الثامنة عشرة.

Galán Allué, Aspectos de la diplomacia del Antiguo Egipto, 123.



(شكل ١٤) ختم أسطواني يحمل صورة المترجم الأكَّادي شو- إيليشو الذي كان يشغل وظيفة "مترجم لغة ميلوخَّا" - أواخر العصر الأكَّادي - متحف اللوفر.

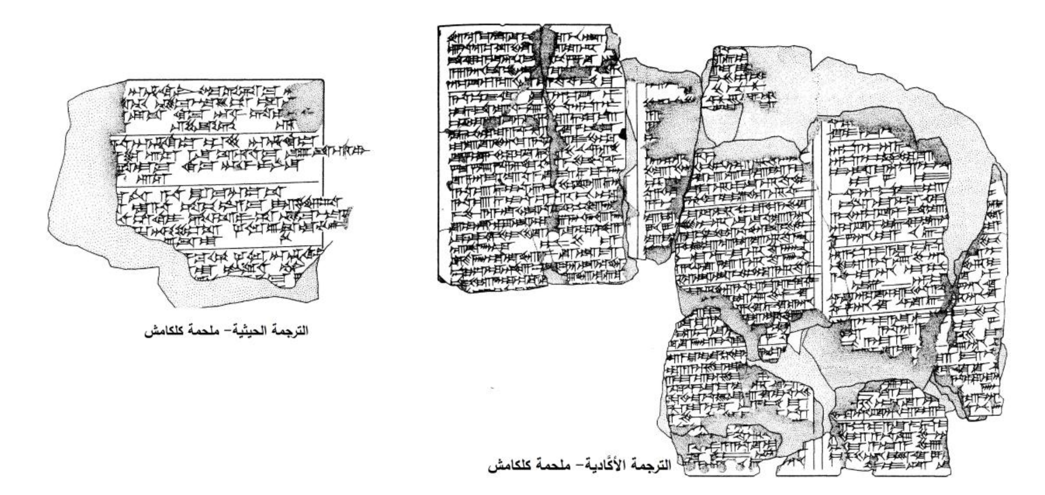
Possehl, Shu-ilishu's Cylinder Seal, Expedition 48/1 (2006), 43.



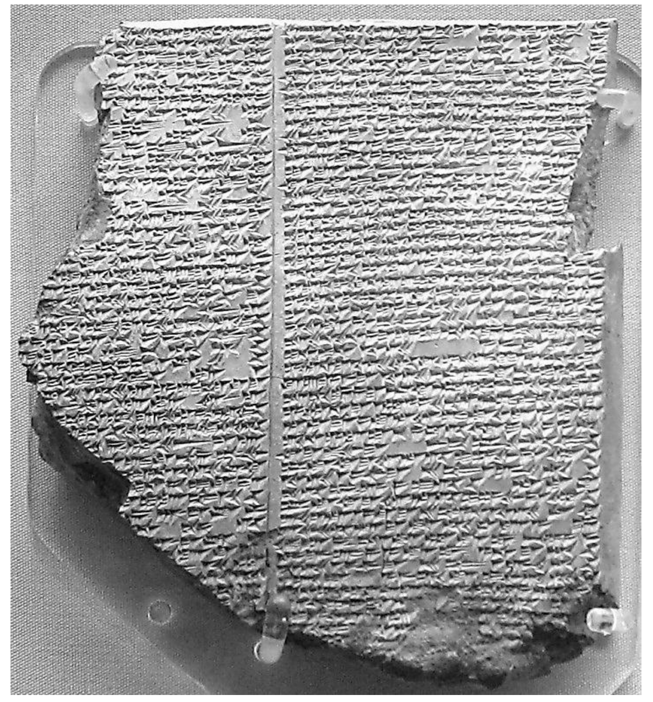


(شكل ١٥) اثنان من الكتبة المترجمين الآراميين من طائفة سبيرُ/ سفرُ sepīru من العصر الآشوري الحديث وهما يقومان بعملية تدوين نص مترجم بالآرامية بقلم البوص على الرَّق. الكاتب الأول ناحية اليمين من القصر المركزي للملك الآشوري تجلاتبليزر الثالث في نمرود (كالح) - المتحف البريطاني، والآخر ناحية اليسار من قصر شلمنصر الخامس في تل برسيب.

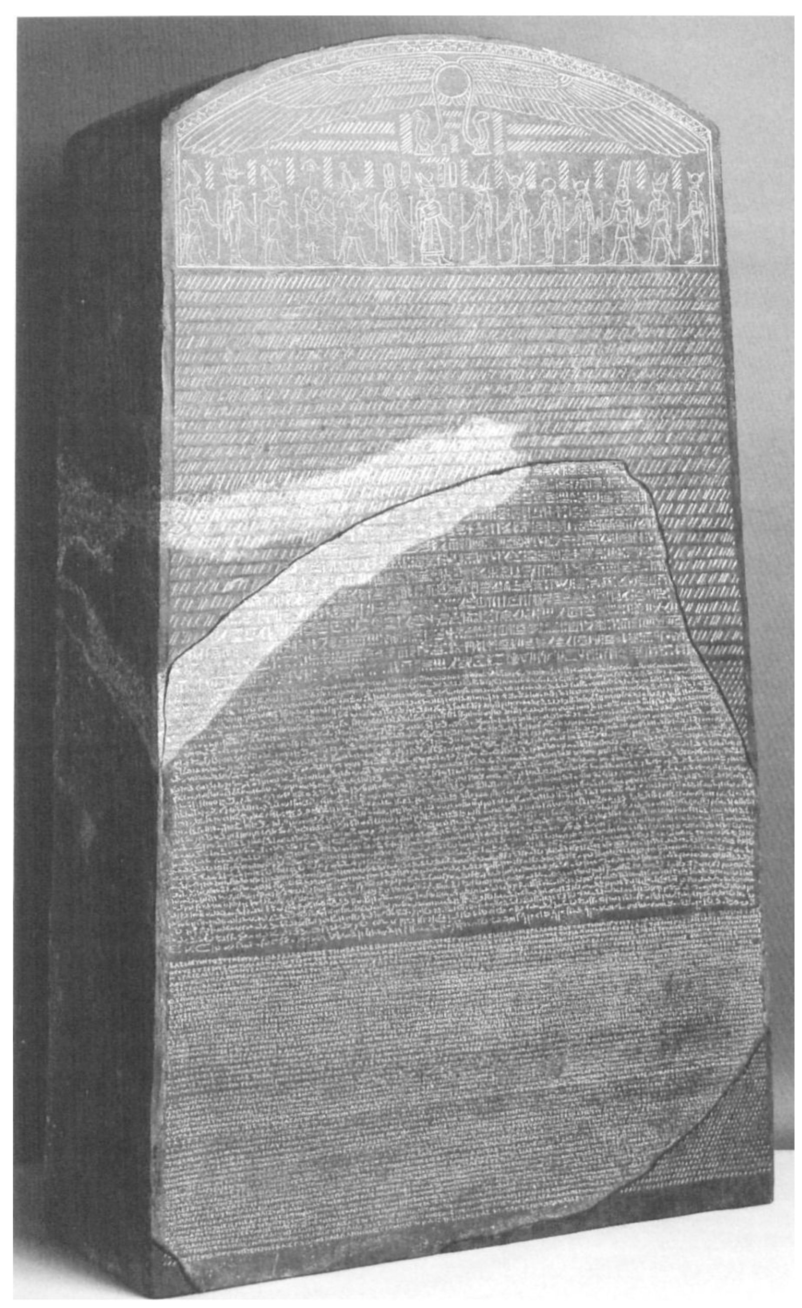
J. Reade, Visual Evidence for the Status and Activities of Assyrian Scribes, in: Studies Presented to Frederick Mario Fales on the Occasion of His 65th Birthday, G.B. Lanfranchi and others (eds), (Wiesbaden, 2012), figs 4,5.



(شكل ١٦) لوحان كتابيان منقوشان بترجمتين باللغتين الأكّادية والحيثية لملحمة كلكامش.
George, The Epic of Gilgamesh, xxiv, 134.

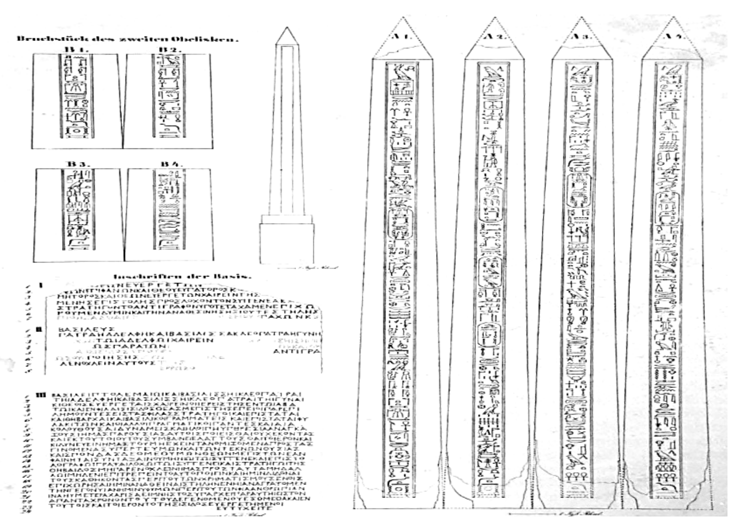


(شكل ١٧) اللوح الحادي عشر المعروف بلوح الطوفان من ملحمة كلكامش والمتشابه في مضمونه ومحتواه مع ما ورد في سفر التكوين (الأصحاحات: ٦-٨) – العصر الآشوري الحديث – مكتبة آشور بانيبال بنينوى – حوالي القرن السابع قبل الميلاد – المتحف البريطاني.
https://en.wikipedia.org/wiki/Gilgamesh_flood_myth



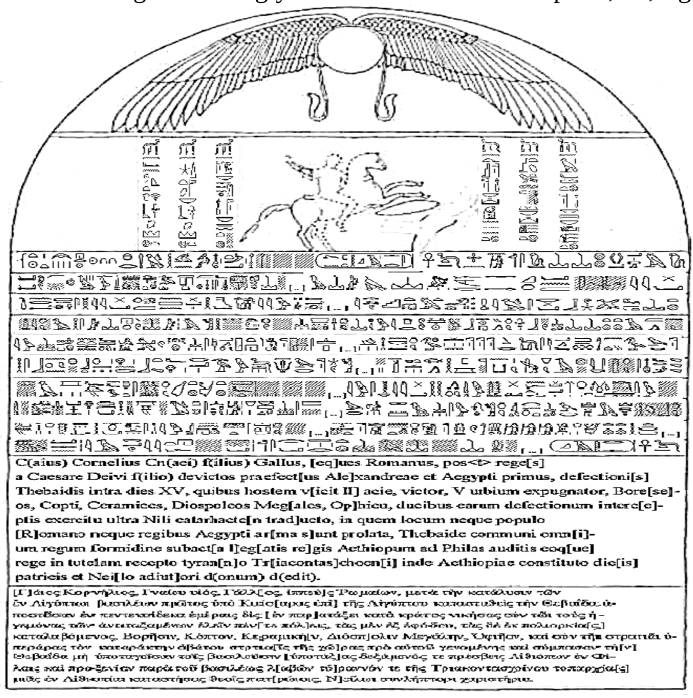
(شكل ١٨) إعادة تركيب للشكل الذي كان عليه حجر رشيد ثنائي اللغة والمنحوت من حجر الجرانوديوريت – بطليموس الخامس – ١٩٦ ق.م – المتحف البريطاني.

Parkinson, Cracking Codes. The Rosetta Stone and Decipherment, fig. 13.



(شكل ١٩) مسلة فيلة ثنائية اللغة والتي كانت تزين مدخل الصرح الأول لمعبد إيزيس بجزيرة معابد فيلة سنة ١١٧ ق.م – حجر الجرانيت – ميدان كنج ستون بانجلترا.

Schenkel, Die Entzifferung der Hieroglyhen und Karl Richard Lepsius, 49, fig. 4.



(شكل ٢٠) إعادة تركيب لوحة جالوس ثلاثية اللغة – ٢٩ ق.م – حجر جرانيت – المتحف المصري.

cf., Minas-Nerpel and Pfeiffer, Trilingual Stela of Cornelius from Philae, 266, fig. 2; A. Elli, La stele di Gaio Cornelio Gallo da File, Mediterraneo Antico, 2018, 1-17.



(شكل ٢١) نقوش حجر بهستون ثلاثية اللغة والمؤرخة بفترة ٥٢٠-٥١٩ ق.م من حكم دارا الأول – بهستون – إيران.

Dusinberre, Empire, Authority, and Autonomy in Achaemenid Anatolia, 50; fig. 27.



(شكل ٢٢) نقش ثنائي باللغتين المصرية والكارية للمترجم بارايوم (بريم) منقوش على تمثال نذري من البرونز للعجل أبيس – السيرابيوم – المتحف المصري

O. Masson, J. Yoyotte, Objets pharaoniques à inscription carienne, (Le Caire, 1956), 43, pl. 6, 7.



(شكل ٢٣) نقش ثنائي باللغتين المصرية والكارية للمدعو شاركيم – تمثال نذري برونزي للمعبودة نيت – عصر بسماتيك الأول – صا الحجر – المتحف المصري.

Masson, Yoyotte, Objets pharaoniques à inscription carienne, 53, pl. 7.

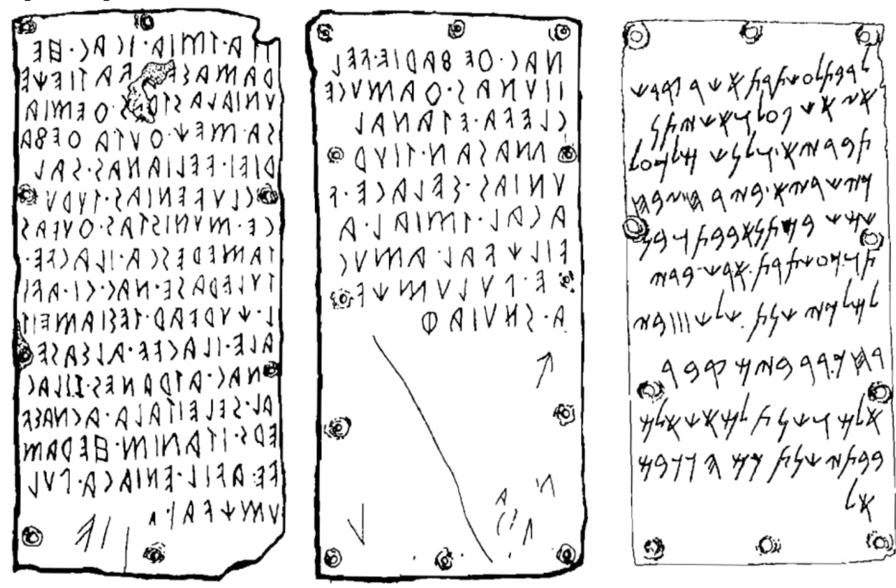


(شكل ٢٤) نص ثنائي باللغتين المصرية والكارية منقوش على لوحة نذرية من الحجر الجيري والمزخرفة بمنظر يصور الملك أبريس وهو يقدم القرابين للمعبود بتاح – السيرابيوم – المتحف المصري.

Masson, Yoyotte, Objets pharaoniques à inscription carienne, 19, fig. 11.

(شكل ٢٥) نقش كارتبه ثنائي اللغة باللغتين الفينيقية واللوفية حيث تتضمن النص الفينيقي ترجمة حرفية للنص اللوفي وكان بمثابة حجر رشيد لفك طلاسمه – حجر البازلت – القرن الثامن قبل الميلاد.

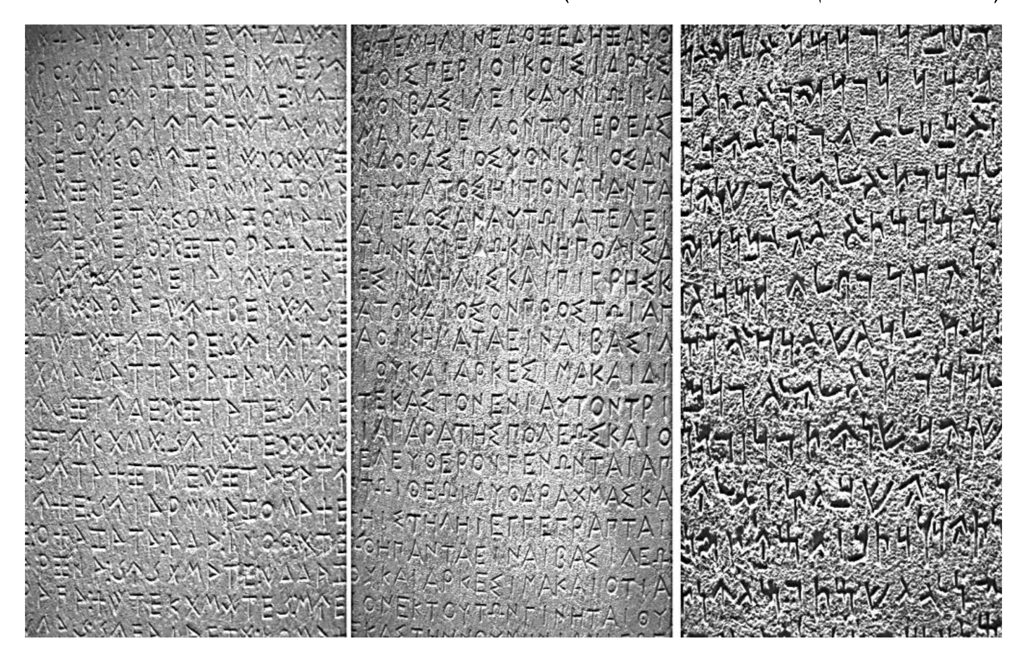
Çambel, Corpus of Hieroglyphic Luwian Inscriptions, 2, Karatepe-Aslantaş: The Inscriptions, pls. 7-13.



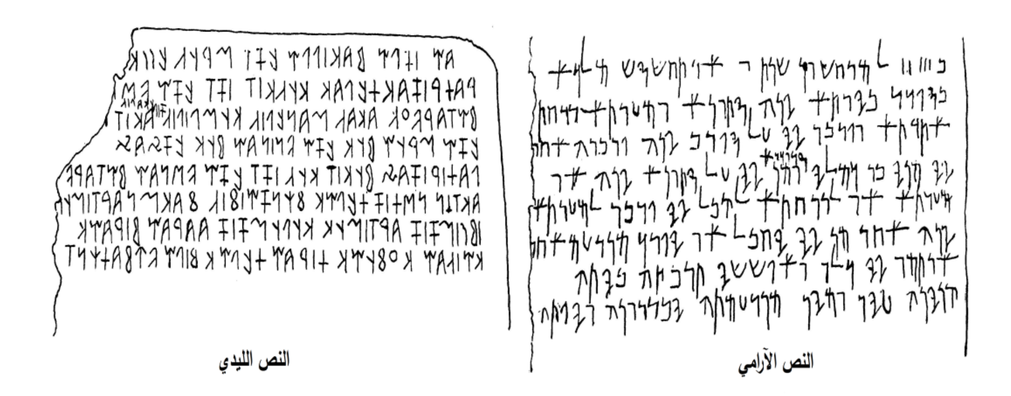
(نقش ٢٦) نقش ثنائي اللغة بالبونية الفينيقية والإتروسكية منقوش على ثلاثة ألواح ذهبية مكتشفة في مدينة بيرجي الإتروسكية – حوالي ٥٠٠ ق.م.

Agostini, Zavaroni, The Bilingual Phoenician-Etruscan Text of the Golden Plates of Pyrgi, Filologija 34 (2000), 6.

(شكل ٢٧) نقش دوقة ثنائي اللغة (بوني – ليبو) – ١٣٩ ق.م – دوقة التونسية – متحف باردو بتونس.
(محمد الصغير غانم، نقيشة دوقة الأثرية، ١١٢).

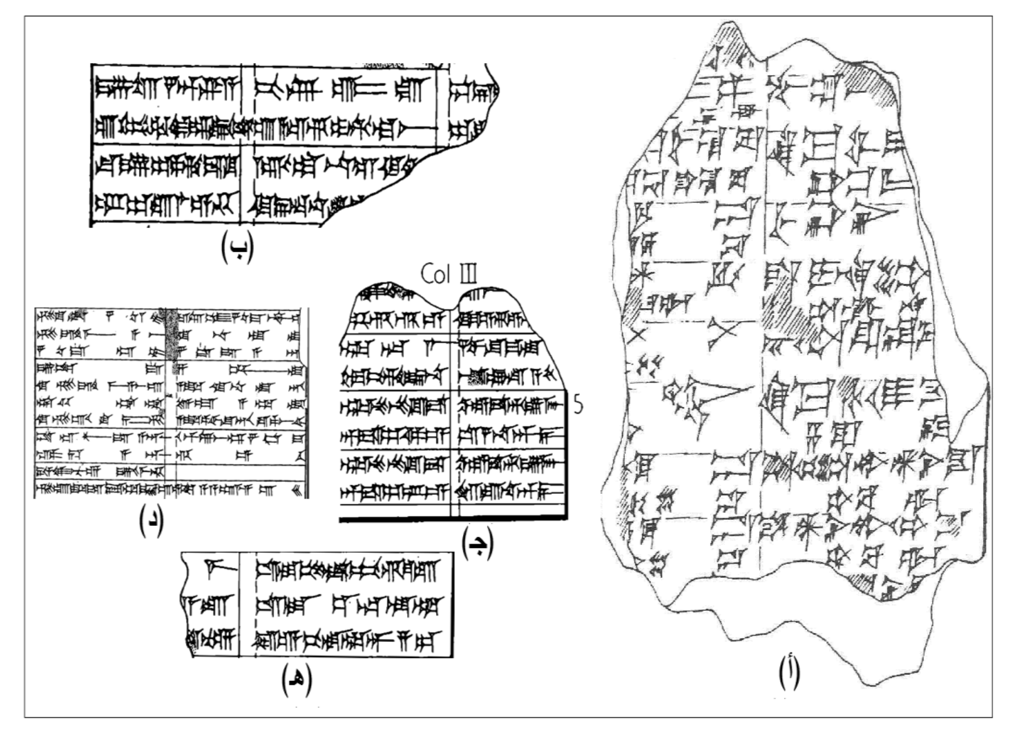


(شكل ٢٨) نقش ليتون أو كسانتوس ثلاثي اللغة (الليكية واليونانية والآرامية) حيث تظهر أجزاء من النصوص الثلاثة: الليكية ناحية اليسار واليونانية في الأوسط والآرامية ناحية اليمين – العام ٣٣٦/٣٣٧ ق.م من حكم الملك الفارسي الأخميني ارتاكسيركسيس الرابع آرسيس – متحف مدينة فتحية بموجلا التركية.
https://archives.saltresearch.org/handle/123456789/8009



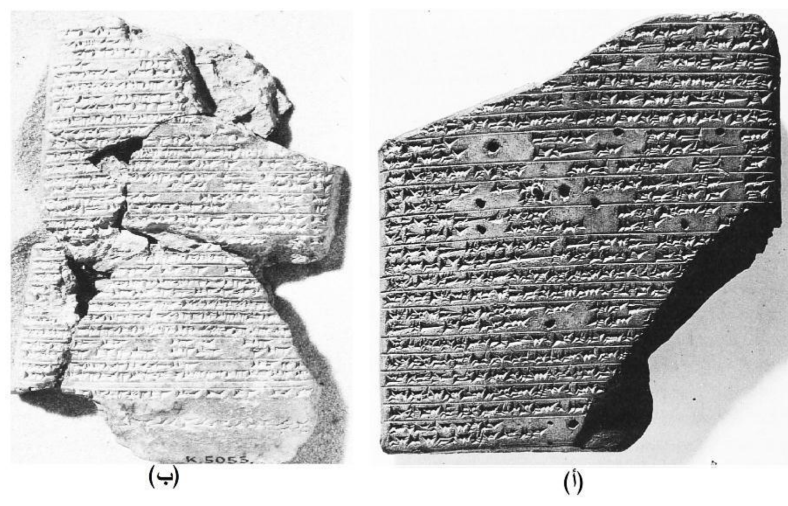
(شكل ٢٩) نقش ساردیس ثنائي اللغة (الآرامية والليدية) – العام ٤٥٥ من حكم الملك الفارسي الأخميني ارتاكسيركسيس الأول – ساردیس

Torrey, The Bilingual Inscription from Sardis, AJSL 34 (1917-18), 186-187; figs.1-2.



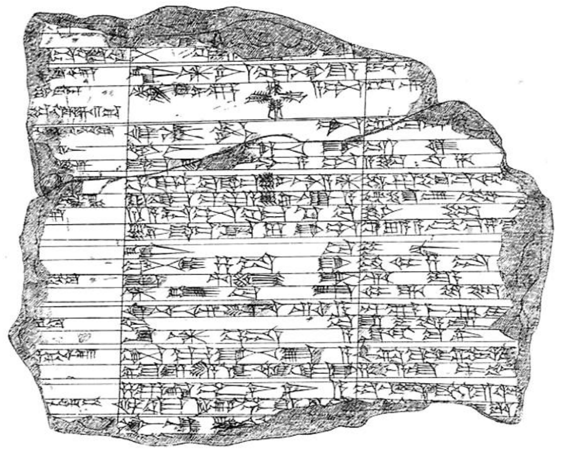
(شكل ٣٠ أ – هـ) نماذج مختارة لأقوال مأثورة سومرية وإلى جانبها ترجمتها باللغة الأكَّادية.

Cooper, Bilingual Babel, Visible Language. 27: 1 / 2 (1993), 80; fig. 7; Lambert, Babylonian Wisdom Literature, 234-235: K 4027; 19-20, pl. 61, 253, 254: K 8 2 1 6, Pl. 6 3: 5-7, 236, 238: K 4 3 2 7 + 4 6 0 5 + 4 7 4 9, Pl. 6 0: 3-4, 258-259: Sm 6 1, Pl. 6 5.



(شكل ٣١ أ – ب) نصان ميثولوجيان سومريان مترجمان إلى اللغة الأكَّادية من العصر الآشوري، أحدهما (أ) من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، والآخر (ب) من القرن السابع قبل الميلاد. ويضم كلا اللوحين النص السومري وترجمته الأكَّادية معاً بالتناوب من خلال خطوط تسطير أفقية فاصلة. وبالنسبة للسطور القصيرة، فالترجمة الأكَّادية تظهر بعد النص السومري في نفس السطر حيث تبدأ بإسفين مزدوج. والبيانات التعريفية التالية لخط التسطير الزوجي الأفقي في اللوح (ب) تشير إلى عنوانه الدال على كونه اللوح الرابع والأخير من مؤلَف angim dimma (مُبتكَر كإله السماء)، علاوة على مكان حفظه وهو مكتبة القصر الملكي للملك آشوربانيبال.

Cooper, Bilingual Babel, Visible Language 27: 1 / 2 (1993), 84-85; figs. 10a-b.

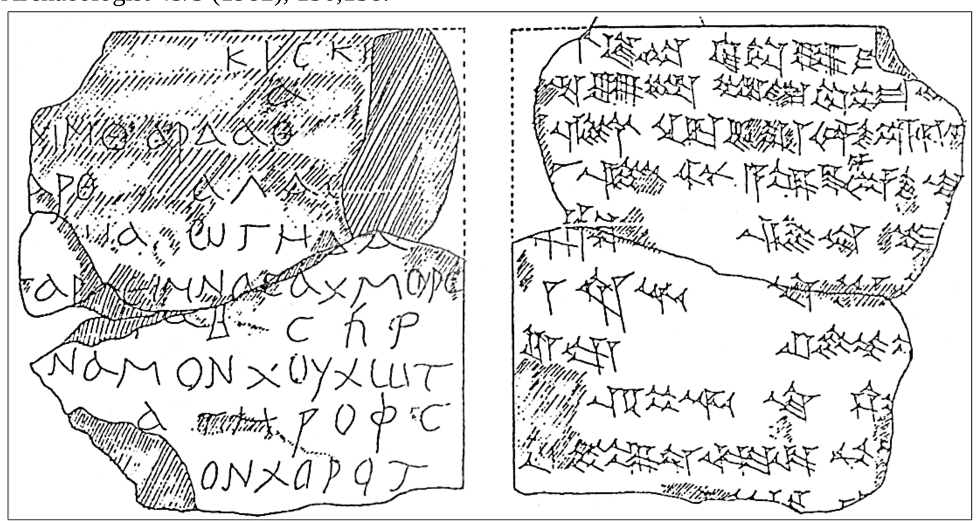


(شكل ٣٢) نص سومري وترجمته الأكَّادية للملك البابلي إيمي – صدوقا (١٦٤٦–١٦٢٦ ق.م)، ويتكون من ثلاثة أعمدة احتوى أوّلها على النطق الصوتي للنص السومري المكتوب في العمود الثاني وبجانيه ترجمته الأكَّادية في العمود الثالث. Menicatti, Blingualism and Kingship, 62.



(شكل ٣٣) تمثال من البازلت للملك الآرامي هدد يسعي (حوالي العام ٨٥٠ ق.م)، ويحمل نقشاً ثنائياً باللغتين الآرامية والأكَّادية (باللهجة الآشورية) على جانبي التنورة الطويلة الأمامي والخلفي – متحف دمشق.

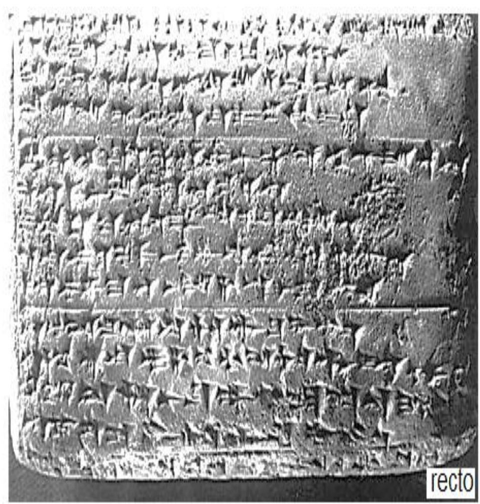
Cooper, Bilingual Babel, Visible Language. 27: 1 / 2 (1993), 88; fig. 13; A. Millard and P. Bordreuol, A Statue from Syria with Assyrian and Aramaic Inscriptions, The Biblical Archaeologist 45/3 (1982), 136,138.



(شكل ٣٤) لوح كتابي منقوش بنص أكَّادي على الوجه الأمامي وترجمته اليونانية على الوجه الخلفي – المتحف البريطاني.

Maul, La fin de la tradition cunéiforme et les Graeco-Babyloniaca, 17.

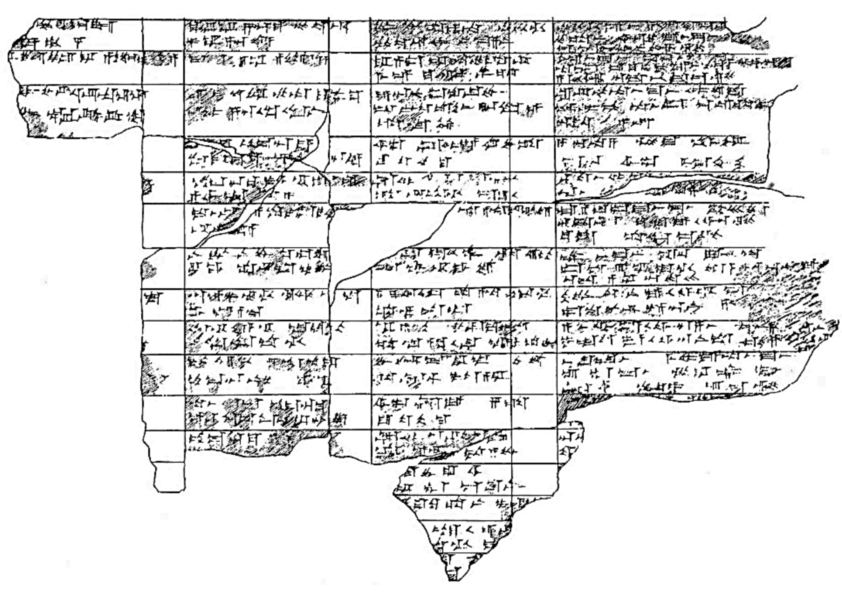




(شكل ٣٥) نص أكَّادي وترجمته الحورية من الأرشيف الملكي بأوجاريت – المكتبة الشرقية بالقصر الملكي – متحف طرطوس.
Yon, The City of Ugarit at Tell Ras Shamra, 126; fig. 5.



(شكل ٣٦) كتابات ثنائية بالحيثية والأكَّادية منقوشة على ختم دائري للملك الحيثي مورسيلي الثاني (حوالي ١٣٢١ – ١٢٩٥ ق.م) – القصر الملكي بأوجاريت – الحجر الصابوني (كلوريت) – متحف دمشق.
Yon, The City of Ugarit at Tell Ras Shamra, 128; fig. 11.



(شكل ٣٧) لوح كتابي منقوش بقصيدة غنائية ثلاثية اللغة بالسومرية والأكّادية والحيثية، علاوة على عمود إضافي ثاني يتضمن النطق الصوتي للنص السومري – أوجاريت – القرن الرابع عشر قبل الميلاد.
Cooper, Bilingual Babel, Visible Language 27: 1 / 2 (1993), 81; fig. 8



(شكل ٣٨) نصوص تكميلية ثنائية اللغة باللغتين المصرية والفينيقية منقوشة على تمثال نذري للمؤله إيمحوتب من مرتزق فينيقي في الجيش المصري – الأسرة السادسة والعشرين – البرونز – متحف اللوفر
Aimé -Giron, Glanures de mythologie syro-égyptienne, BIFAO 23 (1924), 3, 5, 26.



(شكل ٣٩) نصوص ثنائية باللغتين المصرية والفينيقية منقوشة على لوحة نذرية سحرية من أحد الفينيقيين المقيمين في مصر– العصر البطلمي – حجر الجرواق – المتحف المصري.
Daressy, Catalogue général, 11, pl. 2.



(شكل ٤٠) كتابات ثنائية باللغة الفينيقية ولهجتها البونية القرطاجية على تمثال نذري بهيئة أبو الهول من أحد الفينيقيين المقيمين في مصر. (فيتمان، مصر والأجانب، شكل ٢٩)

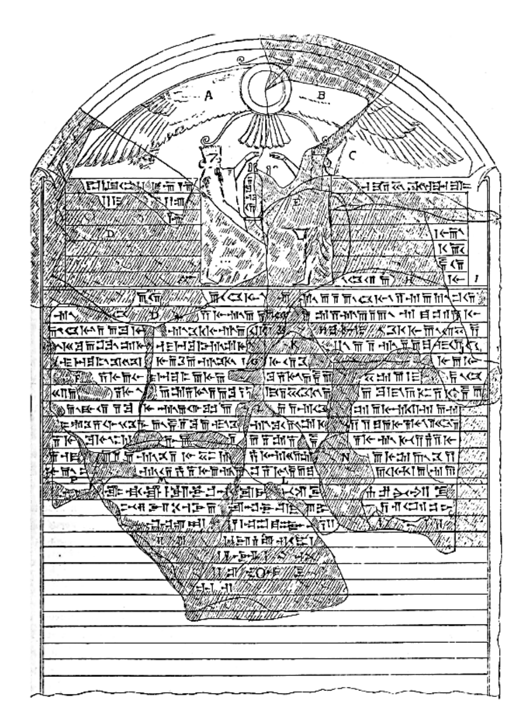


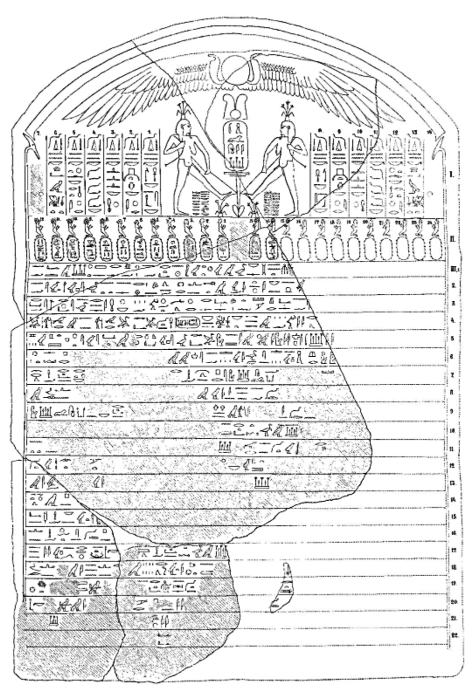
(شكل ٤١) نص ثنائي اللغة بالمصرية (الصف الأول العلوي) والآرامية (الصف الرابع) على اللوحة الجيرية المُدمّرة بالكامل في متحف برلين خلال الحرب العالمية الثانية. واللوحة مؤرخة بالعام ٤٨٢ ق.م من حكم الملك الفارسي إكسيركسيس الأول وفقاً للنص الآرامي.

Porten and Gee, Aramaic Funerary Practices in Egypt, 290, fig. 12.



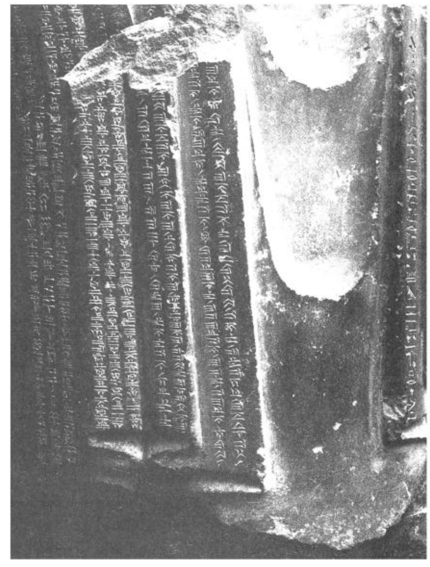
(شكل ٤٢) نص مصري – يوناني ثنائي اللغة منقوش على كسوة برونزية لأحد اليونانيين المقيمين في مصر– مؤرخ بالفترة ما بين ٥٥٠ – ٥٢٥ ق.م (فيتمان، مصر والأجانب، شكل ١١٦)





(شكل ٤٣) لوحتا تل المسخوطة وكبريت متعددة اللغات (مصرية وفارسية قديمة وعيلامية وأكَّادية) – دارا الأول ٤٩٧ / ٤٩٦ ق.م – حجر جرانيت – المتحف المصري ومتحف السويس القومي.
Colburn, The Archaeology of Achaemenid Rule in Egypt, figs. 4.15, 4.16

(شكل ٤٤) تمثال دارا الأول متعدد اللغات (مصرية وفارسية قديمة وعيلامية وأكَّادية) – حجر الجرواق المصري – متحف إيران الوطني.
Colburn, The Archaeology of Achaemenid Rule in Egypt, fig. 4.14; Cooper, Bilingual Babel, 90; fig. 14.






المراجع

قائمة المراجع العربية والمترجمة والأجنبية

أولاً: المراجع العربية

- أ. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، (القاهرة، ١٩٢٩).
- ابتهال عادل إبراهيم، من الاهتمامات الثقافية للملوك العراقيين القدماء الملك آشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٦ ق.م) أنموذجاً، مجلة التربية والعلم/ كلية التربية - جامعة الموصل ، مج ١٨، ع ٤، (العراق، ٢٠١١)، ١-١٥.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (اسطنبول، ١٩٨٩).
- ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، ج ١ (بيروت، ١٩٩٧) .
- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢(بيروت، ١٩٧١)
- اثير احمد حسين، أبرز التشكيلات والمظاهر المعمارية لمدينة بابل الكلدانية في ضوء التنقيبات الآثارية، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد، ع ١٢٠ (٢٠١٧)، ١٩٩-٢٣٨.
- أحمد ارحيم هبو، تاريخ الشرق القديم، ج١ سورية (بيروت، ١٩٩٣) .

  ــــــــــ، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين (حلب، ٢٠٠٣).
- أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة (تونس، ١٩٩٣) .
- أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم (الإسكندرية، ٢٠١١) .
- أحمد حسين احمد الجميلي، الصلات التجارية بين السومريين والمراكز التجارية في الخليج العربي، (دلمون – Dilmun / مكَان – Magan) أُنموذجاً، مجلة آداب الفراهيدي، كلية الآداب - جامعة تكريت، ع ١٩ (٢٠١٤)، ٢٧٧ – ٢٨٣.
- أحمد لفتة رهمة، دراسة في "قدسية الجبل" و "قصة نمرود" في ضوء المصادر المسمارية ونصوص التوراة، مجلة مركز دراسات الكوفة – جامعة الكوفة/ العراق، ع ٤٧ (٢٠١٧)، ١-٥٥.
- أحمد محمد ديب شبابيبي، نظام الحكم والإدارة في مملكة إبلا في النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم التاريخ (جامعة دمشق، ٢٠١٥) .
- أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسات وأبحاث (بغداد، ٢٠١٥).

  ــــــــــ، وثائق من الشرق الأدنى القديم، (١) القوائم الملكية والتاريخية في بلاد

الرافدين (بغداد، ٢٠١٩).
- آمنة بنت صالح الزغبي، المرحلية اللغوية قراءة تاريخية مقارنة في نشوء اللغات وموتها، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٨ ، ع ٣٧ (٢٠٠٦)، ٣٩٩-٤٢٨.
- اياد محمد حسين، العوامل المؤثرة في تطور اللغة الفارسية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، جامعة بابل، مج ٣، ع ١(٢٠١٣)، ٢٦٧-٢٩٠.
- اياد محمد حسين، اللغة الآرامية وأثرها في اللغتين العربية والفارسية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، مج ٨، ع ٣ (٢٠١٨)، ٢٦٣-٢٩٢.
- جاسم حميد جودة، هبة محمد رحيم، الهرمينوطيقا والتشكل المعرفي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، ع ٣٢ (٢٠١٥)، ٣٠٥-٣١٥.
- جباغ قابلو وعماد سمير، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين – سورية – مصر)، (دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م).
- جمال الدين الخضور، عودة التاريخ- الانتربولوجية المعرفية العربية/ دراسة في الأناسة المعرفية العربية التاريخية – اللغوية ووحدتها، الجزء الأول حتى الألف الثاني قبل الميلاد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.
- جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجياً (القاهرة، ١٩٦٧).
- جمال ندا صالح السلماني، الوثائق المسمارية في مملكة ماري الأمورية ودورها في الكشف عن تطور المدنية في بلاد سورية القديمة إبان الألف الثاني قبل الميلاد، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، مج ١٠، ع ١ (٢٠٢٠)، ٤٧٥-٤٩٢.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ (بغداد، ١٩٩٣).
  ـــــــــ، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢ (بغداد، ١٩٥٤).
- حاتم صالح الضامن، علم اللغة (بغداد، ١٩٨٩).
- حاتم علو الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، مجلة دراسات تربوية (العراق)، مج ٢، ع ٦ (٢٠٠٩)، ١٩٥-٢٢٠.
- الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، الجزء الأول، التحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، (المدينة المنورة، ١٩٦٤).

- حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة (دمشق، ١٩٩٠).
- حسين سيد نور الأعرجي، مؤيد مجيد محمد الكعبي، نتائج التهجير القسري في العراق القديمة، الدولة الآشورية أنموذجاً، مجلة كلية التربية - جامعة واسط، ع ٢٨ (٢٠١٧)، ٢٦٥-٢٩٢.
- حمزة بن قبلان المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى (الرياض، ٢٠٠٤).
- خالد إسماعيل، فقه لغات عاربة، مسائل وآراء (إربد – الأردن، ٢٠٠٠).
- خالد حيدر عثمان العبيدي، اللغة السومرية وأثرها في اللغة الأكدية، رسالة دكتوراة غير منشورة، (الموصل، ٢٠٠٦).
- خالد عبدالملك النوري، أسطورة دلمون، ملامح من الأدب الأسطوري السومري، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب - جامعة البحرين، ع ٢٦ (٢٠١٦)، ١٢-٤٣.
- خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في أفريقيا خلال الفترة الرومانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة – الجزائر (قسنطينة، ٢٠١٢-٢٠١٣).
- رضوان القضماني، علم اللسان (بيروت، ١٩٨٤).
- رقية بامبارك، اللغة اللوبية القديمة من خلال المصادر المادية والكتابية منذ فجر التاريخ إلى العهد النوميدي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم العلوم الإنسانية، جامعة ادرار (الجزائر، ٢٠١٦).
- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه (القاهرة، ١٩٩٠).
- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (القاهرة، ١٩٩٧).
- رياض عبد الرحمن الدوري، آشوربانيبال، مكتبته وثقافته، مجلة سومر، ج ١ / ٢ (بغداد، ١٩٨٧)، ٢٣٦-٢٤٣.
- سالم بن سهيل بن علي الشحري، اللغة الشحرية وعلاقتها بالعربية الفصحى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك (٢٠٠٧).
- سامي سعيد الأحمد، المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية (بغداد، ١٩٨١).
- سعدون عبد الهادي، عقيل عبد الله ياسين، الصلات التجارية والثقافية بين حضارتي العراق والهند في التاريخ القديم (٢٨٠٠-٥٣٩ ق.م)، مجلة كلية التربية / واسط ، ع ١٠، (العراق، ٢٠١١)، ٢١٩-٢٢٨.

- سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الأجزاء: ٦ (القاهرة، ١٩٩٢)، ج ٩ (القاهرة، ١٩٥٢)، ج ١٠، (القاهرة، ١٩٩٤)، ج١٢ (القاهرة، ١٩٥٧).
- سليمان حزين، حضارة مصر، أرض الكنانة (القاهرة، ١٩٩١).
- سمراء حميد نايف، على سداد جعفر، المتشابه في عقوبات قوانين العراق القديم وأسفار التوراة، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج ٢٥، ع ٥ (٢٠١٧)، ١٩٨٣-٢٠١١.
- سمير بن عبد الرحمن الضامر، قصص الأنبياء في التراث العربي" تحليل سيميائي سردي"، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب – جامعة مؤتة (٢٠٠٩).
- سهيل قاشا، بابل والتوراة (بيروت، ٢٠١١).
- الشاذلي بورونية ومحمد طاهر، قرطاجة البونية، تاريخ حضارة (تونس، ١٩٩٩).
- شحادة الخوري، الترجمة قديماً وحديثاً (سوسة، ١٩٨٨).
- شريف حامد سالم، المصدر اليهودي في التوراة، دراسة في المضامين التاريخية والدينية والسمات اللغوية (القاهرة، ٢٠١١).
- شريف حامد سالم، نقد العهد القديم، دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني (القاهرة، ٢٠١١).
- شيماء علي أحمد النعيمي، المناهج التعليمية في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الموصل (الموصل، ٢٠٠١).
- صلاح سلمان الجبوري، أدب الحكمة في وادي الرافدين (بغداد، ٢٠٠٠).
- صموئيل نوح كريمر، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي (الكويت، ١٩٧٢).
- طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم (بغداد، ١٩٧٦).

ـــــــ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١ (بغداد، ١٩٧٣).

ـــــــ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢ (بغداد، ٢٠١١).

ـــــــ، ملحمة كلكامش، أوديسة العراق الخالدة (بغداد، د.ت)

ـــــــ، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية (بغداد، ١٩٨٠).

- عادل مصطفي، مدخل الي الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير (بيروت، ٢٠٠٣).

- عامر سليمان، اللغة الأكدية (البابلية – الآشورية)، (الموصل، ٢٠٠٥).
ــــــــــــ، المعاجم اللغوية من مظاهر أصالة حضارة وادي الرافدين، مجلة المجمع العلمي، ٢/٤٤ (بغداد، ١٩٩٧).
- عامر عبد الله الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، (دمشق، ٢٠٠٥).
- عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة (القاهرة، ٢٠١١).
- عبد الحميد زايد، الشرق الخالد (القاهرة، ١٩٦٦).
- عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين (القاهرة،١٩٤٠).
- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج ١، مصر والعراق (القاهرة، ١٩٨٢).
ــــــــــــ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة (القاهرة، ١٩٨٢).
ــــــــــــ، حضارة مصر القديمة وآثارها (القاهرة، ١٩٨٠).
- عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب/ دمشق، ع ١٣٣ (٢٠٠٨)، ٨٤–١٠٨.
- عبد القادر المغربي، أثر اللغات السامية في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٨ (١٩٥٥)، ١٥٩–١٦٦.
- عبد الله الملاح، تاريخ هيرودوت (أبو ظبي، ٢٠٠١).
- عبد الله علي محمد التميم، أثر الكتابة المسمارية وفك رموزها على أسلوب نطق اللغتين السومرية والأكدية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج ١٨، ع ٤ (٢٠١١)، ٣١٤–٣٣٧.
- عبد الوهاب محمد عبد العالي، المشترك والدخيل من اللغات السامية في العربية، مجلة الساتل، كلية المعلمين مصراتة، ع ٢ (٢٠٠٧)، ٧١–١٠٠.
- عدنان البني، المعجمية في الشرق العربي القديم، مجلة التراث العربي، ع ٧٧ (دمشق، ١٩٩٩)، ٩٧–١٠٨.
- عفاف فوزي نصر، الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية، (القاهرة، ٢٠١٥).
- علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، مج ٢، ع ١ (٢٠١٢)، ٣٦٢–٣٩١.

- علي أبو عساف، آثار الممالك القديمة في سورية (٨٥٠٠-٥٣٥ ق.م، (دمشق، ١٩٨٨).
- علي سداد جعفر، ترجمة صفات الآلهة من أساطير العراق القديم إلى سفر التكوين في التوراة، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، مج ٥، ع ١ (٢٠١٥)، ٢٥٢-٢٦٨.
- علي شحيلات، عبد العزيز إلياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق، تاريخ العراق القديم، الأجزاء: ج١، عصور ما قبل التاريخ (الألف التاسع -٢٨٠٠ ق.م)، (بيروت، ١٩٧١)، ج ٣، العصر البابلي (٢٠٠٤ – ٥٣٩ ق.م)، (بيروت، ١٩٧١)، ج ٥، عصر الاحتلال (٥٣٩ ق.م – ٦٣٧ م)، (بغداد، ٢٠٠٧).
- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة (القاهرة، ٢٠٠٦).
ــــــــــ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل (القاهرة، ١٩٤٧).
- عماد سمير، معاجم إبلا وأصالة القاموس اللغوي الإيبلوي، مهد الحضارات، ع ٨، ٩ (دمشق، ٢٠٠٩).
- عيد مرعي، إبلا تاريخ أقدم مملكة عامرة في سورية (دمشق، ١٩٩٩٦).
ــــــــــ، تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠- ٣٣٣ ق.م)، (دمشق، ٢٠١٠).
ــــــــــ، حرَّان في تاريخ الشرق القديم، مجلة مهد الحضارات، ع ١٣، ١٤، (دمشق، ٢٠١١)، ٧-١٢.
- غسان عبد صالح، أساطير التوراة: دراسة تاريخية تحليلية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب (جامعة بغداد، ٢٠٠٤).
- فاروق إسماعيل، معاهداث الملك الحثي شوبيلوليوما الأول (نحو ١٤٣٠- ١٣٨٠ ق.م)، مجلة جامعة الملك سعود، السياحة والآثار، مج ٢١، ع ١ (الرياض، ٢٠٠٩)، ١-١٨.
- فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع المسمارية (بغداد، ١٩٧٥).
ــــــــــ، المعبد والزقورة اثنان من أبرز السمات المعمارية في المدينة العراقية القديمة، مجلة دراسات في الآثار والتاريخ، جامعة بغداد، ع ٥ (١٩٨٨)، ٩-٢٩.
ــــــــــ، من ألواح سومر إلى التوراة (بغداد، ١٩٨٩).
- فاطمة لواتي، الآثار اللغوية الفينيقية والبونيقية في المنطوق اللهجي العربي (سوريا – لبنان – تونس – الجزائر)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان (٢٠١٦).

- فؤاد عبد المطلب، الترجمة في الحضارات القديمة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٣، ج ٣ (٢٠٠٨)، ٥٤٩-٥٨٢.
- فوزية على عواد القضاة، اللغة العربية أصل اللغات السامية، حوليات آداب عين شمس، مج ٣٨ (٢٠١٠)، ٢٣٥-٢٥٢.
- كاظم جبر سلمان، التجديد العمراني للمعالم الدينية في مدينة بابل خلال مدة حكم الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥-٥٦٢ ق.م)، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، ع ١٥ /٢ (٢٠٠٨)، ٦٨٨-٧٠٨.
- كاظم جبر سلمان، على سداد جعفر، الزنا وعقوبته في تشريعات أسفار التوراة، دراسة مقارنة مع قانون حمورابي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج ٢٣، ع ٢ (٢٠١٥)، ٩٥٧-٩٨٥.
- لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة: مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الاسلام (القاهرة، ١٩٧٩).

  ـــــــــــــ، العرب في العصور القديمة (بيروت، ١٩٧٩).
- مازن محمد حسين، من لغات العراق القديم "اللغة الآرامية"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، ع ٣٨ (٢٠١٨)، ٧١١-٧٣٠.
- مبارك تريكي، فصول في اللسانيات الاجتماعية (عمان، ٢٠٢٠).
- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط (بيروت، ١٩٨٢).
- محمد الصغير غانم، نقيشة دوقة الأثرية: دراسة لغوية – تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة (الجزائر)، ع ١٠(١٩٩٨)، ١٠١-١١٢.
- محمد المختار العرباوي، الكتابة البربرية اللوبية: التيفيناغ، ما حقيقتها؟ المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، ع ٥١ (٢٠٠٠)، ٩٢-١٠٢.
- محمد بهجت قبيسي، ملامح في فقه اللهجات العربية، من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية (دمشق، ١٩٩٩).
- محمد بيومي مهران، المغرب القديم (الإسكندرية، ١٩٩٠).
- محمد تمام الأيوبي، جهان عزت محمد، معاهدة بين ألالاخ وكيزوتنا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج ٣٨، ج ٢ (٢٠١٦)، ١٧٧-١٨٧.

- محمد حامي الدين عبد الصمد، انتشار الإسلام في الحبشة، آثاره وأبعاده، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة جنوب أفريقيا (٢٠١٥).
- محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته (القاهرة، ٢٠٠٢).
- محمد شريف علي، الكتابة السينائية: المفهوم والدلالة، أبجديات ١٣(٢٠١٨)، ١٧٨-١٨٩.
- محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر (القاهرة، ١٩٦٦).
- محمد عبد اللطيف علي، المراكز التجارية الآشورية بوسط آسيا الصغرى في العصر الآشوري القديم (من أواسط القرن العشرين إلى أواسط القرن الثامن عشر ق.م)، (الإسكندرية، ١٩٨٤).
- محمد فهد حسين، خلق الانسان في النصوص المسمارية، مجلة جامعة زاخو، مج ٢، ع ١ (٢٠١٤)، ١٢٩-١٣٨.
- محمد مصطفى بازامة، ليبيا، هذا الاسم في جذوره التاريخية (بيروت، ١٩٧٥)
- محمود حمود، الديانة السورية القديمة خلال عصري البرونز الحديث والحديد ١٦٠٠ - ٣٣٣ ق٠م، (دمشق، ٢٠١٤).
- محمود فهمي حجازى، أسس علم اللغة العربية (القاهرة، ٢٠٠٣).
- مشتاق عباس معن، المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن (بيروت، ٢٠٠٢).
- مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، ١٩٨٥).
- مفيد رائف العابد، سورية في عهد السلوقيين: من الإسكندر إلي بومبيوس (٣٣٣-٦٤ ق.م)، (دمشق، ١٩٩٣).
- مها حسن الزبيدي، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي الوسيط (الفترة الكشية) / عقرقوف (دور - كوريكالزو)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب، جامعة بغداد (٢٠٠٣).
- مها عيساوي: اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ٤ (٢٠١٨).
http://herodotedb.com/index.php/ar/57-2018-04-18-23-39-25
- نائل حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، دراسة عن الشعائر والعمارة

في النصوص المسمارية والآثار، ج ٢ (المعابد والزقورات)، (دمشق، ٢٠٠٦).
- نزار مصطفى كحلة، غزوات شعوب البحر (دمشق، ٢٠١٧).
- نهاد حسن حجي الشمري، نظُرية التأثير الآرامي في اللهجات العربية البائدة، دراسة سامية مقارنة، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة واسط، ج ٣، ع ٣٢ (٢٠١٩)، ١٨-٣٥.
- هديب حياوي غزالة، أوغاريت مركز تجارة العالم القديم، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج ١٨، ع ٤ (٢٠١٠)، ٩٨٥-١٠٠٢.
- هويدة احسان كامل، محمد يوسف محمد، سمات وأنماط العمارة الدينية في العراق القديم، الزقورة أنموذجاً، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، جامعة سامراء، مج ٣، ع ٦ (٢٠١٦)، ١٦٥-١٨٢.
- وفاء ساكري، إشكالية ترجمة المصطلح النقدي العربي في كتاب الترجمة والمصطلح لـ "السعيد بوطاجين"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة - قسنطينة (الجزائر، ٢٠١٦).
- وليد محمد فرحان، الصراع الدولي في الشرق الأدنى بين القرنين الخامس عشر والثالث قبل الميلاد، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع ١١ (١٩٧٩)، ٢١٢- ٢٣٨.
- يونس عبد مرزوق، لغتنا العربية وأخواتها الجزرية، مجلة جامعة كربلاء، جامعة كربلاء، مج ٣، ع ١١ (٢٠٠٥)، ١٦٢-١٨٤.

ثانياً: **المراجع المترجمة**

- أندرو روبنسون، اللغات المفقودة، لغز كتابات العالم المطلسمة، ترجمة مجموعة من المترجمين، سلسلة دراسات في الخطوط (٤) - مكتبة الإسكندرية، (الإسكندرية، ٢٠٠٦).
- أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي (بيروت، ٢٠١٠).
- اوسكار رويتر، بابل: المدينة الداخلية "المركز"، ترجمة نوال خورشيد سعيد وعلي يحيي منصور (بغداد، ١٩٨٥).
- بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، ج١ (لندن، ٢٠١٧).
- بول ريكور، عن الترجمة، ترجمة حسين خمري (الجزائر، ٢٠٠٨).
- تيموثي فريك، بيتر غاندي، متون هرمس، حكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة عمر الفاروق

عمر (القاهرة، ٢٠٠٢).
- جاك دريدا، أبراج بابل، ترجمة صبحي دقوري، تقديم إبراهيم محمود (اللاذقية، ٢٠١٥).
- جورج كونتينو، الحياة اليومية في بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي، برهان عبد التكريتي (بغداد، ١٩٨٦).
- جونتر فيتمان، مصر والأجانب في الألفية الأولى قبل الميلاد، ترجمة عبد الجواد مجاهد (القاهرة، ٢٠٠٩).
- جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم (التوراة)، ترجمة نبيلة إبراهيم (القاهرة، ١٩٧٢)
- چورج چي. إم. چيمس، التراث المسروق، الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة، ترجمة شوقي جلال (القاهرة، ١٩٩٦).
- چيمس هنري برستد، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن (القاهرة، ١٩٥٦).
- روبرتسن سميث، محاضراتي في ديانة الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب (القاهرة، ١٩٩٧).
- سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر (بيروت، ١٩٨٦).
- سوزان باسنت، دراسات الترجمة، ترجمة فؤاد عبد المطلب (دمشق، ٢٠١٢).
- صمويل كريمر، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر (بغداد – القاهرة، ١٩٥٢).
- فرانسوا بون، عصور ما قبل التاريخ، بوتقة الإنسان، ترجمة سونيا محمود نجا (القاهرة، ٢٠١٣)
- فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين أحمد عزو، (دمشق، ١٩٩٦).
- فريدريش هيجل، العقل في التاريخ، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام (بيروت، ٢٠٠٧).
- فلاديمير بروب، مورفولوجيا الخرافة. ترجمة إبراهيم الخطيب (الدار البيضاء، ١٩٨٦).
- كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، (القاهرة، ١٩٧٧).
- كلين دانيال، موسوعة علم الآثار، ترجمة ليون يوسف (بغداد، ١٩٩٠).
- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة (بيروت، ٢٠٠٨).
- لويس مينار، هرمس (المثلث العظمة)، ترجمة عبد الهادي عباس، (سوريا، ١٩٩٨).

– موريس أولندر، لغات الفردوس، ترجمة جورج سليمان (بيروت، ٢٠٠٧).
– يوهانس فريدريش، تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان احمد الضاهر (دمشق، ٢٠١٣).

ثالثاً: المراجع الأجنبية

– A. D. Rubin, The Subgrouping of the Semitic Languages, LLC 2/1 (2008), 79-102.
– Abou-Assaf, A., Die Statue des HDYSʿY, König von Guzana, MDOG 113 (1981), 3–22.
– Adams, M.J., The Title xntjw-S in the Old Kingdom, (M.A. Thesis, Univ. of Pennsylvania, 2003).
– Adams, S.A., Where’s Rome, A Possible Roman Parallel to the Translation of the Septuagint in the Letter of Aristeas. In: Figures Who Shape Scriptures, Scriptures That Shape Figures: Essays in Honour of Benjamin G. Wright III, by G.G. Xeravits and G.S. Goering (eds.), (DCLS 40; Berlin: de Gruyter, 2018), 197-210.
– Adieco, I. J., Recent Develoments in the Decipheremnt of Carian, in: R. Van Bremen & J. M. Crbon, Hellenistic Karia, Proceedings of the First International Conference on Hellenistic Karia - Oxford, 29 June - 2 July 2006, Ausonius Éditions, Études 28, (Bordeaux, 2010), 147-176.
– Agostini, P., Zavaroni, A., The Bilingual Phoenician-Etruscan Text of the Golden Plates of Pyrgi, Filologija 34 (2000), 3–48.
– Aimé -Giron, M.N., Glanures de mythologie syro-égyptienne, BIFAO 23 (1924), 1-25.
– Albright, W.F., New Light on the Early of the Phoenician Colonization, BASOR, 82 (1941), 14-22.
– Allen, J.P., Middle Egyptian, An Indroduction to the Language and Culture of Hieroglyph, (Cambridge, 2010).
– Allen, J.P., Middle Egyptian: An Introduction to the Language and Culture of Hieroglyphs, (Cambridge, 2010).
– Amadasi Guzzo , M.G , Phoenician-Punic. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Ancient Near East, E.M. Meyers (edit), Vol 4, (Oxford, 1997), 317-318.
– Araki, N, The Origin of Language, Bull. Hiroshima Inst. Tech. Research, 52 (2018), 7-13.
– Assmann, J., From Akhenaten to Moses, (Cairo - New York, 2014).
– Assmann, J., Translating Gods: Religion as a Factor of Cultural (Un)Translatability. In: Translatability of Cultures Figurations of the Space Between, S. Budick, W. Iser (eds.), (Stanford, 1996), 25-36.
– Bae, Chul-hyun, Aramaic as a Lingua Franca during the Persian Empire (538-333 B.C.E), Journal of Universal Language 5 (2004), 1-20.
– Beekes, R.S.P., Comparative Indo-European linguistics, An Introduction,

(Amsterdam, Philadelphia, 2011).
- Bell, L.D., Interpreters and Egyptianized Nubians in Ancient Egyptian Foreign Policy: Aspects of the History of Egypt and Nubia, (Ph. D. Diss., Univ. of Pennsylvania, 1976).
- Birnstiel, D., Classical Arabic. In: The Semitic Languages, J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 367-402.
- Black, J.A., George, A.R., Postgate, J. N., A Concise Dictionary of Akkadian, (Wiesbaden, 2000).
- Black, J.R., The Instruction of Amenemope: A Critical Edition and Commentary, (Ph. D. Diss., Univ. of Wisconsin-Madison, 2002).
- Boardman, J., Aspects of "Colonization", BASOR 322 (2001), 33-42.
- Botterweck, G. J., Ringgern, H., Fabry, H., Theological Dictionary of the Old Testament, Vol. 13, (Michigan, Cambridge, 2004).
- Breasted, J. H. [BAR], Ancient Egyptian Records, I, (Chicago, 1906).
- Bryce, T. R., The Lycians. A Study of Lycian History and Civilisation to the Conquest of Alexander the Great, Vol. 1: The Lycians in Literary and Epigraphic Sources (Copenhagen, 1986).
- Bryce, T., Letters of the Great Kings of the Ancient Near East, The Royal Correspondence of the Late Bronze Age, (London and New York, 2003)
- Bryce, T., The 'Eternal Treaty' from the Hittite Perspective, BMSAES 6 (2006), 1-11.
- Burstein, S.T., The Babyloniaca of Berossus, SANE 1/5 (Malibu, 1978), 4-37.
- ÇAMBEL, H., Corpus of Hieroglyphic Luwian Inscriptions, vol. 2, Karatepe-Aslantaş: the inscriptions, (Berlin, 1998).
- Carpenter, R., Phoenicians in West, AJA, 62 (1958), 35-53.
- Casanova, P., La langue mondiale, traduction et domination, (Paris, Seuil, 2015).
- Chrobak, M., For a Tin Ingot: The Archaeology of Oral Interpretation, A Journal of Literary Translation Special Issue (2013), 87–101.
- Cline, E.H., 1177 B.C.: The Year Civilization Collapsed, (Princeton, New Jersey, 2014).
- Colburn, H.P., The Archaeology of Achaemenid Rule in Egypt, (Ph.D. Diss., Univ. of Michigan, 2014).
- Comas, J., Racial Myths, (Paris, 1951).
- Coogan, M.D., A Historical and Literary Introduction to the Hebrew Scriptures, (Oxford, 2011).
- Cooper, J., Bilingual Babel: Cuneiform Texts in Two or More Languages from Ancient Mesopotamia and Beyond, Visible Language 27: 1 / 2 (1993), 69-96.
- Crass, J., Afroasiatic Languages. In: Concise Encyclopedia of Languages of the World, K. Brown and S. Ogilvie (eds), (Oxford, 2009), 12-15.

- Crellin, R. and Tamponi, L., Vowel Quantity and Quality in Neo-Punic and Latin Inscriptions from Africa and Sardinia. In: Studies in Semitic Vocalisation and Reading Traditions, A. D. Hornkohl and G. Khan (eds), (Cambridge, 2020), 2-14.
- Daressy, M.G., Catalogue général des antiquités égyptiennes du Musée du Caire, No. 9401-9449, Textes et dessins magiques, (Le Caire, 1903).
- Davies, B. G., Egyptian Historical Inscriptions of the Nineteenth Dynasty, (Jonsered, Sweden, 1997).
- de Voogt, A., The Meroitic Script and the Understanding of Alpha-Syllabic Writing, Bulletin of the SOAS, 73/ 1 (2010), 101–105.
- Diakonoff, I.M., Afrasian Languages. (Moscow: Nauka, 1988).
- Dixon, S., The Tower of Babel: The Dispersion of God's People, JBL 126 /1 (2007), 29-58.
- Dossin, G., La route de l'etain en Mesopotamie au temps de Zimrilim, RA 64 (1970), 97–106.
- Dusinberre, E.R.M., Empire, Authority, and Autonomy in Achaemenid Anatolia, (Cambridge, 2013).
- Edzard, L., On the Role of South Arabian and Ethio-Semitic Within A Comparative Semitic lexicographical Project, OSLa 8/1 (2016), 219–242.
- Eichler, E., Untersuchungen zum Expeditionswesen des ägyptischen Alten Reiches. Edited by Friedrich Junge and Wolfhart Westendorf, Göttinger Orientforschungen IV. Reihe: Ägypten. (Wiesbaden, 1993).
- ElAguizy, O. & Haykal, F., Changes in Ancient Egyptian Language, in: Les Langues en Égypte, (Le Caire, 1996), 27-34.
- Erman, A., Grapow, H. [Wb], Wörterbuch der ägyptischen Sprache, I, (Berlin, 1971).
- Falbo, C., Going back to Ancient Egypt: Were the Princes of Elephantine Really 'Overseers of Dragomans'?, The Interpreters' Newsletter 21 (2016), 109-114.
- Falk, D., Prelinguistic Evolution in Early hominins: Whence Motherese? Behavioral and Brain Science, 27 (2004), 491-503.
- Faulkner, R.O., Egyptian Military Orgnization, JEA 39 (1953), 32-36.
- Finn, J., Gods, Kings, Men: Trilingual Inscriptions and Symbolic Visualizations in the Achaemenid Empire, in; Ars Orientalis 41(2011), 219-275.
- Florin, A., Le Développement du langage, (Paris, 1999).
- Forrer, E.O., Karthago wurde erst 673-663 v. Chr. gegründet, in; Der Festschrift für Franz Dornseiff,(Leipzig, 1953), 85-93.
- Freire, L.G., Covenant and International Relations in the Ancient Near East: a Preliminary Exploration, Antiguo Oriente 11 (2013), 129-154.
- Frood, E., Biographical Texts from Ramessid Egypt, (Atlanta, 2007).
- Galán Allué, J.M., Aspectos de la diplomacia del Antiguo Egipto. Hasta

CA 1320 A.C. Sefarad: Revista de Estudios Hebraicos, Sefardíes y de Oriente Próximo, 55/1 (1995), 105-112.
- Galán, J.M., Four Journeys in Ancient Egyptian Literature, (Göttingen, 2005).
- Gardiner, A. H., The Egyptian Word for 'Dragoman', PSBA 37 (1915), 117–25.
  ________, Ancient Egyptian Onomastica, I, (Oxford, 1947).
  ________, Late-Egyptian Stories, (Brussels, 1932).
- Gelb, I.J., The Word for Dragoman in Ancient Near East, Glossa 2 (1968), 93-103.
- George, A.R., The Tower of Babel: Archaeology, History and Cuneiform Texts, Archiv für Orientforschung, 51 (2005/06), 75–95.
- George, A., The Epic of Gilgamesch, The Babylonian Epic and other Texts in Akkadian and Sumerian, (London and New York, 1999).
- Gilbert, G.P. , Ancient Egyptian Sea Power and the Origin of Maritime Forces, (Australia, 2008).
- Gilbert, G.P., Ancient Egyptian Sea Power and the Origin of Maritime Power, (Australia, 2006).
- Grayson, A.K., Akkadian Myths and Epics. In: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, J.B. Pritchard (edit.), (Princeton, 1969), 501-519.
- Gutman, A., Attributive Constructions in North- Eastern Neo-Aramaic, (Berlin, 2018).
- Gzella, H., Introduction. In: Languages from the World of the Bible, H. Gzella (edit.), (Berlin, 2012), 1–13.
- Hackett, J J., Semitic Languages. In: Concise Encyclopedia of Languages of the World, K. Brown, S. Ogilvie, (eds), (Oxford, 2009).
- Hackett, J. A., Phoenician. In: Concise Encyclopedia of Languages of the World, K. Brown, S. Ogilvie (eds), (Oxford, 2009), 929-935.
- Hall, J. M., Ethnic Identity in Greek Antiquity, (Cambridge, 1997).
- Hallo, W.W., Bilingualism and the Beginnings of Translation. In: Texts, Temples, and Traditions. A Tribute to M. Haran, by M.V. Fox and Others (eds), (Indiana, 1996), 345-357.
- Harper, P., Oliver, A., Scott, N., and Lilyquis, Ch., Origin and Influence. Cultural Contacts : Egypt, The Ancient Near East, and the Classical World, The Metropolitan Museum of Art Bulletin, New York 29 (1970-1971), 318-326.
- Harrison, T., Herodotus' Conception of Foreign Languages, Histos 2 (1998).
- Hayward, R.J., "Afroasiatic." In: African Languages: An Introduction. B. Heine and D. Nurse (eds), (Cambridge, 2000), 74-98.
- Hermann, A., Interpreting in Antiquity. In: The Interpreting Studies

Reader, F. Pochhacker, M. Shlesinger (eds), (London, 2002), 15–22.
- Hoch, J. E., Semitic Words in Egyptian Texts of the New Kingdom and Third Intermediate Period (Princeton, 1994).
- Hoffmeier, J. K., Aspects of Egyptian Foreign Policy in the 18th Dynasty in Western Asia and Nubia. In: Egypt, Israel and the Ancient Mediterranean World: Studies in Honor of D. B. Redford, by G. N. Knoppers and A. Hirsch (eds), Probleme der Ägyptologie 20 (Leiden and Boston, 2004), 121-141.
- Hoffner, H.A., The Treatment and Long-Term Use of Persons Captured in Battle According to Maşat Texts. In: Recent Development in Hittite Archaeology and History, K.A.Yener and H.A.Hoffner (eds), (Indiana, 2002), 61–72.
- Hölscher, W., Libyer und Ägypter (Hamburg, 1937).
- Hornkohl, A.D., Pre-modern Hebrew, Biblical Hebrew. In: The Semitic Languages, J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 533-570.
- Huehnergard, J., and Pat-El, N., Introduction to the Semitic Languages and their History. In: The Semitic Languages, J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 1-21.
- Hurowitz, V.A., Literary Observations on “In Praise of the Scribal Art”, JANES 27 (2000), 49-56.
- Izre'el, Sh., The Amarna Scholarly Tablets, (Groningen, 1997).
- J. Groen, Northwest Semitic in the Second Millennium bce, (M.A. Thesis, Univ. of Leiden, 2015).
- Jackson, A. V. W., The Great Behistun Rock and Some Results of a Re-Examination of the Old Persian Inscriptions on It, JSTOR, 24 (1903), 77–95.
- James, A., Egypt and her Vassals. In: The Amarna Diplomacy. The Beginnings of International Relations, R. Cohen and R. Westbrook (eds), (Baltimore and London, 2000), 112-124.
- Janko, R., The Etymologies of ΒΑΣΙΛΕΣ and ΕΡΜΗΝΕΣ, The Classical Quarterly 64/2 (2014), 462 – 470.
- Jaspers, K., Vom Ursprung und Ziel der Geschichte, (Munich, 1949).
- Jones, D., An Index of Ancient Egyptian Titles, Epithets and Phrases of the Old Kingdom, (Oxford, 2000).
- Jurman, C., Running with Apis, The Memphite Apis Cult as a Point of Reference for Social and Religious Practice in Late Period Elite Culture. In: Egypt in Trasition, Social and Religious Development of Egypt in the First Millennium BCE, Proceedings of an International Conference Prague, September 1–4, 2009, L. Bareš and others (eds), (Prague 2010), 244-267.
- Kaufman, S.A., Reflections on the Assyrian-Aramaic Bilingual from Tell Fakhariyeh, Maarav 3 (1982), 137–75.

– Kitchen, K. A. [KRI], Ramesside Inscriptions, 4, (Oxford, 2003).
– Koneiczny, M. L., Sailing Through Greek with Hanno of Carthage, New England Classical Journal 44.4 (2017), 247-267.
– Krahmalkov, C.R., Phoenician-Punic Dictionary, (Leuven, 2010).
– Kramer, J., Die Sprachbezeichnungen Latinus und Romanus im Lateinischen und Romanischen, (Berlin, 1998).
– Kramer, S.N., The "Babel of Tongues": A Sumerian Version, JAOS 88/1 (1968), 108-111.
– Kubisch, S., Lebensbilder der 2. Zwischenzeit Inschriften der 13.-17. Dynastie, (Berlin und New York, 2008).
– Kurz, I., Das Dolmetscher-Relief aus dem Grab des Haremhab in Memphis. Ein Beitrag zur Geschichte des Dolmetschens im alten Ägypten, (Babel 32: 2, 1986), 73 – 77.
– Labudek, J., Late Period Stelae from Saqqara. A Social-Cultural and Religious Investigation, (M.A Thesis, Univ. of Birmingham, 2010).
– Lambert, W. G., Babylonian Wisdom Literature, (Indiana, 1996).
– Lanski, A.L., Emissaries in the Narrative of Herodotus, (Ph. D. Diss., Univ. of Illinois at Urbana-Champaign, 2013).
– Leitz, C., Lexikon der ägyptischen Götter und Götterbezeichnungen, vol. 3, (Leuven/Paris/Dudley, 2002).
– Lemche, N.P., The Israelites in History and Tradition, (Westminster, 1998).
– Lesko, L.H., A Dictionary of Late Egyptian, I, (B.C. Scribe Publications, 2004).
– Lexa, F., Das Demotische Totenbuch der Pariser Nationalbiblothek, Papyrus des Pamothes, (Leipzig, 1910).
– Lichtheim, M., Late Egyptian Wisdom Literature in the International Context: A Study of Demotic Instructions, (Freiburg, Göttingen, 1983).
– Lipiński, E., Sale, Transfer, and Delivery in Ancient Semitic Terminology. In: Gesellschaft und Kultur im alten Vorderasien, H. Klengel (edit.), (Berlin, 1982), 173-185.
– Macdonald, M., C., A., Old Arabic (Epigraphic). In: Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics, K. Versteegh (edit), Vol. 4 (Leiden, 2007), 464–477.
– Mandell, A., Scribalism and Diplomacy at the Crossroads of Cuneiform Culture: The Sociolinguistics of Canaano-Akkadian, (Ph. D. diss., Uni. of California, 2015).
– Marlowe, F. W., Hunter-Gatherers and Human Evolution, Evolutionary Anthropology 14/2 (2005), 54–67.
– Masséglia, J., The Philae Obelisk, Tales from Egypt, Dorset and Outer Space, (Oxford, 2015).
– Maul, S., La fin de la tradition cunéiforme et les Graeco-Babyloniaca, in:

Cahiers du centre Gustave Glotz, Revue d’Histoire Ancienne, 6, (Paris, 1995), 3-17.
- Meier, S.A., The Messenger in the Ancient Semitic World, (Atlanta, 1988
- Melchert, G., The Trilingual Inscription of the Létôon. Lycian Version », http://www. achemenet.com/pdf/lyciens/letoon.pdf.
- Melchert, H. C., Anatolian. In: The Indo – European languages, M. Kapović (edit.), (London & New York 2017), 171-204.
- Menicatti, L., Blingualism and Kingship, An Analysis of Mesopotamian Bilingual Inscriptions from the Old Akkadian until the Old Babylonian Period (M.A Thesis, Leiden Univ., 2019).
- Michalowski, P., Ancient Near Eastern and European Isolates. In: Language Isolates, L. Campbell (edit.), (London and New York 2018), 20-36.
- Michalowski, P., The Lives of the Sumerian Language. In: Margins of Writing, Origins of Cultures: New Approaches to Writing and Reading in the Ancient Near East. Papers from the Symposium held February 25-26, 2005. Chicago, S.L. Sanders (edit.), (Chicago, 2006), 157-182
- Minas-Nerpel, M., Pfeiffer, S., Establishing Roman Rule in Egypt: The Trilingual Stela of C. Cornelius. Gallus from Philae. in: Katja Lembke, Martina Minas-Nerpel, Stefan Pfeiffer (Hg.), Tradition and Transformation: Egypt under Roman Rule; proceedings of the International Conference, Hildesheim, Roemer- and Plizaeus-Museum, 3–6 July 2008, (Leiden, Boston 2010) , 265-298.
- Morkot, R.G., Economic and Cultural Between Kush and Egypt, (Ph.D. diss., Univ. of College London, 1993).
- Multhoff, A., Ancient South Arabian. In: The Semitic Languages, J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 321-341.
- Na'aman, N., Economic Aspects of the Egyptian Occupation of Canaan, IEJ 31 (1981), 172-185.
- Noonan, B.J., Egyptian Loanwords as Evidence for the Authenticity of the Exodus and Wilderness Traditions. In: Did I Not Bring Israel out of Egypt?, Biblical, Arcaeological, and Egyptological Perspectives on the Exodus Narratives, J.K. Hoffmeir and others (eds), (Eisenbrauns, 2016), 48-68.
- Orlin, L.L., Assyrian Colonies in Cappadocia, (Paris, 1970).
- Osing, J., Beziehungen zwischen Libyer und Ägypten, LÄ 3 (Wiesbaden, 1980), 1020-1023.
- Ostler, N., The Last Lingua Franca: English Until the Return of Babel, (New York, 2010).
- Panagiotopoulos, D., Foreigners in Egypt in the Time of Hatshepsut and Thutmose III, in: Thutmose III, A New Biography, E.H. Cline and D. O’Connor (eds), (Michigan, 2006), 370-412.

- Parker, S.B., Ammonite, Edomite, and Moabite. In: Beyond Babel: A Handbook for Biblical Hebrew and Related Languages, J. Kaltner and S. L. McKenzie (eds), Resources for Biblical Studies, 42, (Atlanta, 2002), 43-60.
- Parkinson, R., Cracking Codes. The Rosetta Stone and Decipherment (Berkeley / Los Angeles, 1999).
- Pedersén, O., Archives and Libraries in the Ancient Near East, 1500-300 B.C, (Maryland, 1998).
- Piepkorn, A.C., Historical Prisms of Ashurbanipal, (Chicago, 1933).
- Pierce, R.H., Egyptian Loan Words in Ancient Greak, Symbolae Osloenses 46 (1971), 98-107.
- Porten, B. and Gee, J., Aramaic Funerary Practices in Egypt. In: World of the Aramaeans: Studies in History and Archaeology in Honour of Paul-Eugène Dion, Vol. 2 (JSOT Supplement Series 325), P.M. Michèle Daviau, Michael Weigl, John W. Wevers (eds), (Sheffield Academic Press Ltd, 2001), 289-295.
- Possehl, C.L., What in the World: Shu-ilishu’s Cylinder Seal, in; Expedition 48/1 (2006), 42-43.
- Quack, J.F., The Idea of Writing: Writing Across Borders, (Leiden, 2012).
- Quick, L., 'To Hear and to Accept': A Word-Pair in the Tell Fakhariyah Bilingual Inscription, JSS 61/2 (2016), 413-429.
- Rainey, S., The Nature of Carthaginian Imperial Activity: Trade, Settelment, Conquest, and Rule, (Ph. D. Diss., University of Canterbury, 2004).
- Redford, D.B., From Slave to Pharaoh: The Black Experience of Ancient Egypt, (Balitimore and London, 2004).
- Redford, D.B., Pharaonic King-Lists, Annals and Day-Books, (Mississauga, 1986).
- Robinson. A., Lost languages: the Enigma of the World's Undeciphered Scripts, (London, 2009).
- Roland, R., Interpreters as Diplomats. A Diplomatic History of the Role of Interpreters in World Politics, (Ottawa, 1999).
- Roy, J., The Politics of Trade, Egypt and Lower Nubia in the 4th Millennium BC, (Leiden, Boston, 2011).
- Rubio, G., Writing in Another Tongue: Alloglottography in the Ancient Near East. In: Margins of Writing, Origins of Cultures, S.L. Sanders (edit.), (Chicago, 2006), 33-66.
- Ruiz, L., Interpreters and Interpreting in Conflict Zones and Scenarios: A Historical Perspective, Linguistica Antverpiensia 15 (2016), 1–35.
- Satzinger, H., The Eyptian Connection: Egyptian and Semitic Languages, IOS 20 (2002), 227-264.
- Schenkel, W., Die Entzifferung der Hieroglyhen und Karl Richard Lepsius.

In: Karl Richard Lepsius. Der Begründer der deutschen Ägyptologie, : Verena M. Lepper und Ingelore Hafemann (eds), (Berlin, 2012), 37-78.
- Schmitz, P.C., The Phoenician Contingent in the Campaign of Psammetichus II against Kush, Journal of Egyptian History 3.2 (2010), 321-337.
- Schneider, T., Asiatische Personennamen in ägyptischen Quellen des Neuen Reiches, (Freiburg, Göttingen, 1992).
- Schniedewind, W.M., Hunt, J.O., A Primer on Ugaritic, Language, Culture, and Literature, (Cambridge, 2007).
- Schulz, R., Over the Water and Across the Desert -Trans-Saharan Contacts of the Mediterranean World in the 6th and 5th Century BC, JAC 32/2 (2017), 147-174.
- Seminara, S., Beyond the Words, Some Consideration about the Word "to Translate" in Sumerian, Vicino Oriente 18 (2014)
- Sethe, K. [URK], Urkunden des alten Reiches, I, (Leipzig, 1933).
- Shoaib, W., Historical Concept of Ancient Egyptian Annals "gnwt ", Bulletin of ACPSI 4/2 (2013), 77-89.
- Simpson, W.K., The Literature of Ancient Egypt, (London, 2003).
- Skjærvø, P.O., Old Iranian Languages. In: The Iranian Languages, G. Windfuhr (edit.), (London and New York, (2009), 43-195.
- Smith, M., Palestinian Parties and Politics that Shaped the Old Testament, (New York and London, 1971).
- Soultaanian, G., The Pre-History of the Armenians – The Proto-Armenian Hieroglyphic Inscriptions of Aram, (London, 2004).
- Stadler, M.A., Weise und Wesir, Studien zu Vorkommen, Rolle und Wesen des Gottes Thot im ägyptischen Totenbuch, (Tübingen, 2009).
- Starke, F., Zur Herkunft von akkad. ta/urgumannu(m) "Dolmetscher", WO 24 (1993), 20-38.
- Steiner, G., After Babel, Aspects of Language and Translation, (London and Oxford, 2001).
- Stolper, M.W., Elamite. In: The Cambridge Encyclopedia of the World's Ancient Languages, D.W. Roger (edit.), (Cambridge, 2004), 60–94.
- Tarawneh, H., Amarna Letters: Two Languages, Two Dialogues. In: Egypt and the Near East—the Crossroads: Proceedings of an International Conference on the Relations of Egypt and the Near East in the Bronze Age, Prague, Sept. 1-3, J. Mynářová, (edit), (Prague, 2011), 271-284.
- Teixidor, J., The Aramaic Text in the Trilingual Stele from Xanthus, JNES 73/2 (1978), 81–185.
- Torrey, C.C., The Bilingual Inscription from Sardis, AJSL 34 (1917-18), 185–98.
- Trabazo, J.V. G., Hethitisch tarkummāe : ein etymologischer Vorschlag. In, Proceedings of the Eighth International Congress of Hittitology,

Warsaw, 5-9 September 2011, P. Taracha (edit.), (Warsaw, 2014),), 296-307.
- Tropper, J., and Paplo Vita, J., Ugaritic. In: The Semitic Languages. J. Huehnergard and N. Pat-El (eds), (London and New York, 2019), 482-508.
- Ugwueye, L.E., Language of the Old Testament: Biblical Hebrew "The Holy Tongue", AJIS 4/1 (2015), 129-133.
- Uljas, S., Linguistic Consciousness. In: UCLA Encyclopaedia of Egyptology, J. Stauder-Porchet, A. Stauder & W. Wendrich (eds), (Los Angeles, 2013), 1-11.
- Van Hoof, H., Histoire de la traduction en Occident, (Paris, 1991).
- Van Hoof, H., Les dictionnaires polyglottes – esquisse historique, Meta: Journal des traducteurs 39/1 (1994), 213–228.
- van Soldt, W.H., Babylonian Lexical, Religious and Literary Texts and Scribal Education at Ugarit and Its Implications for the Alphabetic Literary Texts. In, Ugarit. Ein ostmediterranes Kulturzentrum in Alten Orient, M. Dietrich & O. Loretz (eds), (Münster, 1995), 170-176.
- Van Soldt, W.H., Ugarit as a Hittite Vassal State, AF 37/2 (2010), 198-207.
- Veldhuis, N.,Guardians of Tradition: Early Dynastic Lexical Texts in Old Babylonian Copies. In Your Praise is Sweet: A Memorial Volume for Jeremy Black fr om Students, Colleagues and Friends, H. D. Baker, E. Robson, and G. Zólyomi (eds), (London, 2010), 379-400.
- Vierros, M., Bilingualism in Hellenistic Egypt. In: Encyclopedia of Ancient Greek Language and linguistics, G.K. Giannakis (edit.), Vol. 1, A-f, (Leiden, 2014), 234-238.
- Vinson, S., Seafaring. In: UCLA Encyclopaedia of Egyptology, J. Stauder-Porchet, A. Stauder & W. Wendrich (eds), (Los Angeles, 2009).
- Vischak, D., Community and Identity in Ancient Egypt: The Old Kingdom Cemetery at Qubbet el-Hawa, (New York, 2015).
- von Bekkum, K., The "Language of Canaan": Ancient Israel's History and the Origins of Hebrew, Essays in Semitics and Old Testament Texts in Honour of Prof. J.P. Lettinga. In: Biblical Hebrew in Context, K. von Bekkum and others (eds), (Leiden/ Boston, 2018), 67-88.
- von Soden, W., Dolmetscher und Dolmetschen im Alten Orient, in; Aus Sprache, Geschichte und Religion Babyloniens (Naples: Istituto universitario orientale, Dipartimento di studi asiatici, 1989), 353-357.
- W.M. Schniedewind, W.M., Hunt, J.O., A Primer on Ugaritic, Language, Culture, and Literature, (Cambridge, 2007).
- Wilhelm, G., Hurrian, Urartian. In: The Cambridge Encyclopedia of the World's Ancient Languages, D.W. Roger (edit.), (Cambridge, 2004), 95-137.
- Wilkinson, R.H., Pharaoh's Land and Beyond Ancient Egypt and Its

Neighbors, (Oxford, 2017).
- Woudhuizen, C., Thracians , Luwians and Greeks in Bronz Age Central Greece. In: Thracians & Mycenaeans, Proceedings of the Fourth International Congress of Thracology, Rotterdam 24-26 September 1984, J.G.P. Best & N.M.W. de Vries (eds.). (Leiden, 1989), 191-204.
- Woudhuizen, F.C., Selected Luwian Heiroglyphic Texts 2, (Innsbruck, 2005).
- Würthwein, E., The Text of the Old Testament: An Introduction to the Biblia Hebraica, Translated by: E.F. Rhodes (Michigan, 1995).
- Yakubovich, I., Hittite-Luvian Bilingualism and the Origin of Anatolian Hieroglyphs, Acta Linguistica Petropolitana 4/1 (2008), 9-36.
- Yakubovich, I., Phoenician and Luwian in Early Iron Age Cilicia, Anatolian Studies 65 (2015): 35–53.
- Yon, M., The City of Ugarit at Tell Ras Shamra, (Indiana, 2006).
- Yon, M., The End of the Kingdom of Ugarit. In: The Crisis Years: The 12th Century B.C. From Beyond the Danube to the Tigris, W. A. Ward & M. S. Joukowsky (eds), (Dubuque, Iowa, 1992), 111–122.





أثبتت كافة الشواهد التاريخية والأثرية بما لا يدع مجالاً للشك أن الإنسان الشرقي القديم هو صاحب الفضل الأول في تأسيس وترسيخ الصروح المعرفية والمهنية للترجمة والمترجمين على مسرح تاريخ الإنسانية منذ حوالي الألف الثالث قبل الميلاد. ولكن للأسف الشديد لم تحظ هذه الحقيقة الثابتة بما تستحقها من اهتمام من جانب الباحثين في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، بل تكاد تكون شبه غائبة في مؤلفاتنا وبحوثنا العلمية العربية. كما لم تحظ أيضاً بحظ وافر في البحوث والدراسات العلمية الأجنبية. وكل ما هو مطروح عنها لا يخرج عن بضعة بحوث متفرقة وقليل من المعلومات المتناثرة هنا وهناك والتي تتطلب جهداً مضاعفاً في الحصول عليها واستخلاص المفيد منها خصوصاً أن بعض أصحابها من غير المتخصصين. ونتجت عن ذلك ندرة المعلومات المتاحة عن الترجمة والمترجمين في تاريخ وحضارة منطقتنا الشرقية خلال عصورها القديمة. علاوة على الفكرة المغلوطة المترسخة في أذهان الكثيرين وهي صعوبة البحث عنهم ورصدهم وضبابية المشهد التاريخي والحضاري المشاركين في صناعته وتأريخ ظهور الترجمة بلعنة إلهية ميثو-توراتية. ومن هنا تكمن أهمية هذا الكتاب ليس فقط كونه الأول في هذا الاتجاه، بل أيضاً لإبراز صورة الترجمة والمترجمين والكشف عن أهمية وفاعلية أدوارهم وإسهاماتهم المؤثرة في الارتقاء بالتراث الإنساني وتقدم هذه المنطقة وما جاورها من مناطق العالم القديم فكرياً وثقافياً.